
حسناء من اندونيسيا
للفنان الاندونيسي "بازوكي عبدالله"

# كتابى

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية

يصدر أول كل شهر - صاحبه ورئيس تحريره: حلمى مراد

الكتاب الواحد والتسعون ( السنة الثامنة )

الاشتراكات والأعداد السابقة : التفصيلات بالداخل

لادارة : عمارة الجندول ( ١٤ شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة

# مجموعة كتابى

## ( الكتاب الشهرى لتلخيص الكتب العالمية )

صدر منها واحد وتسعون كتابا، يضاف اليها كتاب جديد فى اول كل شهر.

# مطبوعات كتابى

## ( الترجمة الكاملة الأمينة لشوامخ الكتب العالمية )

صدر منها اربعة وخمسون كتابا ( ومجلدان خارج السلسلة يحتويان على الترجمة الكاملة لقصة « دكتور جيفاجو » ) ، وتطلب قائمة بأسماء الكتب جميعا من الادارة .

# الاشتراكات

• تطلب الاعداد السابقة من كل من المجموعتين من :
ادارة « كتابى » : ١٤ شارع ٢٦ يوليو ( فؤاد سابقا ) بالقاهرة

• الاشتراكات عن ١٢ عددا من كتابى فى ج.ع.م والسودان والمملكة السعودية والاردن ولبنان وليبيا والعراق ١٤٠ قرشا سنويا خالصة أجر البريد المسجل ، وما عداها من البلاد العربية الاخرى والبلاد الاجنبية على ان يتحقق المرسل من امكان صرفها فى مصر . علما بأن سعرها فى مصر

ولمن شاء ان ترسل له الاعداد بالبريد الجوى المسجل ، ان يدفع فرق الرسوم .

• ترسل قيمة الاعداد والاشتراكات فى مصر باذن بريد عادى وللمشتركين فى البلاد الاخرى أن يرسلوا القيمة بشيك على احد بنوك القاهرة ، او تحويلات مصرفية ، او كوبونات بريد دولية فئة ٤٠ مليما فالاشتراك السنوى ١٨٠ قرشا سنويا خالصة اجر البريد المسجل .

# محتويات الكتاب

# القصة التى حكم ببراءتها ..
# بعد مصادرة استمرت ٣٣ عاما !

**«لو كانت لى ابنة فى سن الزواج ، لما تركتها تعقد خطبتها ـ ما استطعت ـ حتى تقرأ هذا الكتاب .. ان قصة « ليدى تشاترلى » ينبغى أن توضع فوق أرفف كل مدرسة للبنات المراهقات .. ويجب أن تجبر الفتيات على قراءتها ، والا حرمن من الحصول على ترخيص بالزواج ! »**

**« برنارد شو »**

**عزيزى القارىء ..**

قد يدهشك أن تقرأ هذا الرأى ، للكاتب الايرلندى الذى كان « **لورنس** » يمقته ويهاجمه فى كل مناسبة .. ومع ذلك لم يمنعه هذا العداء الشخصى من أن ينصف الرواية التى رآها جديرة بالانصاف !

بل قد يدهشك ان يصدر هذا الرأى من « **برنارد شو** » ، وهو الذى بلغ من تزمته فى شأن ما يمس الاخلاق انه أحرق نسخة كان قد اهداه اياها الكاتب « **فرانك هاريس** » من كتابه المشهور « حياتى ، وغرامياتى » ، خشية أن تقع فى يد خادمة بيته !

واذا أردت مزيدا من المفارقات التى تظهر مدى تغير احكام المجتمع والرأى العام على الاعمال الأدبية والفنية بين جيل وجيل ، وبلد وبلد .. فاليك طائفة من الامثلة التى قد تبدو لك اليوم بعيدة عن التصديق ، وان كانت جميعا « حقائق » تاريخية ثابتة :

فرواية **شكسبير** الخالدة « هاملت » ، كانت فى عصر « كرومويل » تصدم مشاعر طائفة « البيوريتان » المتزمتة المعروفة !

وكان **تولستوى** فى فترة من حياته يصرح بأنه لو ملك السلطان ، لأحرق أو صادر أكثر مسرحيات شكسبير !

وتولستوى نفسه ، كانت بعض كتبه ــ وفى مقدمتها تحفته الخالدة « انا كارنينا » ــ موضع الاضطهاد والمطاردة فى وقت من الاوقات !

و (( **فلوبير** )) ، ألم يقدم الى المحاكمة فى فرنسا بسبب قصته التى يمجدها العالم اليوم : « مدام بوفارى » ؟

.. بل **وبلزاك** ! .. ألم يقف السناتور الامريكى « ربد سموت » فى مجلس شيوخ بلده ( الكونجرس ) فى مارس عام ١٩٣٠ ليندد بإباحية « بلزاك » ويطالب بفرض الرقابة على مؤلفاته ؟

ومسرحيات أديب الاغريق الفذ (( **اريستوفان** )) ــ (مؤلف: الضفادع ، والطيور ، والحشرات ، والسحب ، والسلام ، والفرسان ، وليسستراتا .. الخ ) ــ الا تصدم مشاعر بعض ذوى الأفق المحدود ، حتى يومنا هذا ؟

وقصة ( جين اير ) ــ التى تدرس اليوم للمراهقين والمراهقات فى المدارس ــ ألم يقل فيها « د. هـ. لورنس » نفسه فى مقاله المشهور الذى جعل عنوانه « الادب المكشوف وأدب الفحش والبذاءة » .. ما يلى بالحرف الواحد : « وان كنت أعترف بأن (( **شارلوت برونتى** )) لم تتعمد اثارة المشاعر الجنسية فى القارىء ، فانى أجد قصتها ( جين اير ) تنحو منحى الأدب المكشوف ، أكثر مما ينحو (( **بوكاشيو** )) فى أقاصيصه .. فقد كانت شارلوت برونتى فى حالة انهارت فيها أقوى الغرائز ، فبات الجنس عندها شيئا بذيئا ، محتقرا .. ولا تغدو العاطفة الجنسية عند بطل القصة

« مستر روشستر » عاطفة « محترمة » الا بعد ان يحترق الرجل ، ويصاب بالعمى ، والتشويه ، ويصبح عاجزا ، بلا حول ولا طول . عندئذ فقط ، بعد كل هذه المهانة والمذلة ، تصبح عاطفته الجنسية شيئا معترفا به ! »

و (( **ابسن** )) ـ خالق المسرح الحديث غير منازع ـ لم يسلم بدوره من تهمة الفحش والابتذال ، فتعرض انتاجه الخالد لحملات غير قليلة من هذا النوع ..

و (( **زولا** )) ، زعيم مدرسة الأدب « الطبيعى » ـ التى سبقت مدرسة الادب « النفسى » الحديث ـ ألم تعتبره انجلترا رمزا للادب المكشوف ، وتحكم على ناشر كتبه بالسجن والغرامة ؟

وملحمة ((**جيمس جويس**)) المعاصرة المشهورة ((أوليسيس)) ـ أو ((عولس)) ، نسبة الى بطل « أوديسة » هوميروس ـ .. ألم يلاحقها الاضطهاد اعواما ، بل ويصفها « د . ه . لورنس » نفسه بأنها « كتاب غير نظيف » ، من فرط ماتتمرغ بطلته « موللى بلوم » وسنانة فى فراشها ، وهى تجهد وعيها بحثا عن أطول عبارات الابتذال التى عرفتها اللغة الانجليزية .. الى أن ادركتها رحمة القضاء الانجليزى على يد القاضى « وولسى » فى عام ١٩٣٣ ، فأفرج عنها وبرأ ساحتها ، استنادا الى أنها « عمل فنى ، يعكس الحياة .. ولما كانت الحياة تتصف بالخسة أحيانا ، فمن الطبيعى ان يكون العمل الفنى الذى يمثلها ، على صورتها . »

## هل كان للسياسة دخل فى اضطهاد لورنس ؟

.. **ويطول** بنا المقام لو مضينا فى تعداد أمثلة هذه المفارقات ، التى كان آخرها افراج القضاء الانجليزى منذ أسابيع عن النص الأصلى « غير المهذب » لقصة ( عشيق الليدى تشاترلى ) ، بعد أن شهد لصالحها أكبر رجال الأدب والدين ،

وبعد ان ظلت ممنوعة من التداول بنصها الاصلى نحو ثلث قرن .. وبذلك دخلت هذه القصة ومؤلفها ـ من الباب الضيق ـ الى رواق الخلود والخالدين !

ولست أريد هنا ان أحدثك عن قصة هذه « المحاكمة » الاخيرة للقصة ـ التى انتهت بتبرئتها والافراج عنها ـ فهذه قصة أفاضت الصحف والبرقيات فى سرد تفصيلاتها يوما بعد يوم ، واحسبها ماتزال ماثلة فى ذاكرتك من طول الاعادة والترديد ..

.. وانما أود اليوم أن أزيح لك الستار عن الفصول الاولى ـ التى دخلت التاريخ ـ من هذا الصراع الطويل المرير الذى نشب بين الاديب التعس « د. هـ. لورنس » وبين أعداء أدبه ومضطهديه من الرقباء .. **وهو الصراع الذى عجل بموته** فى الوقت الذى كان فيه أحوج ما يكون الى راحة النفس والبال كى يقاوم عدوه الداخلى ـ السل ـ الذى انشب أظافره فى رئتيه .. وقد أشار لورنس الى مأساته هذه فى حديث له مع « ايرل بروستر » فى لقائهما بجنوب فرنسا قبيل وفاة الاديب بأسابيع ، حين نقر على صدره

**« ان الكراهية التى أثارتها كتبى ضدى ترتد الى ، وتنشب مخالبها هنا ! »**

.. وسترى ان اضطهاد الرقباء للورنس لم يكن لوجه الأدب والاخلاق وحدهما ، وانما شابته شائبة من النزعات السياسية الاستعمارية ، **فقد كان لتنديده ـ فى احدى رواياته التى حوربت ـ بالروح الاستعمارية البريطانية فى حرب ( البوير )** ، التى اشتعلت فى جنوب افريقيا بين أهل القارة وبين مستعمريهم الانجليز فى مطلع هذا القرن .. **دور ايجابى مستتر** اعترف به المعلق الانجليزى « هارى مور » فى كتاب حديث له ، كما سيجىء !

**على ان ذلك** لاينفى إن مفتاح اية دراسة لأدب «لورنس» ،

هو الاعتــراف بادىء ذى بــدء بأنه كان على الدوام رائدا « جريئا » لموضوع « الجنس » ، داعية الى معـالجته فى الأدب والقصـــة بصراحة علمية ونفسية لم تــكن مألوفة فى عصره ، قبل شيوع نظريات « فرويد » ..

**ذكريات صباه ، تلقى ضوءا على شخصيته**

**وقد** ظهرت بوادر هذه الجرأة والصراحة عند لورنس قبل ان يكتب بواكير انتــاجه الأدبى ، **اذ تروى رفيقــة صــباه ويفاعته (( جيسى تشيمبرز ))** ـ وهى التى رسم على صورتها شخصية « ميريام » فى قصته المعروفة ( أبناء وعشاق ) ـ انهما عندما كانا يقرآن معا مسرحيــات « ابسن » بصـــوت مسموع ، كانت تخجل من ان تنطق بعبــارة « يتخــذ له خليلات » الواردة فى المسرحية ، فكان لورنس يعنفها ويلومها من أجل هذا « الفرار من الواقع » !

**كما روت (( أشسا برويستر )) ـ صديقته فى مرحلة تالية من حياته** ـ فى مذكراتها عنه ، ان احد معلميه فى المدرســة وبخه ذات مرة لاستعمــاله لفظ « الحصـــان الطلوقة » فى موضوع دراسى كتبه فى الفصل . وحين روى لورنس هذه الحكاية لمستر برويستر وزوجته ـ والدى صديقته ـ بعد حدوثها بسنوات ، نكس راسه كأنما خجلا من أجل الجمهور « الذى لا يستطيع مواجهة الحياة ! »

وقد كان لورنس فى شبابه خاضــعا لسلطان أمه ، التى كانت معلمة تنتمى الى طائفة ( البيوريتان ) المتزمتين ، ولم يكن تزمتها مقصورا على رفضها تعلم اللهجة العامية لاقليم (ميدلاندز) التى يتحدث بها زوجها وأصدقاء أطفالها ـ وقد كان زوجها من بيئة عمال مناجم الفحم ! ـ وانما جاوز ذلك الى منعها أولادها من التحدث بتلك اللهجة السوقية فى البيت!

وكان من الطبيعى ان تتطلب مثل هــذه الأم فى القصص

التى يؤلفها ابنها ان تكون ذات نزعة « طهرية » .. وفى هذا الصدد تروى « جيسى تشيمبرز » فى مذكراتها ان لورنس حين جعل بطل روايتـــه الاولى **« الطاووس الابيض »** يغرر بالبطلة ويعتدى عليهـــا ، واطلعت أمه على المســـودة الاولى للقصة ، شكت الى « جيسى » معربة عن ألمها لتصرف ابنها ، بقولها : **«تصورى ان « ابنى » انا يكتب مثل هذه الرواية ! »** .. ثم مرضت الأم واشتد عليها المرض فلم تقرأ «البروفة» الاخيرة للقصة ، وماتت قبيل صـــدور الكتاب فى يناير عام ١٩١١ بنحو شهر واحد !

ومما يذكر فى صدد نشر هذا الكتاب ، ان لورنس حين فرغ منه ، دفع به الى الناشر المعروف « وليم هاينمان » الذى كان قـــد « اجتـــرأ » قبـــل ذلك على نشر كتب « تولستوى » و « ابسن » ــ وكانا يعتبران يومئـــذ من المؤلفين الذين تصدم كتبهما مشاعر الجمهور الانجليزى ! ــ فلما أوشكت مرحلة طبع ( الطاووس الابيض ) أن تتم ، أعاد الناشر الى لورنس صفحة ٢٣٠ من المخطوط ، طالبا اليه أن يحذف منها فقرة « قد تصادف اعتراضا من البعض » ، ويكتب بدلا منها عددا مماثلا من « الكلمات التى لا تحتمل اعتراضا من أحد » !

وكانت تلك اولى المصادمات بين نزعة لورنس المتحـــررة وبين تقاليد مجتمعه المتزمتة . وقد استجاب فى تلك المرة لرغبة الناشرين ، لكنه ازداد تشددا معهم فى المستقبل ، وقل استعداده للمساومة ، كما سنرى !

**على ان** مؤلفات لورنس الاولى ــ سواء فى ذلك قصصه أو دواوينه الشعرية ــ استقبلت بوجه عام بالمديح والثناء من جانب كبريات الصحف البريطانية والامريكية .. أما النقاد فكان موقفهم مغايرا ، اذ توالت تعليقاتهم التى وردت فيها هذه العبارات والنعوت للورنس : « صريح أكثر من المناسب »

.. « ينحـو منحى زولا » .. « منحل » .. « ينزع الى الادب الجنسى » .. الخ .

## الناشرون يتحكمون فى انتاجه !

**وكانت** نتيجة هذه الحملات ان خشى الناشرون من نشر انتاج لورنس كما هو ، بدون تعديل ، فكانوا اذا رفض اجراء التعديلات التى يطلبونها ، يعمدون هم أحيانا الى تعديل أو حذف العبارات التى لا تروق لهم . بل لقد تجـاوز الأمر هذا النطاق حين قدم لورنس روايتـه المعروفة **( ابنـاء وعشاق )** الى ناشره « وليم هاينمان » ، فقد رفضها بأكملها .. بحجة انها « كتاب غير نظيف » !

لكن ناشرا آخر ، هو « دكورث » ، نشر ( ابناء وعشاق ) فى عام ١٩١٣ . وامتدحها أكثر النقاد ، ولو ان بعضهم انضم الى النـاقد المجهول لصحيفة ( نيشـن ) اللنـدنية ، الذى أعرب عن نفوره من بطل القصة !

وكانت قصة لورنس التـالية ــ **( قوس قزح )** ــ أتعس من هذه حظا ، فقد رفضـها الناشر « دكورث » **لأنهـا لم** تعجب محـررا فى داره يدعى « ادوارد جارنيت » ! وكان جارنيت صديقا للورنس ، وقد اقترح عليه ان يعيد كتابتها بطريقة معينة ، لكن لورنس أبى ذلك .. وأخيرا قبلت دار ثالثة للنشر ، أكبر من تلك ــ هى دار « ميثيوين » ــ أن تنشر الرواية الحائرة !

وكانت ( قوس قزح ) ، كما وصـفها النـاقد المنصف ريتشارد الدينجتون : « ثمرة صبر طويل ، وكتابة ــ واعادة كتابة مركزتين .. وما من كاتب يبغى مجرد كتابة قصة « مكشوفة » يقبل بذل كل هذا الوقت والمجهود ! »

على أن القصة لم تكد تصدر ــ فى ٣٠ سبتمبر عام ١٩١٥ ــ حتى انطلق النقاد يتصايحون : « انها أسوأ من قصص زولا ! »

.. « أنها بذيئة » .. « فاجرة » .. « القذارة فيها تطغى على الفن » .. الخ

**وانتهت هذه الحملة** بأمر صدر فى ٣ نوفمبر الى المفتش « البرت دريبر » من ( سكتلنديارد ) **بمصادرة الكتاب** لدى الناشرين ، فصادر نحو الف نسخة وجدها لديهم ! .. لكن هؤلاء رحموا أعصاب لورنس فلم يخطروه بالملابسات والمتاعب التى تعرضوا لها . وفى ١٣ نوفمبر عرض النزاع على محكمة ( باو ستريت ) ، وكان دفاع الناشرين انهم اعادوا المخطوط الى المؤلف مرتين لمراجعته وتعديله ، فقام بالمهمة ، ثم « رفض أن يفعل شيئا آخر ! »

وبعد ان أعرب الناشرون عن أسفهم وقدموا الاعتذار الكافى ، أصدر القاضى حكمه باعدام النسخ المضبوطة فى غضون سبعة أيام ، والزامهم بالمصاريف وقدرها عشرة جنيهات . وهكذا ألفى لورنس نفسه **« كاتبا فقيرا سوف يظل الناشرون زمنا طويلا يتجنبون التعامل معه وينفرون منه ! »** .. فضلا عن المتاعب التى لحقته بسبب زواجه من « امرأة دخيلة ، من الاعداء » ، اذ كانت زوجته من أصل ألمانى ، فى وقت كانت فيه انجلترا مشتبكة فى حرب مع ألمانيا !

على ان مصادرة ذلك الكتاب كان وراءها سبب مستتر ، أهم بكثير من تهمة « الادب المكشوف » ، فقد ردد الاديب « ماى سينكلر » فى مجالسه ــ وكان أحد القلائل الذين دافعوا عن كتاب ( قوس قزح ) فى ذلك الحين ــ ان سبب المصادرة كان « سياسيا » ! .. كما يقرر الباحث « هارى مور » نقلا عن « ريتشارد الدينجتون » ان **الدافع الحقيقى لمصادرة القصة هو انها تنطوى على نقد لاذع لوجهة النظر الاستعمارية فى حرب ( البوير ) ، الأمر الذى أدى الى اعاقة حركة تجنيد المواطنين للقتال فى تلك البلاد، فتراخت بصورة ملحوظة !**

.. وقد تسربت تلك الهمسات والاقاويل المكتومة الى الرأى العام العالمى . حين نشرت احدى صحف نيويورك فى عام ١٩٢٠ مقالا بقلم « جلبرت كانان » صرح فيه بأن « هستيريا الحرب » هى المسئولة عن مصادرة ( قوس قزح ) !

على ان الضجة التى أثارها الكتاب لم تنته بمصادرته ، فقد وعدت « جمعية المؤلفين » بأن تتبنى قضية ( قوس قزح ) وتكافح لكسبها .. فى الوقت الذى اقترح فيه بعض أصدقاء لورنس عليه أن يرفع الأمر للقضاء العالى . لكنه كان مجردا من السطوة والنفوذ ، فلم يأخذ بالنصيحة .. على ان صديقا له ـ هو « فيليب موريل » ، عضو البرلمان البريطانى ، وعضو حزب الاحرار ـ **تقدم الى مجلس العموم فى جلسة ١٨ نوفمبر بسؤال فى صدد مصادرة الكتاب** ، ختمه بالتساؤل عما اذا كانت قد اتيحت للمؤلف فرصة ممارسة حقه الشرعى فى دفع التهمة عن نفسه ؟ !

وبعد مناقشات « بيزنطية » استمرت طوال تلك الجلسة وامتدت الى جلسة أول ديسمبر ، اقفل باب المناقشة فى الموضوع ، دون الوصول الى نتيجة ايجابية !.. وبعد يومين ، صرح لورنس لليدى موريل ـ زوجة صديقه عضو البرلمان ـ بأن محاميا كبيرا نصحه برفع دعوى جنحة مباشرة ضد اثنين من النقاد الذين هاجموه ، لكنه عقب على هذه النصيحة بقوله : « ان روحى المعنوية لن تصمد للصراع ، فلقد ضقت ذرعا بهم ، ولن ابذل المزيد من نفسى : حتى من أجل الإنتصار عليهم ! »

## سنوات الفقر .. والمذلة

**وكان** يأمل أن يفر من هذه المحنة الى أمريكا ، لكن المطاف انتهى به الى الاقامة فى اقليم ( كورنوال ) ، حيث عاش سنتين فى فقر مدقع ، ومذلة ، فضلا عن استهدافه للتجسس

عليه ، ولكافة صنوف الآلام التي تكاثرت عليه .. وفي تلك الاثناء صدرت في أمريكا طبعة مهذبة من ( قوس قزح ) ، عام ١٩١٦ .. ولكن فيما عدا ذلك لم يقدم ناشر على اصدار اية قصة للورنس حتى عام ١٩٢٠ ، وان أصدر أحدهم له كتابا « بريثا » في الرحلات ، وديوانا من الشعر ، بعد ان حذف منه ما رأى حذفه ! .. وفيما عدا مجلة « انجليش ريفيو » ، فقد تجاهلته أكثر المجلات وأعرضت عنه !

**وزادت من حدة الحملة عليه معارضته لفكرة الحرب ، واعتباره اياها مجهودا عقيما وتضحية لا جدوى منها** ، في الوقت الذي كانت فيه انجلترا مشتبكة في الحرب العالمية الطاحنة .. ولم يشفع له ان ابن‌عم زوجته المدعو « مانفريد فون ريشتوفن » كان أعظم أبطال المعارك الجوية في تلك الايام ، في الجانب الألماني بالطبع .. بل لعل ذلك ضاعف موجة الكراهية له ، وأثار شكوك المسئولين في وطنيته !

وأخيرا ، في أكتوبر ١٩١٧ ، أمرت السلطات بنقل لورنس وزوجته من منطقة الساحل ، وألزمتهم بأن يتقدموا الى ادارة الشرطة في لندن بانتظام كل فترة معينة .. **كما تزايدت حركة التجسس عليه ومضايقته** .. الى ان وجد مخرجا من هذا العذاب بالانتقال الى مسقط رأسه في اقليم ( ميدلاندز ) ، حيث قضى المدة الباقية حتى انتهاء الحرب ، فقيرا ، محروما من كل فرصة لنشر انتاجه الادبي .

.. فلما استطاع مغادرة انجلترا ، بعد توقيع الهدنة العالمية بنحو عام ، فعل ذلك غير آسف ، وكان ذلك آخر عهده بالاقامة المستقرة في وطنه .. ولو انه ادخر المزيد من المساجلات وجولات الصراع مع الرقباء الانجليز للأعوام التالية !

**على ان** جولته التالية كانت مع السلطات الامريكية لا الانجليزية .. فقد ابتاع منه ناشر جديد يدعى « توماس

سلتزر » قصته الجديدة (( **نساء عاشـقات** )) ، كي ينشرها فى طبعة محدودة للمشـتركين فيهـا فحسب ، فى نوفمبر ١٩٢٠ ، بعد ان ظلت القصـة حائرة تبحث عن ناشر طيلةاربع سنوات !..ثم أصدر الناشر طبعةعادية منها فيعام ١٩٢٢ .

## القارئة التى جلبت عليه الكوارث !

**لكن** المتاعب بدأت ذات مسـاء حين عاد « جون فورد » قاضي المحكمة العليا بنيويورك الى داره فوجد ابنتـه تقرأ ( نساء عاشقات ) . واذ ذاك ثارت ثائرته فحرض جمـاعة « الكتب النظيفة » وجماعة « مكافحة الرذيلة » على محاربة الكتاب . لكن حملتهم فشلت ، فربح الناشر المعركة ، بل وطالب بتعويض قدره عشرة آلاف جنيـه اسـترلينى ! .. وكان عدد من أطباء نيويورك قد أداوا بشـهادتهم لصـالح الكتاب ، فأصدر القاضى حكمه الذى ورد فيه « ان لورنس يحاول جادا اكتشـاف القوة الدافعة للحياة . »

وبمضى الايام وتباعد ذكرى الحرب واجراءاتها الاستثنائية، خفت القيود وازداد التسـامح والحرية ، فكلفت جامعـة اكسفورد «لورنس» ـ فى مارس عام ١٩٢١ ـ بأن يؤلف لها كتابا دراسيا عن **((اتجاهات التاريخ الاوربى))** ، وان حرصت على اغفال اسم لورنس كمؤلف للكتاب، وابداله باسم مستعار !

ثم رحب الناشر الانجليزى «سيكر » بنشر قصة لورنس الخامسة (( **الفتاة المفقودة** )) ، بعد حذف بضع فقرات منها ، فكان ان فازت بجـائزة جامعة ( ادنبرة ) لأحسن قصة فى العام ! .. واذ ذاك تشجع الناشر فأصدر ( نساء عاشقات ) فى لندن ، فى مايو ١٩٢١ .

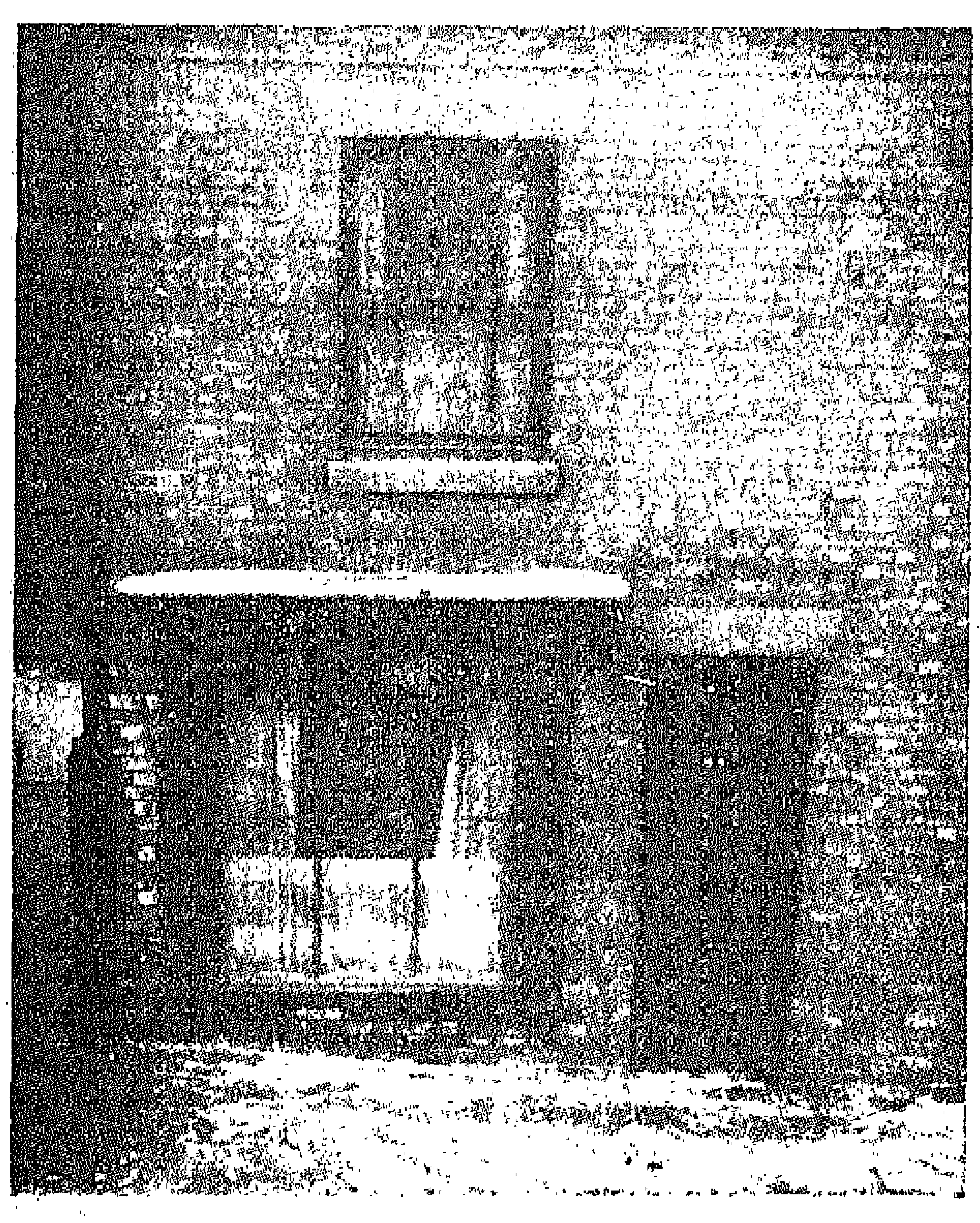
وعندئذ قامت قيامة الصحف الانجليزية ! .. وكانت أعلى الصـيحات تلك التى اطلقتها صـحيفة ( جون بول ) الواسعة الانتشار ، اذ صدرت وفى رأس صفحتها الاولى

هذا العنوان : (( **كتاب يجب ان تصادره السلطات .. دراسة بغيضة للانحلال الجنسى ، تقود الشباب الى هاوية ليس لها قرار !** ))

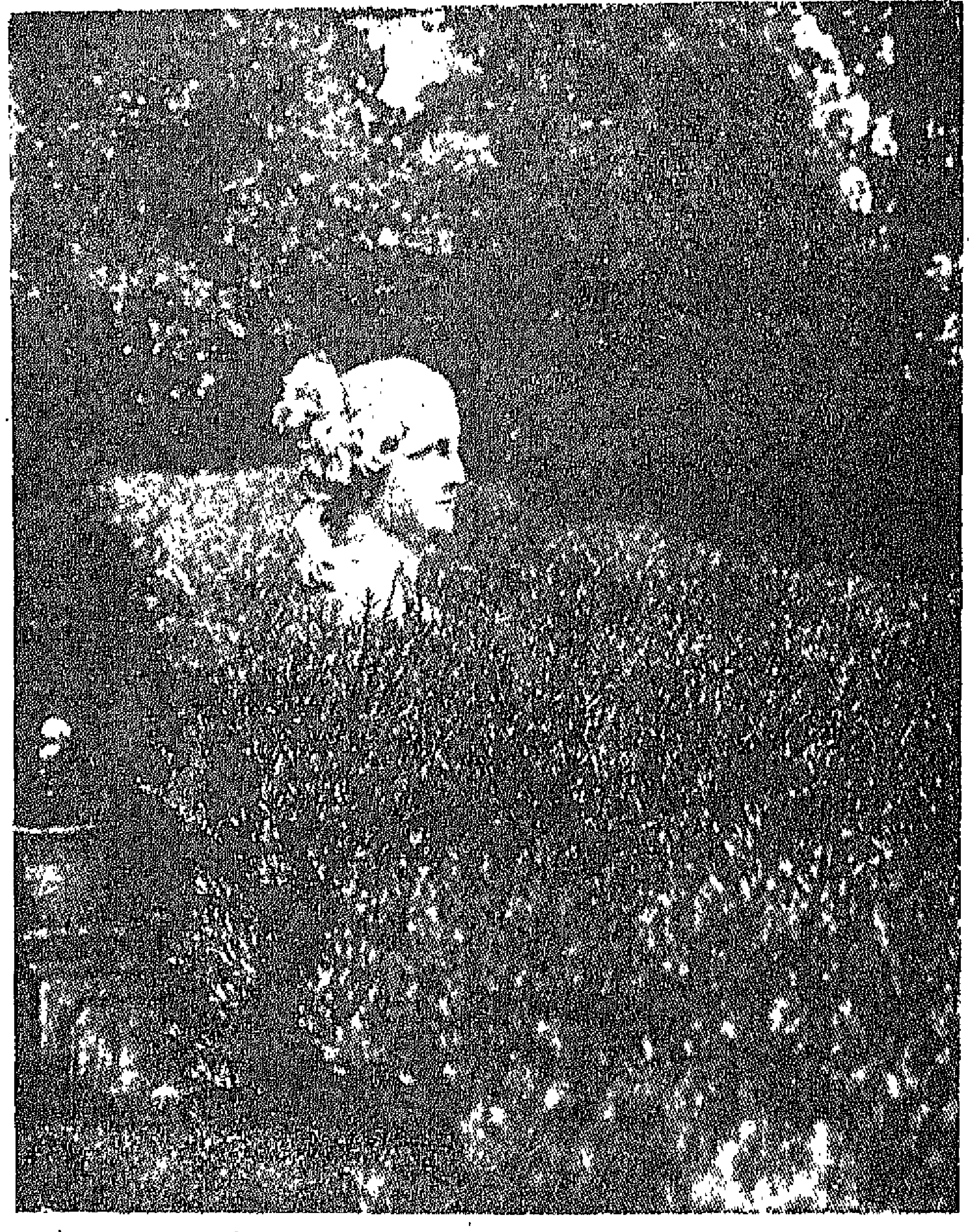
ولكن لم تمض أسابيع ، حتى تورط صاحب الصحيفة فى شر أعماله ، اذ قدم للمحاكمة بتهمة القذف والتغرير بالرأى العام ، ولم يفلح فى تحريضه على مصادرة الكتاب .. ورغم ان صحفا أخرى ، أكثر وقارا ، واصلت الحملة ضد ( نساء عاشقات ) ، فان أحدا لم يصادر القصة .. ولو أن متاعب أخرى لم تلبث أن تشعبت عنها ، حين هدد احد البارزين فى المجتمع الانجليزى يومئذ برفع دعوى ضد الناشر ، بسبب احتواء القصة على شخصية فيها تعريض (( كاريكاتورى )) بشخصه ، فاضطر (( لورنس )) الى تغيير ملامح تلك الشخصية فى الطبعة التالية للقصة !

وفى تلك الاثناء كان القضاء قد بدأ يخفف قبضته على الكتب التى يرفع أمرها اليه بغية مصادرتها .. وهكذا ربحت المعركة كتب مختلفة ، بعضها تافه رخيص مثل (( جورجين )) و (( بئر الوحدة )) ـ والأخير قصة وصفت فيها مؤلفتها (( رادكليف هول )) عشق امرأة لامرأة ! ـ ثم توجت هذه النزعة الى حماية حرية الرأى باطلاق سراح قصة (( جيمس جويس )) المشهورة ( أوليسيس ) فى عام ١٩٣٣ كما أسلفنا .

**لكن** لورنس ظل رغم الضجة التى كانت تثيرها كتبه ، أديبا من أدباء الخاصة او الاقلية ، لا يتمتع بشعبية بين القراء ولا يظفر بمديح يذكر من جانب النقاد والمعلقين .. وكان ايراده من انتاجه الادبى قد ارتفع الى نحو الف جنيه انجليزى فى العام ، وهو مبلغ كان لا بأس به فى تلك الايام ، سيما بالنسبة لرجل معتدل ومقتصد فى نفقاته . **ولكن لورنس كان مثقلا بأعباء تنقلاته المستمرة ورحلاته فى انحاء**



واجهة البيت الذى ولد فيه ((لورنس)) ( فى شارع فيكتوريا بمدينة ايستوود ، باقليم نوتنجهامشاير ) يوم ١١ سبتمبر ١٨٨٥ ، حيث كان أبوه يعمل فى منجم للفحم الحجرى . وحين بلغ العاشرة انتقلت الاسرة الى منطقة (الشرخ) التى أشار اليها فى قصته (أبناء وعشاق) ، وقد وصفتها شقيقته ((ادا)) بقولها : (( كان بيتنا فى نهاية صف من بيوت يملكها أصحاب المنجم .. وكانت تحيط به ، من ثلاث جهات ، حديقة عامرة بشجيرات الزبيب البناتى والورد الابيض .. ))



حديقة قصر(جارسنجتون) الذى وضعته ((ليدى موريل)) تحت تصرف ((لورنس)) كى يقضى فيه بضعة أسابيع .. وقد كتب اليهـا رسالة شكر ، جاء فيها : (( انه مثل قصر أبطال ((بوكاشيو)) الذى رويت فيه قصص ( ديكاميرون ) .. ذلك المرج العجيب الملىء بالاشجار ، تتوسطه الدار القديمة ذات الواجهة العريقة الجميلة . انها من القدم بحيث تبدو بمثابة عالم صغير مستقل بذاته تماما ، يستطيع المرء فيه أن يفر من الاشياء الدنيوية التافهة ، كى يهتم بالامور الهامة .. ))

**القارة ، بحثا عن الصحة وسكينة النفس .. وخلال تلك الرحلات اتيحت له الفرص لملاحظة السلوك البشرى فى شتى مظاهره الجوهرية ، فلم يعجبه الكثيرمما رأى وسمع ،** ولو أن قدرا كبيرا من انتقاداته للحياة فى عصره انما كان ثمرة تجاربه ومشاهداته الباكرة ، فى المراحل الاولى من حياته . كان قد رأى فى طفولته كيف تجنى على بعض الافراد روح التجنيد الجماعى التى تلازم التصنيع .. وبحكم نشأته بين بقايا غابة ( شروود ) ، رأى دخان مناجم الفحم الحجرى يلطخ جمال الطبيعة التى كانت من قبل فاتنة .. كما لمس كيف تغزو آلية الحياة عواطف البشر ، وتقتلها ، ولا سيما عاطفة الحب ..

على أن لورنس لم يقنع بالملاحظة السلبية ، وانما بحث عن العلاج لمشكلات المدنية ، فدرس الفلسفات الاجتماعية المتنافسة ـ كالفاشية والشيوعية ـ وانتهى بعد نقدها نقدا عميقا ، الى نبذها

.. على ان لورنس لم يلبث أن سئم محاولات قيادة الرأى العام فى المجال السياسى ، ووضع النظريات لاقامة دولة مثالية فاضلة (يوتوبيا) . . واكتشف فى النهاية حاجةالبشرية الى التعاون والمحبة ، أو على حد تعبيره فى عنوان بحث كتبه فى تلك الآونة : (( **انتا فى حاجة الى بعضنا البعض** )) . **نعم ، كان الحب هو جواب الحيرة والتساؤل اللذين عانى منهماطويلا** .. « الحب العاطفى المنطلق ، لا الحب الذى تسيطر عليه الارادة ويلجمه العقل ـ والذى هو ثمرة حضارة كسيحة ـ وانما حب يحرق الخجل وجميع العوائق الاخرى التى تعترضه .. »

وكانت مقالات لورنس و « فلسفته » تجىء دائما فى مرحلة لاحقة للتعبير عن آرائه بالقصص والاشعار « .. ذلك أن الروايات والقصائد تنساب فى أول الأمر من قلم الكاتب غير

ملحوظة . ثم يبدأ بعدها احساسه بالحاجة الى اتخاذ مسلك عقلي معين نحو نفسه ونحو الأشياء عموما ، ومن ثم يحاول ان يستخلص بضعة نتائج محددة من خبرته وتجاربه ككاتب وكانسان . »

وهكذا انسابت قصته ( عشيق الليدى تشاترلي ) من قلمه ، غير ملحوظة . . أو على حد تعبيره فى مقال له عنها : « عندما خلقت شخصيتي بطلى القصة ـ « كليفورد » ، و « كونى » ـ لم تكن فى ذهنى فكرة محددة عنهما وعن أسباب وجودهما ، وانما انساق بهما قلمى دون تكلف أو صناعة » . . أما الشخصية الثالثة فى القصة ـ وهى شخصية العشيق ـ فقد غير فيها لورنس وبدل : خلال الطبعات الثلاث للقصة ، التى كتبها من أواخر عام ١٩٢٦ حتى أوائل عام ١٩٢٨ . . **بل ان التغيير تناول اسم العشيق ذاته ، فبعد ان أطلق عليه فى الطبعة الأولى اسم « باركين » ، غير الاسم بعد ذلك فجعله « ميلورز » !** . . وبعد أن كان « باركين » فى القصة الاولى أقرب الى الشخصية « الاجتماعية » ، صار الحافز الاجتماعى عند « ميلورز » فى القصة الثالثة ضمنيا اكثر منه صريحا مباشرا ، وبالتالى ازداد عنصر الحب رسوخا فى شخصيته .

## ايطاليا ملاذ الأدباء المضطهدين !

**وقد** أدرك «لورنس» منذ البداية ان هذا الكتاب سيجلب عليه المتاعب من جانب سلطات الرقابة . . بل ان ناشريه انفسهم رفضوا مجرد التفاوض معه فى امر نشر الكتاب ، فلم يجد مفرا آخر الأمر من ان يتولى مهمة النشر بنفسه ، بمعاونة « كتبى » ايطالى فى ( فلورنسا ) يدعى « جيزيبى أوريولى » ـ ( كما وجد « باسترناك » فى الاعوام الاخيرة لدى الناشر الايطالى « فيلترينيللى » العون الوحيد على

نشر قصته الكبرى ( دكتور جيفاجو ) ، قبل أن تذيع صيتها ضجة فوزه بجائزة نوبل ! )

وقد طبع « اوريولى » الكتاب فى مطبعة صغيرة ، وكان عامل جمع الحروف الذي تولى صف حروفها يجهل الانجليزية، فوقع فى أخطاء مطبعية كثيرة مضحكة . وكان لورنس قد حذر الناشر من موضوع القصة وصارحه بمضمونها ، لكن هذا هز كتفيه فى غير مبالاة وقال : « أوه ، اننا نفعل هذا الذى ترويه القصة، كل يوم ! » .. وتقول « فريدا » زوجة « لورنس » — فى صدد ظروف نشر القصة — **ان لورنس كان يتوقع (( المحنة )) التى تنتظره ، وانه كان (( خائفا )) .. لكنه ملك الشجاعة التى مكنته من المضى قدما فى طريقه !**

.. وقد عادت عليه المجازفة بالربح فى أول الأمر ، فان « المشتركين » لم يلبثوا أن استنفدوا الألف نسخة التى طبعت من الطبعة الأولى ، وقد بيعت النسخة منها بجنيهين .. ثم توالت الطبعات فحققت كلها رواجا طيبا ، ولو ان « قراصنة » النشر لم يلبثوا ان قطعوا على لورنس طريق الربح ، ولا سيما فى الولايات المتحدة ، فان منع نشر الكتاب فى انجلترا وأمريكا بصفة رسمية بواسطة كبار الناشرين المعتمدين قد فتح أمام القراصنة طريق استغلال المؤلف فى السوق السوداء !

## طوفان من المتاعب ..

**ولكن** ، اذا كان الكتاب قد جاء عونا للورنس من الناحية المادية ، فانه كان السبب فى تدمير صحته . ذلك انالارهاق العصبى الذى أصابه من جراء الهموم المترتبة على اشكالات نشر الكتاب ، والتحامه بسببه كل حين مع سلطات الرقابة ، قد عجل بموته .. فقد استمرت تلك الاشكالات طوال عامى ١٩٢٨ و ١٩٢٩ ، فى الوقت الذى كان فيه لورنس مريضا

بداء الصدر ، يتنقل بين جبال الألب السويسرية ، وشاطىء الريفييرا الفرنسية . وكان يتلقى كل يوم خطابات بهذا السن من شتى المصادر والطبقات .. من أصحاب المكتبات، والنقاد ، وعامه القراء ، فكان لورنس يخط على هوامشها تعليقات عاجلة ويحولها الى الناشر الايطالى « اوريولى » كى يتولى الرد عليها .. **وانه لمن سخرية القدر أن يشغل كاتب من حصب مؤلفى العصر الخلاقين ــ وكاتب مريض ! ــ بكتابة رسائل ادارية محضة** ، على نحو لم ينغمس فيه من انداده سوى « كافكا » ــ الذى كان من « الكتبة » باحدى شركات التامين ــ و « اليوت » ، الذى كانت أعباء عمله كناشر ستنفد أكثر وقته !

وخلال عملية توزيع ( عشيق الليدى تشاترلى ) ، استمر لورنس فى كتابة أشعاره ، ومقالاته، وقصصه .. كما واصل مراسلاته العديدة مع اصدقائه فى انجلترا ، الذين أخفوا نسخا مهربة من الكتاب فى مساكنهم بلندن أو بيوتهم الريفية فى الضواحى .. ومن هناك كانوا يرسلونها بالبريد الى المشتركين الذين أرسلوا فى طلبها من فلورنسا .

أما فى أمريكا فكان حظ الكتاب اتعس ، لا بسبب قراصنة النشر وحدهم ، **وانما بسبب موظفى جمارك نيويورك ، الذين كانوا يصادرون النسخ المرسلة بالبريد ، ثم يبيعونها خلسة فى السوق السوداء بضعف ثمنها !** .. فاضطر لورنس آخر الأمر الى توصية ناشره الايطالى بأن يغلف النسخ قبل ارسالها بغلافات مزيفة لكتب أخرى لا غبار عليها !

.. فى الوقت الذى واصل فيه أعداء لورنس حملاتهم ضده وضد الكتاب فى مختلف الصحف، وفى مقدمتها صحيفة (جون بول ) .. كما ضيق أعداؤه من رجال السلطات والمسئولين الخناق على المنافذ التى تتسرب منها كتبه ومطبوعاته الى البلاد ، فأقاموا حصارا محكما اشركوا فيه مفتشى

( سكوتلنديارد ) ، وموظفى البريد والجمارك .. وفى يوم ٧ يناير عام ١٩٢٩ ارسل لورنس من جنوب فرنسا ، بالبريد المسجل ، مخطوط ديوانه الشعرى الجديد الى وكيله فى لندن، وكتب على المظروف ما يوحى بانه يحوى أوراقا ومستندات خاصة ببعض الاعمال .. لكن المخطوط وقع لسوء حظه فى يدى مفتشى البوليس ، فصادره وزير الداخلية ولم يسلمه الى الناشر الا بعد ان أشر بحذف ١٤ قصيدة منه !..وصدر الديوان بالفعل على تلك الصورة الناقصة المشوهة ، لكن صديقا المؤلف لم يلبث ان أصدر طبعة محدودة ( من خمسمائة نسخة ) من الديوان بأكمله ، فى صورته الاصلية الكاملة ، فكان ربح لورنس منها خمسمائة جنيــه ، اذ كان اجراء وزير الداخلية بحذف بعض القصائد خير دعاية أعانت على ترويج الديوان !

## ١٢ ألف زائر ، لمعرض لوحاته !

وفى ذلك العام ــ ١٩٢٩ ــ تعرض لورنس لمحنة أخرى مع سلطات الرقابة ، بسبب المعرض الذى أقيم لرسومه ولوحاته فى قاعة ( وارين جاليرى ) بحى ( ماى فير ) . وقد سافرت زوجة لورنس « فريدا » الى لنــدن لحضــور المعرض ، أما لورنس نفسه فانه اتجه الى ايطاليا لزيارة صديقه « ألدوس هكسلى » وزوجته . وقد افتتح المعرض فى ١٤ يونية ، فى الوقت الذى ظهرت فيه طبعــة ملونة من لوحاته فى كتاب . **وخلال الاسابيع الثلاثة التى ظل فيهـا المعرض مفتوحا للجماهير ــ قبل أن تغلقه سلطات البوليس فى ٥ يوليو ــ زاره اثنا عشر ألف شخص**، وفى هذه المرة جاء دور نقاد الفن كى يهاجموا لورنس ، من الناحيتين الفنية والاخلاقية . وفى الخامس من يوليو أقبل رجال الشرطة فنزعوا ١٣ لوحة، كما أخذوا أربع نسخ من الكتاب الذى يضم طبعة ملونة من لوحات

# رجال "أرامكو"



تحتاج صناعة الزيت الى كثير من المعلومات . فسجلات الضغط والحرارة التي تؤخذ من المناطق التي تحتوي على الزيت داخل الارض هامة جدا . وتظهر هذه المعلومات الحالات التي بموجبها تعرف نسبة انتاج الزيت في باطن الارض .

والسيد عبد الرحمن سليمان العجاجي هو المشرف على الموظفين الذين يقومون بهذه القياسات . ومن عمله فحص الالات ومعرفة دقتها بمقاييس ثابتة كما يظهر في الصورة .

وقد التحق السيد عبد الرحمن في شركة ارامكو في عام ١٩٤٨ ، فعمل في فرقة قياس الحرارة والضغط ، ثم في مراكز فرز الغاز من الزيت حتى أصبح مشغلا أعلى خارج الورشة . وفي اوائل هذا العام عاد الى العمل فاصبح مشرفا بقياسات الحرارة والضغط .

وقد درس السيد عبد الرحمن سبع سنين في بلدة ظرما في نجد . وبعد ان التحق بشركة ارامكو واصل دراسته خلال ساعات العمل وبعدها في مدارس الشركة ، حيث درس الجبر والهندسة والعلوم الطبيعية بالاضافة الى اللغتين العربية والانجليزية فساعدته هذه الدروس على التقدم المستمر .

وقد سافر السيد عبد الرحمن أخيرا الى الولايات المتحدة الامريكية اذ مهدت له الشركة السبيل ليعمل هناك لمدة سنة يتمرن خلالها على أعمال تسجيل الحرارة والضغط في حقول متعددة للزيت وسيعود الى ارامكو حاملا معه مزيدا من المعلومات والخبرة في هذا الباب .

## أرامكو : شركة الزيت العربية الأمريكية

الظهران - المملكة العربية السعودية

الروائى الشاعر الرسام « د. هـ. لورنس » .
وعرضت الدعوى الخاصة بتلك الرسوم فى ٨ أغسطس أمام القضاء . وكان القاضى فى الثانية والثمانين من عمره ، فرفض الاستماع الى شهود الدفاع من خبراء الفن .. فى الوقت الذى طالب فيه الاتهام باحراق اللوحات المصادرة !
.. واخيرا صدر الحكم بتسليمها الى أصحاب المعرض ، ولكن بشرط الامتناع عن عرضها !

**« ألدوس هكسلى » يخف الى نصرته ..**

**ومن ايطاليا ، حيث كان لورنس يستشفى من دائه ، ارتفع صوت الفنان المضطهد يلعن قومه** ـ الذين لم يقدر له أن يلتقى بهم ثانية فى موطنهم ـ ففى ديوانه التالى ، سخر لورنس من نقاد الفن، والرقباء، وجماهير الشعب البريطانى !
.. ثم انضم اليه « ألدوس هكسلى » فى مقال نشره فى نوفمبر ١٩٢٩ بصحيفة ( فانيتى فير ) الامريكية ، كما دافعت عنه الأديبة « ربيكا وست » فى صحيفة أمريكية أخرى تدعى ( بوكمان ) ، ووصفت منع عرض اللوحات بأنه « عمل ينطوى على عدم التبصر الى درجة مفزعة ، **فى حق فنان لعله أعظم عبقرى فى عصرنا .. وهو من الحساسية بحيث يكفى هذا الحادث كى يشل انتاجه الأدبى والفنى .** »
على أن لورنس خرج من محنة منع عرض لوحاته ، محطم الاعصاب ، ممرور النفس ، متفاقم العلة .. وكانت تلك هى الفترة التى شكا فيها الى صديقه « ايرل بروستر » بقوله ، وهو يتحسس صدره بأصابعه : « ان الكراهية التى أثارتها كتبى ترتد الى وتنشب مخالبها هنا ! »
**ولم تمض** أسابيع، حتى قضى عليه داءالرئة ـ فى ٢ مارس ١٩٣٠ ـ فى ضاحية ( فينس ) ، من ضواحى ( نيس ) بفرنسا ، قبل أن يكمل عامه الخامس والاربعين .. ورغم قصر

عمره ، وضعف صحته الهشة ، فقد عاش حياته مشتعل النشاط والحمية ، عملاقا في طاقته الانتاجية الجبارة ، **فترك وراءه نحو خمسين كتابا ، في شتى فروع الأدب والكتابة : في القصة الطويلة ، والقصيرة ، والمسرحية ، والشعر ، والمقالة وادب الرحلات** .. وقد اعانه على الابداع في هذا اللون الاخير من الكتابة انه قضى أكثر حياته متنقلا بين القارات الخمس ، سعيا وراء انتجاع الصحة التي كان محروما منها .. فزار الكثير من بلاد اوربا، كما **زار استراليا ، والهند ، والولايات المتحدة الامريكية ، والمكسيك** .. الخ

على ان قصة لورنس مع سلطات الرقابة لم تنته بانتهاء حياته .. فبعد وفاته بأقل من أسبوعين ، شن عليه الشيخ الامريكي السناتور « ريد سموت » حملة في مجلس الكونجرس، خص فيها بهجومه قصة ( عشيق الليدي تشاترلي ) بوجه خاص ، فتصدى له السناتور « برونسون كاتنج » بالقول ان من يبغي تصيد المثالب والاخطاء ، لا يصعب عليه أن يجد في ( التوراة ) نفسه فقرات تخدش الحياء ! .. وفي احدي الحملات التي أثيرت حول أدب لورنس ، تصدى للدفاع عنه الناقد الكبير المعاصر « **ت . س . اليوت** » ـ الفائز بجائزة نوبل ، والذي كان مذهبه في النقد محل معركة بين نقادنا العرب في القاهرة منذ أسابيع ـ فقال عنه : **« ان تأثير لورنس على عصره يفوق تأثير اى أديب من معاصريه ! »**

## « لورنس العرب » يؤيد « لورنس » الأديب ..

وثمة دفاع آخر عن لورنس ، خطه قلم سميه « ت . ا . لورنس » ـ المعروف باسم « **لورنس العرب** » ، ومؤلف الكتاب المشهور ( أعمدة الحكمة السبعة ) ـ وقد كتبه في رسالة له غداة وفاة لورنس الأديب مباشرة ، ( أو على وجه التحديد يوم ٣ مارس ١٩٣٠ ) ، وجاء فيه : « ان مغزى قصة

( عشيق الليدى تشاترلى ) هو ان اعتبار « الجنس » امرا مخجلا محتقرا . انما يفقد الرجال ما ينبغى أن يكون موضع فخرهم وقوتهم الحيوية ، واعتزازهم بالحياة .. »

وفى بحث علمى صرف ، موضوعه « علم فلسفة اللغة » نشره البروفيسور « ألين ووكر ريد » فى مجلة ( اميريكان سبيتش ) – عدد ديسمبر ١٩٣٤ – قال الباحث الكبير : « وهناك محاولة جريئة لتجاهل اعتبار الجنس من المحرمات، قام بها « د . هـ . لورنس » فى قصته الطويلة المعروفة ( عشيق الليدى تشاترلى ) .. فنحن نرى فى هذه القصة الفارق الصارخ بين استعماله هو للألفاظ الشائكة فى بساطة مخلصة ، وبين استعمال نفس الألفاظ من جانب أولئك الذين يتجرون بالجنس باعتباره سرا قذرا ! .. واذا استطاع الناس فهم مغزى استعمال لورنس لتلك الكلمات ، فان كتبه سوف تقرأ يومئذ كما ينبغى أن تقرأ ، وكما بدأ كثير من الناس فى قراءتها بالفعل . »

ومنذ أعوام قليلة ، أشار صديق لورنس القديم **(( ألدوس هكسلى ))** فى كتابه ( شياطين لودون ) الذى نشر عام١٩٥٢ ، الى الفارق بين « الجنس فى جنة عدن ، والجنس فى أعماق المجارى القذرة » .. فقال : « ان فى أمور الجنس عنصرا بريئا ، وعنصرا آخر قذرا وضيعا .. وبينما أبرز مؤلف مثل « جان جينيه » العنصر الأخير ، بقوة مخيفة وتفصيل وافر غزير ، **نرى (( د . هـ . لورنس )) قد كتب عن العنصر الأول – الجنس الذى يمت الى جنة عدن – كتابة هى آية فى الجمال والروعة ! ))**

وقد كتب لورنس نفسه بحثا فى هذا الصدد تحت عنوان « الأدب المكشوف ، والبذاءة » أثناء اقامته فى أقليم (بافاريا) الالمانى ، فى ضيافة الطبيب والكاتب المسرحى «ماكس موهر» – فى الفترة بين أواخر أغسطس ومنتصف سبتمبر ١٩٢٩ –

قال فيه : «ان ما يعتبر بذاءة من كاتب، قد يسمو الى مرتبة « العبقرية » اذا صوره كاتب آخر ، بطريقة أخرى .. واذا رجعنا الى أصل مصطلح « الأدب المكشوف » فى لغتنا الانجليزية ، نجده مشتقا من لفظ « عاهرة » .. ولكن من هى « العاهرة » فى أيامنا هذه ؟ .. اذا كانت هى المرأة التى تتقاضى المال من رجل فى نظير أن تصحبه الى الفراش ، **فما أكثر الزوجات اللواتى «بعن» أنفسهن بالمال ، فى الماضى ، وما أكثر الوصيفات اللواتى « منحن » أنفسهن لرجال ، بدافع عاطفى ، دون أدنى مقابل ! »**

وفى بحث آخر عنوانه «بصدد (عشيق الليدى تشاترلى) » — وقد كتب لورنس جزءا منه كمقدمة لطبعة ١٩٢٩ من القصة ، التى صدرت يومئذ فى باريس ، ثم توسع فيه ونشره كنبذة مستقلة فى لندن فى يونية ١٩٣٠ — قال لورنس عن « سير كليفورد » ( زوج الليدى تشاترلى فى القصة ) :

## الشلل العاطفى ، أنكى من الشلل الجسمانى !

« **لقد** سئلت عدة مرات عما اذا كنت تعمدت ان أجعل الزوج فى القصة يصاب بالشلل ، وهل كان قصدى من ذلك رمزيا ؟ .. وقال نقاد وادباء آخرون انه كان الأفضل أن اترك الزوج سليما قويا ، وأجعل المرأة تهجره مع ذلك .. وردى على ذلك اننى لست أدرى اذا كنت تعمدت تلك الرمزية ام لا .. وان يكن المؤكد أننى لم أتعمدها فى البداية ، حين خلقت شخصية سير كليفورد. فعندما خلقت «كليفورد» و «كونى» لم تكن عندى أدنى فكرة عن حقيقة شخصيتهما ، او سبب وجودهما .. وانما جاءا هكذا عفوا ، كما وصفتهما . وقد أعدت كتابة القصة من بدايتها الى نهايتها ثلاث مرات ، وحين قراتها بعد المرة الاولى ، ادركت أن **عرج كليفورد كان**

**رمزا للشلل .. للشلل العاطفي أو النفساني ـ الأعمق من شلل الجسم ـ الذى يصيب اليوم أكثر الرجال الذين من طبقته وعلى شاكلته !** .. وأدركت أننى قد أظلم « كونى » وأسيء اليها لو أصبته بالشلل الجسمانى ، فان ذلك يجعلها أكثر ابتذالا لو هجرته .. غير أن القصة سارت فى مجراها هكذا من تلقاء نفسها ، فتركتها كما هى .. وسواء سمينا ذلك « رمزية » أم لا ، فانها كانت السياق الذى لا مفر منه للقصة ..

« وأنا أكتب هذه السطور بعد نحو عامين من انتهائى من القصة ، لا بغرض الايضاح أو التبرير ، وانما لاظهار « المعتقدات » العاطفية التى أملت على مواقف القصة ، والتى قد تكون ضرورية كاطار خلفى لها .. فأنا لم أكتبها لرغبة سخيفة فى اثارة حيرة القارىء العادى وبلبلته ، ولم استخدم فيها بعض الألفاظ «المحرمة» لغير ما سبب وجيه ، وانما كان يحدونى الاعتقاد الجازم **بأننا لن نحرر الحقيقة العارية من الصبغة الزائفة التى تغطيها ، الا اذا وصفناها بأوصافها العارية وألفاظها « البذيئة »** ! .. وان أكبر كفر بالحقيقة العارية لهو ذلك «التسامى بها الى مستوى أعلى» .. فاذا تزوجت الليدى تشاترلى من البستانى مثلا ـ وهى لم تفعل ذلك بعد ـ فلن يكون ذلك منها « بغية الكيد والتحدى » لفوارق الطبقات ، وانما ستفعله مضطرة ، « بالرغم من » هذه الفوارق ! »

ثم يمضى لورنس فى الدفاع عن القصة ، فيقول : « بالرغم من كل الحملات التى وجهت الى ، فانى اقدم هذه القصة باعتبارها كتابا مخلصا ، موفور الصحة ، بل ضروريا لنا فى هذه الأيام . فان ألفاظها التى تصدم لأول وهلة ، لا تعود تصدم على الاطلاق بعد فترة وجيزة .. **وما ذلك الا لأن**

**هذه الألفاظ انما تصدم (( العين )) فحسب ، لكنها لا تصدم (( العقل )) بتاتا** . قد يصدم بها القراء المجردون من العقل . لكن هؤلاء لا وزن لهم . أما ذوو العقول فانهم يدركون أن ألفاظ القصة لا تصدمهم ، ولم تصدمهم حتى عند قراءتهم اياها لأول مرة .. بل انهم يحسون ازاءها بشعور من الارتياح . وهذه هي الحقيقة الجوهرية في الموضوع : فنحن اليوم قد جاوزنا في ثقافتنا وتطورنا حدود المحرمات التي كانت سائدة في عصر الحروب الصليبية مثلا ، يوم كانت للألفاظ في ذاتها قوة وقدرة على الاثارة . **وهذه القدرة على الاثارة كانت لها خطورتها على ذوي العقول المعتمة والطبائع الحادة العنيفة ، من أهل العصور الوسطى** . أما نحن : فان ثقافتنا لا تدع للألفاظ المجردة سوى رد الفعل العقلي فحسب ، وتحمينا من رد الفعل الجسماني العنيف المتهور الذي قد يهدد حدود اللياقة الاجتماعية !

(( ففي الماضي كان الناس من ضعف العقل أو فجاجته بحيث لا يفرقون بين الفكر والفعل ، بين الكلمة والتصرف . أما نحن ، فقد علمتنا الثقافة والمدنية أن ((الفكرة)) لاتستتبع حتما (( الفعل )) ، وانما هما شكلان منفصلان من أشكال الوعي .. حياتان منفصلتان نحياهما . فنحن أثناء تفكيرنا ، لا نقدم على فعل ، وحين نقدم على فعل ، لا نفكر ! .. والهدف الاصلي لهذه القصة هو انني أريد من الرجال والنساء على السواء أن يكونوا قادرين على التفكير الجنسي الصحيح ، السليم ، المخلص ، النظيف . ))

### ٣ طبعات أصيلة .. وعشرات الطبعات (( المزيفة )) !

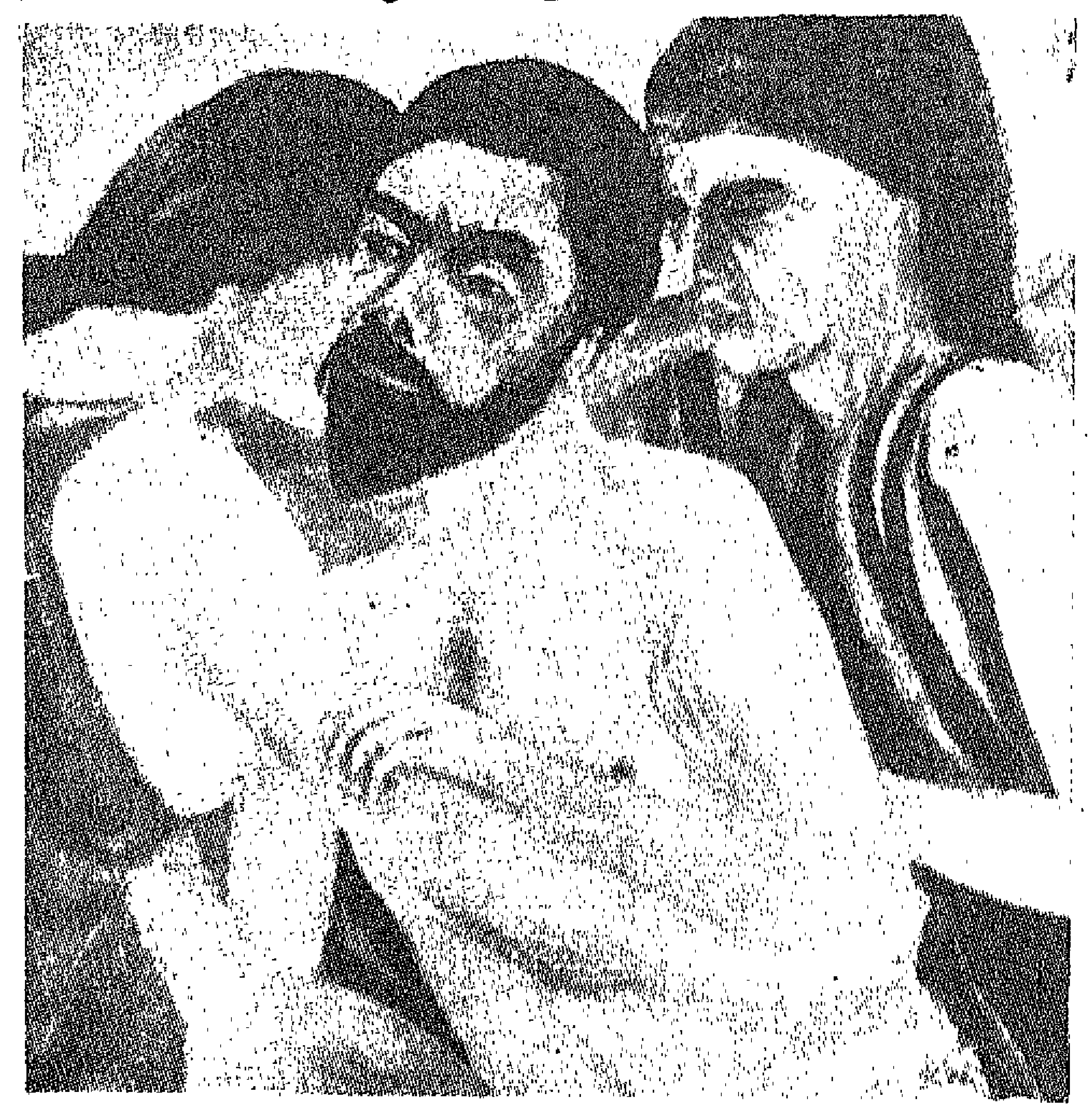
**والآن** ، تعال نقرأ هذا التلخيص (( المهذب )) للقصة التي أحدثت كل تلك الضجة في الدوائر الأدبية العالمية ، وكل ذلك الأذى والمتاعب لصاحبها ! .. والتلخيص التالي مأخوذ من الطبعات الثلاث ــ او (( القوالب )) الثلاثة المتباينة ــ

للقصة ، فهو يجمع أهم المواقف والوقائع التى تضمنتها تلك الطبعات ، والتى كان لورنس — فى حيرته بينها ، وعدم استقراره على قالب واحد نهائى منها — يحذف بعضا منها فى طبعة ، ليوردها ويحذف سواها فى طبعة أخرى . وهكذا ! .. بل انه عدل وبدل فى اسم بطل القصة نفسه كما أسلفنا ، فجعله « باركن » فى طبعة ، و « ميلورز » فى طبعة أخرى !

والواقع أن هذه القوالب الثلاثة هى التى كتبها لورنس نفسه ، وذلك بخلاف القوالب والطبعات العديدة الأخرى التى زيفها عليه « القراصنة » — كما أسماهم — سواء من الانجليز أو الأمريكيين ، وهم الناشرون غير الشرفاء الذين راحوا يعيثون فى القصة تعديلا وتحويرا وافسادا ، **وفق هوى قرائهم وهوى نزعاتهم التجارية وهوى سلطات الرقابة فى بلادهم ، ثم طبعوها دون اذن من مؤلفها — ودون أن يدفعوا له أى مقابل — وباعوها فى « السوق السوداء » بأسعار خيالية ، بلغت فى بعض الأحيان خمسين دولارا للنسخة الواحدة ( أى نحو ١٧ جنيها مصريا ) !**

وقد عرض بعض الناشرين الانجليز على لورنس فى عام ١٩٢٩ أن يعد لهم طبعة خاصة ، وفق شروط ومواصفات معينة رسموها له ، مقابل مبلغ سخى من المال . وبدأ لورنس بالفعل فى اعداد الطبعة المطلوبة ، ثم لم يستطع الاستمرار فى المحاولة ، وقال «لجلاديه» : **« مستحيل ! .. انه لأهون على أن أجدع أنفى بالمقص . فقد أحسست بالقصة تكاد تنزف دما ! »**

ومن الطبعات التى وقعت فى يدى لهذه القصة ، طبعة أمريكية عثرت عليها فى أحد أكشاك فناء محطة (فرانكفورت) بألمانيا ، فى ديسمبر ١٩٥٨ ، وقد ذيلت بفصل ممتع بقلم زوجة لورنس الألمانية « فريدا » ، التى تركت زوجها الاول وأطفالها الثلاثة لتتزوج من الأديب الانجليزى الذى كان يومئذ « نكرة ، فقيرا » .. **واليك فقرات من مقالها :**



كان «لورنس» رساما ، الى جانب كونه روائيا ، وشاعرا • وهذه احدى لوحاته الست والعشرين التي عرضها عام ١٩٢٩ ، وسماها « البعث » • وقد كتب عنها الى صديقه «ايرل بروستر» في ٢٨ مايو ١٩٢٧ يقول « لقد فرغت من لوحتي «البعث» • وهي تعجبني • انها تصور المسيح ينهض من القبر ، أغبر الوجه ، تعاونه أمه من الخلف ، وتسنده مريم المجدلية الى صدرها من الامام • » •• وكان لورنس قد بدأ محاولاته الاولى الجادة في الرسم • في خريف ١٩٢٦ ، في ايطاليا •• حين أعطته «ماريا هكسلي» – زوجة صديقه الروائي المعاصر « الدوس هكسلي » – بعض دمائى لرسم اللوحات عثرت عليه في الفيللا التي استأجراها في ذلك العام •• فبدأ لورنس يرسمها في نفس الوقت الذي بدأ فيه يكتب قصته «عشيق الليدي تشاترلي » •

« منذ عرفت لورنس - وهو يحلم بأن يكتب قصة (عشيق الليدى تشاترلى ) - ولقد كتبها فوق تلال ( توسكانيا ) ، فى غابة من غابات أشجار الصنوبر الوارفة ، حيث كان له فراش حجرى داخل كهف صغير ، ومنضدة حجرية أصغر ، ونبع ماء قريب . كان المكان ساحرا ، ولا سيما فى الربيع ، وكان يمضى اليه كل صباح ليكتب ، فيسير بمحاذاة أشجار الزيتون حتى يبلغ شجرة الصنوبر الظليلة .. وهناك يجلس ، على بساط من زهر البنفسج ، وأزهار (( الجلاديوليس )) البرية ، وحوله الثيران البيضاء الوادعة تحرث الأرض .. يجلس بلا حراك ، سوى حركة انسياب ريشته السيالة . ويبلغ من سكونه ان السحالى لا تحس بوجوده ، فتروح تجرى وتمرح بين ساقيه ، والطيور والعصافير الصغيرة تحجل على مقربة منه ، وبين حين وآخر يجفل صياد عابر حين يفاجأ برؤية هذا المخلوق الصامت ! .. وكان الفلاحون القلائل حولنا فى تلك البقعة المنعزلة يميلون اليه ، رغم نفوره الفريزى ، ويبدون استعدادهم لخدمته . وكل يوم ، بعد الفداء ، كنت أقرأ ما كتبه فى الصباح .. فكانت تدهشنى مقدرته الفائقة على خلق شخصيتى القصة المتنافرتين : سير كليفورد ، وحارس الغابة ، . الشخصيتين اللتين عاش فى صحبتهما ثلاث سنوات - من ١٩٢٥ الى ١٩٢٨ - وهى السنوات التى استغرقتها كتابة الطبعات الثلاث ..

« وحين وافاه أجله ، مات لورنس ، دون أن ينهزم ! .. فانه لم يفقد يوما ايمانه بالحياة ، ولم يفعل شيئا لا يرغب فى فعله - وما كان بوسع أحد ، أو قوة ما ، أن تجبره عليه ! - ولا كتب يوما كلمة لم يكن يعنيها ساعة كتبها .. أو دخل فى مساومة مع القوى الحقيرة التى ناوأته .. والخلاصة ، انه لو كان قد عاش يوما على ظهر الأرض رجل حر ، أبى ، فقد كان زوجى « لورنس » ذلك الرجل ! »

وفى هذا القدر الكفاية ..

**حلمى مراد**




د . هـ . لورنس

# عشيق الليدي تشاترلي

القصة الخالدة التي أثارت أكبر ضجة عالمية في عام ١٩٦٠
.. ثم فازت بحكم البراءة !

تلخيص : رمسيس شكري      تنقيح : حلمي مراد

## - ١ -

ان عصرنا ، بطبيعته ، عصر حزن وشـقاء ، لذلك يجب علينـا ـ وقـد ولدنا بين خرائبه وانقـاضه ـ أن نرفض الاستسلام للهزيمة ، وان نبذل كل ما بوسعنا من جهـد ، حتى نتغلب على العقبات التي تواجهنا ، وأن نحيى فى انفسنا الأمل فى حياة باسمة ومستقبل أفضل !

كان هذا هو حال « كونستانس تشاترلى » ، **فقد قوضت الحرب آمالها وقضت على أمانيها ، فأدركت انه لم يبق لها غير ان تجابه الواقع بشـجاعة !** .. كانت قد تزوجت من « سير كليفورد تشاترلى » ، حين عاد الى بلدته من ميـدان القتـال ليقضى عطلة لمدة شـهر ، رحل بعـدها الى اقليم « الفلاندر » حيث كان القتال يدور .. ثم عاد من الميـدان بعد ستة أشهر وقد مزقت الحرب جسمه !.. وكانت زوجته فى الثالثة والعشرين . بينما كان كليفورد لم يتجاوز التاسعة والعشرين !

على ان تشبثه بالحياة كان عجيبا ، فاندملت جروحه ، وعادت اشلاء جسده الممزق الى الالتئام من جديد ، فعاش تحت رعاية الأطباء لمدة عامين ، **حتى خرج أخيرا من التجربة كسيحا يجلس على مقعد متحرك .. فقد شل نصفه الاسفل .. وفقد رجولته !**

وكانت حيـاته عزيزة وغالية عليه ، فقـد نجا من الموت بأعجوبة ، وكان واضحا فى عينيه البراقتين اليقظتين، مقدار شعوره بالزهو لبقائه حيا .. غير ان عواطفه ومشاعره كانت قد ماتت واندثرت ، وحل مكانها فراغ قاتم كئيب !

أما زوجته « كونسـتانس » ـ أو « كونى » كما كانوا يطلقون عليها ـ فقـد كانت فتاة جميلة ، تبدو على وجهها

مسحة من الارهاق ، ذات جسد فائر ، وعينين واسعتين تفيضان عذوبة وجاذبية ، وصوت ناعم لين النبرات . وكان والدها « سير مالكولم ريد » ضابطا كبيرا بالجيش ، قبل أن يحال الى الاستيداع .

وقد عاشت كونى واختها « هيلدا » ـ منذ نعومة اظفارهما ـ فى جو مشبع بالفن والافكار الاشتراكية ، **فقد ارسلهما والدهما الى ( باريس ) .. و ( فلورنسا ) .. و ( روما ) ، ليستنشقا الفن فى عقر داره .. كما اتجها الى ( لاهاى ) و ( برلين ) حيث كانت الدعوة الاشتراكية قد بدأت تنتشر ،** وحيث كان يحق لكل انسان ـ أيا كانت لغته وجنسيته ـ أن يروج لأى مذهب أو مبدأ ، دون ان يعترض عليه أحد !

وقد كانت الشقيقتان فى نحو الخامسة عشرة من عمرهما عندما ذهبتا الى ( درسدن ) لتتعلما الموسيقى والرسم ، وغيرهما من الفنون .. وهناك عاشتا فى انطلاق وحرية ، واختلطتا بغيرهما من الطلبة ، وتناقشتا فى الأمور الفلسفية والاجتماعية ، والفنية .. والجنسية ! .. وذاقتا طعم الحب فى سن الثامنة عشرة ، تحت ظلال الاشجار الوارفة فى المتنزهات العامة ، بين أحضان شابين ألمانيين ، رأيا ان استسلام الأختين لهما ، بمثابة دليل منهما على اتساع مداركهما وتفكيرهما !

***

وحين نشبت الحرب ، اضطرت كونى وهيلدا الى العودة الى وطنهما .. وهناك تقدم كليفورد بطلب الزواج من كونى ، التى أعجبت به ، لوسامة وجهه وطول قامته واتساع كتفيه .. فتم زفافهما عام ١٩١٧ ، وقضيا شهر العسل وقد

رفرفت عليهما السعادة .. رغم ان كليفورد كان ـ بطبعه ـ لا يعير المسألة الجنسية اى اهتمام . وظل لم يقرب امرأة الى أن تزوج .. وفيما عدا ذلك كان الزوجان متقاربين ، متفاهمين ، يربط بينهما رباط من العاطفة العميقة !

- ٢ -

.. **فلما** وقعت الكارثة ، وأصيب كليفورد بالشلل ، اقترح على كونى أن يعيشا فى ضيعته ( رجبى هول ) ، حيث كان يملك قصرا قديما ، شيد فى منتصف القرن الثامن عشر ، فوق ربوة عالية ، وسط متنزه كبير ، يحيط به سور كثيف من أشجار السنديان .

ولم تجد كونى فى مقرها الجديد الهدوء الذى كانت تنشده .. وشكت مرارا لكليفورد من الضوضاء التى كانت تصدر من المناجم والمصانع التى فى القرية المجاورة ، ومن الغازات والروائح الكريهة المنبعثة من مداخنها ، والتى كانت الريح تدفعها نحو القصر ، فتنتشر فى حجراته .. **كما احست كونى ان محاولاتها لاكتساب ثقة وصداقة زوجات المعدنين من أهل القرية قد قوبلت ـ رغم مظاهر الود ـ بستار من الزيف ، والشك ، وعدم الاطمئنان !**

أما كليفورد ، فقد كان ينظر الى الأمر من وجهة نظر مغايرة ، اذ كان يؤمن ايمانا راسخا بأن تلك الفئة من العمال لا تستحق من أمثاله سوى الاحتقار والاهمال !

وصار كليفورد يعتمد على زوجته اعتمادا كليا ، فرغم ضخامة جسمه وقوة بنيته ، فانه كان يحس وهو بعيد عنها بالعجز والضياع .. ويشعر بالحاجة الى وجودها بجانبه ، كى يشعر بأنه ما زال حيا !.. كانت لا تفتح عينها فى الصباح الباكر ، حتى يناديها لتخرج به للنزهة فى الحقول ، فتستجيب

له فى فتور وعدم اكتراث ، وتدفع مقعده المتحرك مسافات طويلة فى العراء ، ثم يعودان الى القصر ليتناولا طعام العشاء .
وكان كليفورد ـ رغم نكبته ـ طموحا ، فأخذ يؤلف ويكتب قصصا ومسرحيات واقعية . تدور حوادثها حول شخصيات من معارفه وأصدقائه ، **وكانت قصصه قوية الحبكة ، جيدة البناء ، غير انها كانت مفعمة بالحقد** . وقد تسابقت معظم المجلات العصرية الى نشرها . على أن كليفورد كان شديد الحساسية نحو النقد الذى كانت تتعرض له قصصه احيانا من بعض النقاد ، وكان يطلب من الجميع أن يقرظوها ويثنوا عليها !

***

وفى احدى الأمسيات حضر والد الزوجة ـ «سير مالكولم ريد» ـ الى القصر لتمضية عطلة **الاسبوع** ، فهاله شحوب وجه ابنته ونحول جسمها ، وأدرك ـ وهو الرجل المجرب الخبير ـ حقيقة علتها .. فربت على كتفها بحنان ، قائلاً فى مرارة : « لست أدرى يا كونى الى متى سوف تظلين فى هذا الموقف المذل ! ؟ » .. فنظرت اليه كونى متسائلة : « ماذا تعنى يا أبى ؟ » ، فأجابها بصراحته المعهودة : « من الخطر أن تعيش المرأة هكذا ، نصف عذراء ! » .. فاندفع الدم الى وجهها ، وغمغمت : « نصف عذراء ؟ .. وماذا فى ذلك ؟ » .. فأردف ببطء : « اذا كنت تجدين الراحة فى هذا .. »
لكنه لم يجد مفرا من مصارحة كليفورد بمخاوفه ، فقال له وهو يعبث بشاربه الكث : « **أخشى يا ولدى أن أقول لك ان حالة كونى المسكينة باتت تقلقنى ، فهى تتعذب فى أعماقها .. ولست اعتقد أن هذه الحالة تلائم من كانت فى مثل**

**سنها. انني آسف ياكليفورد ، ولكنها امرأة من لحم ودم ! »**
.. فأطرق الفتى برأسه الى الأرض ، ولم ينبس بكلمة !

***

**وحدست** « كونى » ان اباها قد تحدث الى كليفورد بصدد موضوع « نصف العذراء » ! .. غير انها كانت واثقة من أن زوجها ما كان ليعير الأمر أدنى اهتمام ــ سواء عاشت « نصف عذراء » أو « غانية لعوب » ــ ما دامت تحرص على ان يتم الأمر فى سرية وتكتم ، بعيداً عن سمعه وبصره .. فقد كان يردد دائما أن الاشياء التى لا تبصرها عيناه ولا يدركها عقله ، ليس لها وجود بالنسبة له !

- ٣ -

**وفى** غضون ذلك الشتاء ، قدم الى القصر صديق لكليفورد يدعى « ميكاليس » ليقضي معه بضعة أيام . وكان « ميكاليس » هذا شابا ايرلنديا فى الثلاثين من عمره ، بدأ حياته العملية عازفا موسيقيا فى امريكا ، فكون ثروة طائلة ، ثم استهواه مجتمع لندن الراقى ، فكتب عنه عدة مسرحيات اجتماعية ، غير ان المجتمع اللندنى اكتشف أن مسرحيات ذلك الكاتب الحقير ــ عدو الانجليز ــ تظهره بمظهر مشين يحط من كرامته ، فثار المجتمع على « ميكاليس » ونبذه نبذ النواة !

**وقد جاءته دعوة كليفورد لزيارة ( رجبي هول ) فى الوقت الذى قاطعه فيه جميع أفراد المجتمع الراقى ، فلم يتردد فى القبول** ، وجاء فى سيارة فخمة يقودها سائق أنيق ويرافقه خادمه الخاص !

وقضى الضيف مع مضيفه ساعات طويلة يتناقشان فى

مختلف الشئون الادبية والفنية ، بينما انزوت « كونى » فى زاوية من الحجرة تستمع فى أناة الى مناقشاتهما .. **وكانت تنظر الى ميكاليس فى اعجاب ، فقد كان يحمل طابعا خاصا يميزه عن باقى الرجال الذين التقت بهم من قبل !** .. ولم يكن مغرورا ولا دعيا ، وكان فى حديثه مع كليفورد عاقلا ، متزنا ، رقيق العاطفة .. وكان هو ، من جانبه ، يختلس النظر اليها بين الفينة والاخرى . ليرى مدى تأثير آرائه وافكاره عليها !

وفى المساء ، استدعته كونى الى غرفة استقبالها الخاصة، التى كانت تقع فى الطابق الثانى ، والتى كانت جدرانها تزدان بلوحات رائعة من أعمال أشهر الفنانين ، أمثال « رنوار » و « سيزان » . وجلس الاثنان بجوار المدفأة ؛ ودار بينهما حديث طويل عن عائلته ، ومختلف شئونه وأحواله .. وكان « ميكاليس » يتحدث اليها ببساطة وصراحة ، مجردة عن العاطفة ، كاشفا عن المرارة التى كانت تعتمل فى أغوار وجدانه !

وكانت كونى تستمع اليه مأخوذة .. وسألته أخيرا : « ولكن .. لماذا تعيش وحيدا ، كالطير الذى فقد أليفه ؟ » .. فتنهد وأجاب: « ان من الطيور ما يستعذب الوحدة ! »، ثم أردف ، فى سخرية : « وماذا بصددك أنت ؟ .. ألا تعانين بدورك من برودة الوحدة ؟ » ، فأجفلت ، وفكرت قليلا .. ثم قالت : « نعم .. الى حد ما .. ولكن ، ليس مثلك ، تماما !» .. فانتفض فى مقعده ، وهمس ببطء ذاهل : « صدقت .. اننى شقى تعس ! » ، واستدار برأسه بعيدا وقد خفض بصره فى ذلة ، فشعرت كونى نحوه بجاذبية غريبة ، كادت تفقدها رشدها !

**ورفع ميكاليس بصره نحوها وقد بان فى عينيه نداء**

مؤثر ، نداء طفل يلتمس من أمه الحنان والدفء ! .. ثم ركع فجأة بجوارها ، وامسك بساقيها ، ودفن رأسه فى حجرها. .وظل هكذا ساكنا لفترة طويلة ، بينما أخذت كونى تحدق فى عنقه ذاهلة .. ولم تملك نفسها من أن تمد يدها الى رأسه ، فتداعب خصلات شعره الناعم الغزير بأناملها .. فارتجف جسمه ورفع رأسه ، ثم انتصب واقفا ، وقد التمعت عيناه ببريق الرغبة والشهوة !

وأحست كونى بحنين طاغ يدفعها نحوه ، وأدركت انها ما عاد بوسعها ان تقاوم ذلك النداء ، وان عليها أن تستسلم له .. أن تمنحه أى شيء .. وكل شيء !

***

ولما نهض « ميكاليس » ، قبل كلتا راحتيها .. ثم انتقل بشفتيه الى قدميها الصغيرتين، المدثرتين فى خفين سويديين، ثم انسحب بهدوء الى نهاية الغرفة ، وران عليهما صمت طويل .. وأخيرا التفت نحوها وقال : « والآن .. لعلك تكرهيننى ! » .. فأجابت مستنكرة : « بل لعلها أسعد لحظة فى حياتى ! » .. وأدهشها أن بدت على سيماه دلائل الألم والتعاسة ، وأخذ يذرع الغرفة جيئة وذهابا ، ثم استدار اليها ، وقال متلعثما : « وسير كليفورد .. الن .. ألن يكون .. ؟ » ، فترددت لحظة ثم أجابت قائلة : « ربما .. غير اننى أرجو أن تظل علاقتنا سرا مكتوما بيننا ، فلست أريد لكليفورد أن يعرف عنها شيئا .. ان ذلك خليق بان يؤلمه ويحطم قلبه !

***

ولأول مرة منذ وطأت كونى قصر ( رجبى هول ) ، استطاعت ان تنام نوما هادئا لا تتخلله الأحلام المزعجة ! ..

لقد فارقهـا القلق الجنسي المدمر الذى عانت منه كثيرا ، فكانت أشبه بالجائع حين يخلد للنعاس بعد وجبة دسمة !

.. وسرت البهجة الى نفسها وفؤادها ، واستغلت بهجتها فى الهام كليفورد بأروع ماكتب ، فصار سعيدا ـ فى غفلته ـ وقد جنى ، دون أن يدرى ، ثمار ارتواء مشاعر زوجته من علاقتها بميكاليس ..

غير أن كونى ما لبثت ، حين عاد ميكاليس الى لندن بعد ثلاثة أيام ، أن عاودها انقباضها وقنوطها من جديد . فعاود كليفورد الحنين الى سالف أيام سرورها وابتهاجها !

***

.. **وذات** صباح خرج الزوجان للنزهة فى المزارع المحيطة بالقصر ، وسارت كونى الى جوار المقعد المتحرك وهى لا تنبس بكلمة ، وانما ترنو ببصرها بين لحظة وأخرى نحو كليفورد ، الذى كان يزكن أيضا الى الصمت ، وقد علت قسمات وجهه سحابة من الهم .. وكأنما خشيت كونى مغبة هذا الصمت الطويل ، فسألته : « فيم تفكر ؟ » .. فدار ببصره حوله ، وقال بقنوط : « **انه لمن المحزن الا يكون لنا ولد ! .. لقد اعتدنا أن نتوارث هذه الضياع أبا عن جد ، وكانت عائلتنا تشبه سلسلة متصلة الحلقات .. أما الآن ، فقد انفرط عقدها !** »

فتجهم وجهها ، وقالت بحزن : «اننى آسفة لعدم قدرتنا على انجاب أطفال ! » .. واذ ذاك رفع وجهه الشاحب المعذب ، وغمغم : « لماذا تتحدثين بصيغة الجمع ؟ .. لا ريب أن فى مقدورك انجاب طفل من رجل آخر .. ولعمرى أن هذا لن يحزننى بقدر ما سوف يبعث السرور فى قلبى !! »

فبدت عليها الدهشة ، وقالت «ماذا تعنى ياكليفورد ؟ »،

فقال فى هدوء ، وقد غامت عيناه : « اذا حدث وانجبت طفلا من رجل آخر ، فسوف اتخذه ابنا لى ، كى يرث القصر وكل ممتلكاتى .. الا ترين انها فكرة جديرة بالاعتبار يا كونى ؟ ! » . . فتطلعت فى وجهه دون أن تفارقها الدهشة ، وتمتمت : « وماذا عن الرجل الآخر ؟ » . . فأجاب : « ليس هذا بالأمر الحيوى ، فاننى أثق فى ذوقك وحسن اختيارك ، ولا أعتقد انك تسمحين لأى مخلوق كان أن يقربك .. المهم فى الأمر الا يكون ذلك سببا للتفرقة بيننا ، فلست اقوى على العيش بدونك ! .. ان مثل هذه الخطيئة لا تعد ذنبا كبيرا فى حقى ، وهى لن تؤلمنى بقدر ما يؤلمنى عجزى ، ولن تقتلنى بقدر ما يقتلنى مرضى .. كلا يا كونى ، **ان الحب يفنى ويزول ، أما الصداقة فتبقى وتطول . انها العيش معا الى أبد الدهر ، وليست الامتزاج الجسدى بين حين وآخر** .. لقد اعتدنا أن يرى أحدنا الآخر ، والألفة ـ فى رأيى واعتقادى ـ أمر حيوى بالنسبة للرجل والمرأة ، وهى التى تجمع بيننا الآن .. بل هى السر الحقيقى للزواج ، وليس الاتصال الجنسى .. قد أكون مغاليا بعض الشىء ، ولكننى أتحدث بشعورى ، واضعا نصب عينى الظروف المؤسفة التى ابتلتنى بها الأقدار ! »

وفكرت كونى قليلا .. لقد نطق صدقا ، فليس من العدل أن تستمر حياتها على هذا النحو .. صحيح أن واجبها يحتم عليها أن تبقى الى جواره ، وأن تكبت عواطفها ومشاعرها ، ولكن ، هل تقوى على ذلك الى النهاية ؟ .. وأخيرا قالت : « اعتقد انك على صواب يا كليفورد .. ولكن الأمور موقوتة بظروفها » !

وكانا قد وصلا فى تلك اللحظة الى الغابة ، فوقفت كونى تتأمل مظاهر الطبيعة التى بدت أمامها ، وقد استغرقتها

التفكير فى الحديث الذى دار بينهما . وفجأة مرق بجوارها كلب ضخم من كلاب الصيد ، فأجفلت كونى وفزعت ، ثم ظهر خلفه رجل فى نحو الخامسة والثلاثين ، طويل القامة ، عريض المنكبين ، رشيق القوام ، أحمر الوجه ، يرتدى سترة من سترات الصيد ، وقد تدلت بندقيته خلف ظهره .

وناداه كليفورد : « ميلورز » ، فاستدار الرجل نحوهما ، ولما اقترب منهما قال كليفورد : « **هذا هو « ميلورز »** **يا كونى ، حارس الغابة الجديد** .. ألم يسبق لك رؤية الليدى من قبل يا ميلورز ؟ » .. فأجاب الحارس ببطء : « كلا يا سيدى .. لم أحظ بهذا الشرف من قبل » ، ورفع قبعته محييا ، فظهر شعره الأشقر ، ثم حملق فى عينى كونى بنظرة جريئة غير هيابة . كما لو كان يرغب فى أن يختبر معدنها ، فأحست بالدماء تصعد الى وجهها ، ونكست رأسها خجلا ! .. وحين تمالكت نفسها ، سألته :

ـ لقد التحقت بالعمل هنا أخيرا .. أليس كذلك ؟

ـ منذ ثمانية أشهر يا سيدتى .. الليدى !

ـ وهل يعجبك العمل هنا ؟

.. وضاقت عيناه قليلا ، وكانت نظرته وقحة ، تحمل معنى السخرية والاستهزاء .. وأخيرا أجاب : « بلا ريب .. اشكرك يا سيدتى الليدى .. » ، وانحنى لها ثم أعاد قبعته الى رأسه ، ودار على عقبيه وانصرف !

**ووقفت كونى تراقبه وهو يبتعد ، وقد غلت الدماء فى عروقها .. رباه ! ماذا دهاها ؟ .. ما بالها تفقد سيطرتها على أعصابها بمثل هذه السرعة ؟**

وفى تلك الليلة لم يكف لها دمع ، فقد أحست بنوع من المذلة ! .. سحقا للحياة ! .. انه لجنون مطبق هذا الذى يسيطر عليها ، ويدفعها الى التفكير فى كل رجل يقع عليه بصرها !

***

وكرر ميكاليس زيارته لـ ( رجبى هول ) ، فحضر فى المرة التالية مرتديا حلة قاتمة اللون وقفازين سويديين ، وعلى محياه سيماء الفوز والظفر ، فقد فازت مسرحيته الأخيرة باعجاب النقاد وثنائهم ، ولاقت نجاحا هائلا ، واكسبه النجاح الذى واتاه آخر الامر بهاء . فنظرت اليه كونى نظرة اعجاب ، وبدا فى عينيها رائعا !

غير ان الأمور لم تسر وفق هوى ميكاليس ، **فقد كان يحسب أن كونى لن تتردد فى القاء نفسها بين ذراعيه .. غير أن الليلة انقضت ، ولم تزره كونى فى غرفته !** .. فسرى القلق والاضطراب اليه ، واخذ يسائل نفسه : أتراها تتدلل .. فى ساعة مجده وانتصاره ؟

فلما استيقظ من النوم مضى الى حجرة استقبالها . وقد بدت عليه سيماء السهد والأرق ، فلم تبد على كونى معالم الدهشة لرؤيته ، وكأنها كانت تتوقع قدومه . ولبثا بعض الوقت يتحدثان عن مسرحيته الجديدة ، غير انه لم يتمالك ان استدار فجأة نحوها وهتف : « أصغى الى يا كونى .. لماذا لا نتزوج ؟ » .. فأجابته كونى ذاهلة : « ولكننى متزوجة ! »

ــ أوه .. أو تعتبرين حياتك الحاضرة . مع رجل عاجز ، زواجا ؟ .. **ان الزواج أخذ وعطاء ، فماذا قدم لك كليفورد مقابل رضائك بالحياة معه ؟**

ــ انك تعلم جيدا أن ليس بوسعى أن أهجره !

ــ ولكن ، لماذا ؟ .. ما الذى يحول دون زواجنا ؟ .. ان كليفورد لن يتردد فى طلاقك اذا طلبت منه ذلك ! .. انه لا يحس بوجود أحد سوى نفسه ، وهو ليس فى حاجة اليك !

ـ كلا . . ليس هذا صحيحا . . انه عاجز !

**ـ وهل أصبح « العجز » وسيلة لابتزاز عواطفك ؟**
اذن ، نفى وسعى ن اتحدث اليك عن مقدار شعورى بالوحشة بغير رفيق أو انيس . .

***

**وفى** ذلك المساء ، قال ميكاليس لكونى : « سوف تحضرين الليلة الى غرفتى . . أليس كذلك ؟ . . اننى لا أعلم أين تقع غرفتك !

ـ حسنا ، سوف أحضر . .

**ـ ٤ ـ**

**جلست** كونى تتجاذب أطراف الحديث مع « تومى ديوكس » ، أحد أصدقاء كليفورد ؛ وكانت كونى تعتبره بمثابة كاهن تعترف له بأشجانها وهمومها . ودار بينهما حديث طويل ، استهلته كونى قائلة :

ـ لست أدرى لماذا لم تعد العلاقة بين الرجل والمرأة ، قوية ، ثابتة الجذور ، كسالف عهدها ! ؟

ـ أعتقد أن العلاقة بينهما لم يعتورها أى تغيير . فأنا ـ مثلا ـ أجد متعة فى الحديث مع النساء ، تفوق المتعة التى أجدها مع الرجال . **فالمرأة أكثر شجاعة من الرجل ، وفى وسع المرء ان ينطلق فى الحديث معها بصراحة تامة !**

ـ ولكننى أعلم انك لا تحب النساء ، ولم تكن لك علاقة باحداهن فى يوم من الايام !

ـ اذن : فلماذا اتحدث اليك الآن ، لو كنت لا أحب النساء ؟ !

ـ نعم ، انك تتحدث . . ولكن المرأة ترغب فى . . !

**ـ انها تتطلب من الرجل أن يعجب بها ويتحدث اليها .. وفى الوقت نفسه ، ان يهواها ويشتهيها .. وشتان بين الحالتين !**

ـ لا أرى فى الأمر وجها للتناقض .. غير اننى أحس ان المرأة فى هذه الايام قد فقدت بريقها وجاذبيتها للرجل !

ـ وعين الشىء يمكن ان يقال بالنسبة للرجل !

ـ أصبت .. أصبت !

***

وفى ذلك اليوم أراد كليفورد أن يبعث ببعض تعليماته الى حارس الغابة . وكانت السماء قد امطرت ، وطرقات المزرعة موحلة ، فتعذر عليه أن يخرج بمقعده المتحرك . وصادف أن أصيب جميع الخدم بالانفلونزا ، فتطوعت كونى بأن تقوم بنفسها بالمهمة !

وسارت على قدميها شطر الكوخ وقد استغرقها التفكير فى الحديث الذى دار بينها وبين « تومى ديوكس » .. حقا ، لقد صدق حين قال انه لم يعد للرجال بريق يجذب النساء ! .. **ان « ميكاليس » ـ الذى كانت كونى تنظر اليه كفارس أحلامها ـ قد غدا بالنسبة لها نسيا منسيا !**

**وأخذت تقلب الأمور على كافة وجوهها** : نعم ، لقد كانت تتحرق شوقا الى أن تنجب طفلا .. ولكن ، مهلا .. مهلا .. ليس ثمة ما يدعوها الى أن تتعجل الأمور ، اذ عليها أولا أن تجد للطفل أبا ! .. ان من السهل عليها أن تجد لها عشيقا ، ولكن المتعذر حقا ، هو ان تجد الشخص المناسب الذى يليق لهذه المهمة .. وليس ضروريا ان تكون مدلهة فى غرامه . فسواء لديها ان كانت تعشقه أم تكرهه !!

وسارت كونى حتى وصلت الى الكوخ . وفجأة توقفت

قدماها عن المسير ، وشعرت بالخوف والرهبة يقبضان قلبها .. وبأنها ليست فى حالة تسمح لها بأن تصدر التعليمات الى « ميلورز » . غير انها ما لبثت أن استجمعت شجاعتها وطرقت الباب ، فلم يجبها أحد . وخيل اليها أن ثمة صوت قد صدر من خلف الكوخ ، فدارت حوله ، واذ بها تفاجأ بمنظر ، أثار فى نفسها مشاعر متضاربة .. رأت الحارس واقفا فى الفناء ، وظهره اليها ، وقد خلع قميصه فبدا جذعه عاريا ! .. وكان منحنيا فوق وعاء كبير من الماء المليء بفقاعات الصابون . **وبعد أن دلى رأسه فى الوعاء ، رفعه الى أعلى، وهزه هزا عنيفا ، فى حركة حيوانية سريعة ، ثم دفع بنصريه داخل أذنيه ، فبان العضل الذى اكتنزت به ذراعاه القويتان !**

وتراجعت كونى الى ناصية الكوخ ، ثم استدارت وحثت الخطى نحو الغابة .. ماذا دهاها ؟ .. لماذا احست كأن صاعقة قد انقضت عليها وأصابتها فى صميمها ؟ .. ما وجه الغرابة فى رؤية رجل يغتسل فى الفناء ؟ .. انه منظر عادي ، مبتذل ! .. بل لربما كان يستخدم صابونا أصفر اللون ، كريه الرائحة ! .. غير انها ما لبثت أن أدركت أن اضطرابها وارتباكها يرجعان — فى الحقيقة — الى رؤيتها لذلك الجسد ، القوى ، الناصع البياض ، والذى كان يفيض رجولة وفحولة ! .. فلقد كان جسد .. رجل !

واخذت كونى تسير لفترة طويلة على غير هدى ، غير انها ما لبثت أن تذكرت المهمة التى حضرت من اجلها ، فعادت ادراجها مرة أخرى الى الكوخ !

وطرقت الباب ، وقد أخذ قلبها ينبض بقوة وسرعة . وكان « ميلورز » قد ارتدى ملابسه ، وما أن شاهدها حتى

أشرق وجهه بابتسامة مهذبة . ودعاها فى أدب الى الدخول .. فقالت فى صوت هامس ناعم : « لقـد جئت أحمل لك رسالة من سير كليفورد » . وبينما كانت كونى تفضى اليـه بتعليمات زوجها ، التقت عيناها بعينيه ، فرأت فيهما نظرة عطف دافئة !

ــ حسنا يا سيدتى الليدى .. سأقوم بالمهمة حالا !

***

**وعندما** صعدت كونى الى غرفة نومها ، فعلت ما لم تفعله منذ زمن طويل : أخـذت تخلع ملابسها قطعـة قطعـة ، ثم وقفت أمام المرآة تتأمل جسدها العارى .. وشعرت برغبة حادة فى أن تحطم شيئا !.. رباه ، لقد كان الجميع يحسدونها ذات يوم على رشاقة قوامها واستدارة ثدييها الممتلئين .. فأين ذهبت تلك الرشاقة والفتنة التى كانت تبعث الرغبـة عارمة فى الرجال ؟ .. لقد تهدل ثدياها ، وجف عودها ، وانطفأ ذلك البريق الذى كان ينبعث من بدنها ، والذى طالما أطاش عقل عشيقها الالمانى ، قبل أن تتزوج .. لقد فقدت أنوثتها ، وأصبحت أشبه ما تكون بغلام قد اقترب من دور المراهقة !

**وانسلت كونى فى رداء نومها الشـفاف ، وارتمت فوق سريرها ، وأخذت تنتحب بحرقة ، يحدوها احساس داخلى بالظلم .. مسكين كليفورد .. ان الذنب ليس ذنبه ، وليس لاحد ان يلومه .. فهو ــ بدوره ــ ضحية من ضحايا المأساة التى حلت بهما .. ولكن** ، لماذا تضحى بحياتها وشبابها من أجله ؟ .. ان شبابها يذوى وينصهر ، كالشمعة ، ومفاتنها تكاد أن تفنى وتضيع .. من جراء حرمانها !

***

**ووصلت** شقيقتها « هيلدا » بعــد أيام ، فما كاد بصرها يقع على كونى حتى أخذتها بين ذراعيها وتطلعت الى وجهها الشـــاحب ، فلم تملك أن هتفت : « أوه يا كونى .. ماذا حدث لك بحق السماء ؟ .. لقــد نحل جســدك بدرجة فظيعة ! » ، فابتسمت كونى بمرارة وهمست : « اننى فى خير حال » ، ثم أطرقت برأسها وتركت العنان لدموعها !

ولم تترك هيلدا الأمر يمر بسهولة ، فقد انتهزت فرصة انفرادها بكليفورد وفاتحته فى الموضوع ، فقال انه لاحظ ان صــحة « كونى » ليست على ما يرام ، ولـكنه يرجـو أن تتحسن حالها فى القريب العــاجل .. فقالت « هيلدا » باصرار : « سوف أصحبها معى الى لندن لاستشارة أحد الأطباء ، فاننى أخشى أن تزداد حالتها سوءا »

فشــعت عيناه ببريق الغضب ، وفتــح فاه ليعترض ، ولكنه لم يلبث أن أطبق شفتيه . غير أن هيلدا لم ترحمه ، بل اخذت تكيل له اللوم ، وتنحى عليه بالتأنيب .. وخلصت من ذلك الى القــول بوجوب احضار ممرضــة لتعنى بأمره وتسهر على راحته .. واذ ذاك خرج عن صــمته ، فقال : « أتعتقدين أن ذلك ضرورى ؟ » .. فأجابت بجفاء : «بلا ريب .. والا فسوف اجد نفسى مضطرة لأن أحدث أبى فى الأمر .. وعندئذ ، لن يسمح لها بالبقاء فى هذا المكان يوما واحدا ! »

**واضطر كليفورد ـ تحت ضغط هذا التهديد ـ للرضوخ ، بعد ان لم يعد هنالك مفر من الاذعان ، فان فكرة اختفــاء كونى من افق حياته كانت تذله وتشقيه ، وتطرد النوم من عينيه !**

ورحلت الشقيقتان الي لندن في صــباح اليوم التالي ،

حيث قامتا بزيارة طويلة لأحد الأطباء .. لكن الطبيب لم يتبين لدى كونى مرضا يذكر ، غير أنه استطاع أن يفهم علتها ، وان يحدس سبب نحول جسمها وشحوب وجهها ؛ فنصح لها بأن تقوم برحلة طويلة تسترد خلالها ما فقدته من حيوية ، اذ أن أعصابها كانت منهارة تماما ، وفى حاجة الى تجديد نظام معيشتها .. ثم ختم الطبيب كلامه قائلا : « عليك بالضحك والمرح ما وجدت اليهما سبيلا ، ولن تلبثى أن تستردى صحتك وقواك ! »

وعادت الشقيقتان الى القصر فى صباح اليوم التالى ؛ وبدا جليا أن كليفورد قد عانى الأمرين خلال الاربعة والعشرين ساعة الماضية : فقد نحل جسمه بشكل واضح ، وبدت فى عينيه علامات القلق والسهاد ، اذ أحاطت بهما هالتان من السواد . وانصت الى ثرثرة هيلدا وهى تهول فى أقوال الطبيب بشأن مرض شقيقتها وتكرر القول بوجوب احضار ممرضة لتعنى بأمره فورا ، والا فانها سوف تضطر الى العودة بكونى الى لندن .

— ٥ —

**واضطر** كليفورد الى الاذعان ، فاستدعى الى القصر ممرضة من أهل البلدة تدعى « مسز بولتن » ، كانت قد أظهرت مهارة فى علاجه عندما أصيب فى صغره بالجدرى ، وكانت تناهز الآن الأربعين من عمرها ، وتبدو على وجهها آثار جمال ذابل ، وكان زوجها « تد بولتن » قد توفى أثناء انفجار حدث فى أحد المناجم حيث كان يعمل .

وتسلمت «مسز بولتن» مهام وظيفتها ، وأظهرت نشاطا وافرا وهمة ملحوظة للترفيه عن سير كليفورد .. فكانت تلبي طلباته ، وتعد له طعامه ، وتخرج به الي الخلاء ؛

وعلى الرغم من ذلك كان كليفورد لا يكف عن التذمر واظهار روح الضيق والسخط ، فقد اعتبر تخلي كوني ـ لامرأة غريبة ـ عن ابسط واجباتها كزوجة ، بمثابة اتجاه منها بكل احساساتها وعواطفها نحو نفسها ، ومثل هذا العمل خليق بأن يقتل ما بقي بينهما من صلة روحية وصداقة متبادلة .

وفطنت مسز بولتن الى ما كان ينتاب كوني من أزمات نفسية ، نتيجة لثورة « الحيوان » الراقد في أعماقها ، فأخذت تزجي لها النصح ، محاولة التسرية عنها والترفيه عن أعصابها ، قائلة : « أواه يا سيدتي الليدى ! .. لماذا تلازمين حجرتك باستمرار .. **انك فى حاجة الى الشمس والهواء النقي ، ان هذه البقعة من أجمل بقاع الأرض قاطبة .. ولعمري أن نزهة قصيرة على الاقدام حتى كوخ الحارس « ميلورز » قد تفيدك كثيرا »**

فنظرت كوني اليها بدهشة واستغراب ، وقد ذكرت لتوها ذلك الحارس ، وجسده القوى الناصع البياض ، وساءلت نفسها : هل هناك معنى خفى وراء عبارتها الأخيرة ؟ وماذا تقصد على وجه التحديد ؟ .. ولكنها استطاعت أن تقنع نفسها في النهاية بأن مسز بولتن ـ مهما كانت الغاية او الهدف الذى تقصده ـ على حق ، وأن مثل هذه النزهة قد تبث فى نفسها الراحة والطمأنينة !

***

**وخرجت** للنزهة فى ممرات الغابة ، وسط الأشجار الكثيفة ، حتى وجدت نفسها في ساحة منعزلة ، لم تكن قد رأتها من قبل . **وهناك أبصرت بالحارس راكعا على الارض أمام حظيرة للدواجن لم يكتمل بناؤها بعد ، وقد حمل مطرقة وأخذ يدق بعض الأخشاب .**

ولما وصل الى سمعه وقع خطواتها المتسللة ، رفع رأسا فجأة واصاخ السمع ، وهو ينظر حوله فى حذر وتشكك !..
لقد كانت وظيفته الأساسية أن يمنع الدخلاء من التسلل داخل أراضى سير كليفورد !

وما أن شاهدها حتى توقف عن العمل ، ورفع قبعته محييا فى أدب .. فاقتربت كونى منه وقالت :

ـ لقد سمعت صوت المطرقة : فجئت أتبين مصدره .

ـ اننى أشيد حظيرة للدواجن ، يا سيدتى الليدى .

ودخلت كونى الى الحظيرة ، وأخذت تتأمل أدواته الملقاة على الارض فى اهمال ، بجوار وعاء من القار وبعض ألواح من الورق المقوى .. بينما عاد الحارس الى عمله ، دون أن يكترث لوجودها !.. فلم تلبث كونى أن خرجت الى الساحة وجلست على مقعد صغير ، **تتأمل ساعديه المفتولين وهما يرتفعان وينخفضان فى حركات منتظمة** .. وبدا جليا على وجهه أن وجودها يضايقه ويحد من حريته ، غير أن كونى لم تشعر برغبة فى الانصراف ، **بل انها وجدت فى مراقبتها له متعة لم تدرك لها سببا !** .. وظلت تراقبه وهو يعمل حتى غربت الشمس ، دون أن ينبس أى منهما بكلمة ..

وأخيرا ، وقفت كونى على قدميها وتقدمت نحوه ، وقد بدا وجهه المتعب جامدا ، خاليا من أى تعبير ..

ـ انه مكان جميل ومريح يا ميلورز .. ألديك مفتاح آخر للحظيرة ؟

ـ مفتاح آخر ؟ .. لماذا ؟

واذ ذاك صعد الدم الى وجهها ، فقد ضايقها انه تحدث اليها بهذه اللهجة ، كما لو كان هو المالك الشرعى للحظيرة ! .. فأجابته بنبرات آمرة توحى بالاصرار :

ـ نعم .. مفتاح آخر .

ـ بوسعك القاء هذا السؤال على سير كليفورد يا سيدتى الليدى ، اذ قد يكون لديه مفتاح آخر !

ـ حسنا .. سوف أرى ما يمكن عمله فى هذا الصدد ..

والتقت عيناها بعينيه ، فخفق قلبها بشدة ، اذ قرأت فيهما مقدار حقده عليها ، وضيقه بوجودها ! .. ثم هز كتفيه فى استخفاف وهو يلقى اليها بتحية المساء ، ودار على عقبيه وانصرف ..

***

وكان كليفورد ينتظرها فى غرفة الطعام على أحر من الجمر ، فقالت بلهجة تنم عن الاعتذار : « هل تأخرت يا كليفورد ؟ .. لقد قمت بجولة فى المزرعة بالقرب من كوخ ميلورز ، وأمضيت بعض الوقت فى حظيرة الدواجن التى يشيدها .. هل تملك مفتاحا آخر لها ؟ » ، فأجاب : « نعم ، لماذا ؟ » ، فقالت وهى تطرق برأسها : « لقد سرت الراحة الى نفسى هناك .. لذلك قررت أن أكرر الزيارة كلما سمحت لى الظروف » .. فسألها وهو يحدجها بنظرة ثاقبة : « أكان ميلورز هناك ؟ » ، فأجابت : « نعم .. وقد بدا جليا أنه يضيق بوجودى .. وبالاختصار ، **لقد عاملنى بوقاحة وسوء أدب ! »** . فضحك كليفورد وقال : « **انها طبيعته .. فهو يكره النساء ولا يأمن جانبهن .. فقد فرت زوجته مع رجل آخر ! »**

***

وفى صباح اليوم التالى جلست كونى الى مائدة الطعام بجوار كليفورد ، يتناولان افطارهما فى صمت واكتئاب .. وفجأة سألته ، بغير مقدمات : « كليفورد .. هل يسرك حقا أن أنجب طفلا ؟ » .. ففكر قليلا ثم قال : « حسنا .. ان

الأمر لا يهمني ما دام وجوده لن يضعف من حبنا .. كل ما اخشاه ان يفتر حبك لي وافقدك الى الأبد ! » .. فتطلعت اليه وقالت ببطء : « انني واثقة ان وجود الطفل لن يبدل من شعوري نحوك يا كليفورد ! » . فأطرق برأسه ، وقال في وهن : « هذا كل ما يهمنى من الأمر .. فلا شك أن وجود طفل – اى طفل – كفيل بأن يبعث الحياة فى هذا القصر الساكن العتيق .. كما اننى سوف أجد عزاء فى انه طفلك انت ! »

وكان يبدو جليا أن الكلمات تخرج من صميم قلبه ووجدانه ، عن اقتناع .. وانه يعنى تماما ما يقول .

***

وكثر ترددها على حظيرة الدواجن ، حيث كانت تقضى وقتا طويلا ، بمفردها ، فى تأمل الدجاج والافراخ الصغيرة . وكان الربيع قد بدأ ينشر ظلاله على الغابة ، فنمت الأزهار البرية ، وانتشر أريجها فى الجو .. وذات يوم ، وجدت ميلورز يغلق باب الحظيرة ، استعدادا للانصراف الى كوخه ، فاستوقفته قائلة :

– لقد حضرت لأرى الافراخ الصغيرة ..

ثم جلست على الأرض ومدت يدها داخل القضبان ، لتلتقط احد الكتاكيت ، فاذا الدجاجة الأم تنقض على يدها فتنقرها بشدة .. فسحبت كونى يدها مجفلة وقالت : « انها لا تريدنى أن امسك بصغارها .. انها تكرهنى ! » .. فضحك ميلورز لسذاجتها وجلس الى جوارها ، ثم زحف بجسده نحو الحظيرة ، ومد يده فالتقط كتكوتا صغيرا ووضعه فوق كف كونى . **فأحست بحرارة المخلوق الرقيق**

**تسرى فى جسـدها ، وبدا التأثر عليها ، فأخـذت الدموع تنهمر من عينيها وتسيل على وجهها ..**

وسـقطت قطرة منها على ذراع ميلورز ! .. فذاب قلبه وانصهر ، كالحمم السائلة ، ثم مد يده فأراح أصابعه فوق ركبتها ، وقال : (( **لا تبكى بالله .. لا تبكى بحق السماء ! ))** .. فأخفت وجهها بسـاعديها وقد أحست بأن قلبها قـد تحطم ، وانه لم يعد ثمة ما تبالى به بعد ذلك ..

ووضع يده على كتفها ، ثم انحدر بها ، فى نعومة ورقة ، تجوس خلال ظهرها ، بحركة غريزية عمياء .. وهمس لها بصوت خافت أجش : « هلا ذهبنا الى الكوخ ؟ ! » .. ثم أغلق يده برقة على أعلى ذراعهـا ، وجذبها متجها بها نحو الكوخ ، فى خطوات بطيئة متعثرة ، دون أن يفلتها الا بعـد أن صارا فى الداخل .. وهناك أزاح المنضدة والمقعد جانبا ، وتناول « بطانية » ففرشها فى تؤدة .. **بينما وقفت ((كونى)) ساكنة بلا حراك ، تتفرس فى وجهه الذى علاه الشحوب ، وبدا خلوا من التعبير ، شأن رجل قد استسلم للأقدار !**

وأشار لها الى الفراش ، ثم أغلق الباب ، فساد الظلام .. ظلام دامس !

وفى طاعة عجيبة ، اسـتلقت على الفراش .. واذ ذاك أحست بيده العاشقة تتلمس جسدها ، وتربت على وجهها .. ثم أدركها أخيرا ملمس قبلة ناعمة على خدها .

***

**وحين** أفاقت ، لم تملك نفسها من التساؤل : لمـاذا كان ذلك ضروريا ؟ .. لماذا تحس كأنه قد أزاح غمامة ثقيلـة كانت جاثمة على روحها ، ومنحها سكينة النفس ؟ .. أو كان

الأمر حقيقيا ؟ .. أم انها تحلم ؟ .. ان ذهنها الانثوى المعذب لا يزال قلقا ، تستعصى عليه الراحة .. أو كان الأمر حقيقيا ؟

وكان الرجل راقدا بلا حراك .. **بماذا كان يشعر ؟ .. فيم كان يفكر ؟ .. انها تجهل أفكاره وأحاسيسه . انه بالنسبة لها رجل غريب . انها لا تعرفه ! .. كل ما تملكه هو أن تنتظر .. فانها لا تجرؤ على قطع حبل هذا الصمت الغامض الذى يشمله .. لكم هو قريب منها .. ولكم هو مجهول منها تماما ! .. لكنه كان ساكن النفس . صمته ذاته كان سكينة !**

ولقد ادركت ذلك ، حين نهض اخيرا .. وابتعد عنها .. وكأنه يهجرها ! .. لقد توقف لحظات ، ثم فتح الباب بهدوء .. وخرج !

ومن فرجة الباب لمحت هى قمرا مشرقا فوق أشجار البلوط .. فنهضت مسرعة ، وأصلحت من شأنها .. ثم اتجهت نحو الباب .

## - ٦ -

**دخلت** كونى فى الصباح التالى حجرة المكتب ، فوجدت كليفورد هناك . وما ان وقع بصره عليها حتى بدأ ثرثرته المعتادة ، لكنها لم تع منها شيئا . اذ كان ذهنها شاردا ، يحوم حول ذلك الكوخ . وميلورز .. ترى أين هو الآن ؟ .. وماذا يفعل ؟

واستيقظت من تأملاتها على صوت كليفورد يسألها : « هل تودين أن أقرأ لك قليلا؟ » ، فالتفتت نحوه ، وتفرست فى وجهه بامعان .. ماذا يقول هذا المجنون ؟ .. الا يعقل الأمور ؟ .. ماذا يريد منها الآن ؟ .. ألا يدرك انها لا تطيق

الاستماع الى قراءاته المملة ؟ .. واعتذرت له بأنها تشعر بصداع شديد . وصعدت الى غرفتها .. حيث ظلت تتقلب فى فراشها ، حتى أرخى الليل سدوله ، فانسلت من القصر ، وأوسعت خطاها نحو الكوخ ..

وجلست على عتبة بابه ، تنتظر عودة ميلورز الى مأواه ، وقد ساورها القلق لتأخره .. ماذا حدث ؟ .. أيكون قد ندم وقرر هجرانها ؟ .. وأخيرا وصل الى سمعها وقع خطواته ، فاهتز جسدها كريشة فى مهب الريح .. فلما رآها ، قال بلهجة عطف : « آه .. ها أنت ذى قد عدت ثانية » .. فرمقته بنظرة حب ووله، وغمغمت : « نعم .. لماذا تأخرت ؟ » ، فربت على كتفها وهما يدخلان ، وقال : « ألا تخشين أن تلوك الافواه علاقتنا ؟ » ، فنظرت اليه طويلا وقالت : « ماذا تعنى ؟ » .. فأجاب : « أعنى .. أن حضورك هكذا فى جوف الليل » ، فقالت غاضبة : « لكن أحدا لم يلحظ حضورى »

ـ اليوم ، نعم .. ولكن ، ماذا عن الغد ، وبعد الغد ؟ .. أتعتقدين أن علاقتنا ستظل الى الأبد سرا مكتوما ؟

فهزت كتفيها باستخفاف ، وقالت : « لست أبالى ! »

ـ هل أفهم من هذا أنك مصرة على الحضور، رغم كل شيء !

ـ نعم ، رغم كل شيء !

ـ ولكن ماذا يحدث لو شاع الأمر ؟ .. فكرى قليلا .. اننى شخص متواضع الاصل .. اما أنت .. ان هذا لخليق بأن يضعك فى مركز حرج .. شديد الحرج .. ماذا يحدث لو عرف سير كليفورد وسواه بالأمر ؟ .. لسوف تصبح سمعتك مضغة فى الافواه ، مما قد يدفعك الى احتقار نفسك !

فهزت كتفيها بلا اكتراث ، وقالت :

ــ فى وسعى عندئذ الرحيل !

ــ الرحيل ؟ .. الى أين ؟

ــ الى حيث أشاء .. اننى أملك عشرة آلاف جنيه ، وبوسعى أن أرحل الى أى مكان ، حيث لا أعرف أحدا ولا يعرفنى أحد !

ــ انك تنسين أنك « الليدى تشاترلى » .. أو تضحين بمركزك هذا من اجل خادم من خدمك ؟

ــ الليدى تشاترلى ؟ .. اننى لا أهتم بذلك .. فكل هذه الألقاب زيف ونفاق .. ولطالما احسست برنة التهكم فى كل صوت كان يدعونى بهذا اللقب المقيت .. حتى انت يا ميلورز ، يا من تدعو نفسك خادما من خدمى ؛ الا تذكر كم كنت تسخر منى ، خلف قناع الأدب والاحترام ؟

ــ على رسلك اذن ! .. لقد أنذرتك .. فلن أكون انا الخاسر على أى حال ..

ــ أو تعتقد اننى الخاسرة ؟

واقترب منها خطوتين ، واحاط كتفيها بساعديه القويين، نرفعت يدها وأخذت تداعب خده بأناملها المرتعشة ، وهى تبتسم ..

ــ ٧ ــ

وفى اليوم التالى ، عاودها الشعور بالمذلة والعار ، واحتقار ذاتها . كيف سمحت لهذا الرجل بان يلوثها ويهبط بها الى هذا الدرك ؟ !

.. وصح عزمها على قطيعته ، فبذلت خلال الأيام التالية جهدا كبيرا فى مغالبة عواطفها .. ولازمت غرفتها ، حيث ذرفت دموعا غزيرة ؛ فقد ادركت مقدار ما انحدرت اليه

من الهوان والضعة .. لقد قاست كثيرا ، وكاد صراعها مع نفسها أن يدفعها الى الجنون !

وفى اليوم العاشر شعرت بقلق مرير ، فخرجت من القصر وسارت على غير هدى فى الهواء الطلق ، **وتعمدت أن تسير فى الاتجاه المضاد للكوخ ، اذ كانت قد قررت ان لا ترى ميلورز ثانية ! .. لو انه كان من طبقتها لاختلف الامر .. أما وهو خادم أجير حقير .. !**

وحثت خطواتها وهى لا تنى عن التفكير ، حتى وصلت أخيرا الى الغابة ، فجلست فى ظل شجرة وارفة ، وانهمرت من عينيها الدموع .. رباه ، لافائدة .. لافائدة !!.. وفجأة رفعت راسها ؛ فقد وصل الى سمعها صوت تهشم اعشاب جافة تحت وطء أقدام ثقيلة ، فالتفتت الى الخلف بحركة غريزية، فأبصرت ميلورز قادما نحوها ، بقامته الطويلة وكتفيه العريضتين ؛ وعيناه تقدحان شررا ، وهتفت مأخوذة : «ميلورز!» ، فتوقف على مقربة منها ، وحدجها بنظرة ثاقبة .. ثم قال : « ما الذى جاء بك الى هذا المكان ؟ .. هل ذهبت الى الكوخ ؟ » ، فأجابت بصوت خافت : « كلا .. ولم أكن أزمع الذهاب الى هناك ! » .. فقال بقسوة : **« أحقا ؟ .. ألم تدركى بعد انه لم يعد فى وسعك الهرب من حياتى هكذا ؟ . انك ملك لى ، وستظلين كذلك الى أن يطويك القبر .. »**

وتهالك الى جوارها فوق العشب ، وأحاط جسدها بساعديه وضمها الى صدره بعنف ، فبذلت جهد المستميت كى تدفعه عن نفسها ، غير أن مقاومتها لم تلبث أن ضعفت ، فتلاشت ارادتها .. وتبدد احترامها لذاتها !

وسار الى جوارها فى الظلام حتى بوابة القصر ، حيث ودعها وعاد أدراجه ، فصعدت الدرج وقد سرى الخدر

الى اعصابها .. لقد عاد اليها شبابها ، وعادت عروقها تنبض بدماء الحياة .. وفجأة ، طرأ على ذهنها سؤال هام ، جدير بالتدبر : ماذا لو انجبت منــ .. منه .. طفلا !

***

واعتذرت الى كليفورد عن تأخيرها بأنها كانت فى نزهة قصيرة ، فلم تبد عليه أية بادرة من الشك فى صدقها ، غير **ان مسز بولتن رمقتها بنظرة تحمل كل معانى الهزؤ والاستخفاف ، اذ كانت واثقة ــ فى اعماقها ــ من أن سيدتها كانت على موعد مع عشيق .. لكن ترى من هو ؟ .. ومن اين لها أن تجده ؟ !**

وقال لها كليفورد : « ماذا تودين أن أقرأ لك الليلة ؟ » ، فأجابت بلا اكتراث : « اننى أفضل الاستماع الى بعض أشعار راسين » ! .. وكان راسين شاعره المفضل ، وكان يجد متعة فى قراءة أشعاره بصوت عال ، فأرادت ارضاءه .. وبدا كأنه ادرك مرادها ، فتناول الكتاب واخذ يتلو الشعر بمذلة ومرارة ، وكانت كونى ترمقه بين الفينة والأخرى بنظرات تفيض باليأس والقنوط .. ما ذنبه يا ربى ! ؟

وعند ما انتهى من القراءة استيقظت من تأملاتها وقالت : « اشكرك يا عزيزى .. لقد كانت تلاوتك لشعر راسين رائعة » ، فقال بأسف بالغ : « أنا الذى يجب أن يشكرك يا كونى ، لانك تنازلت بالاستماع الى » .. فأجابت : « ان أشعار راسين توحى بالتأملات والأحلام .. انها تدفع النعاس الى أجفانى .. طابت ليلتك يا كليفورد » .

وأخذ يراقبها وهى تبتعد ، بنظرات زائغة .. ولما اختفت عن ناظريه ، سقطت على خده دمعة ، وشعر فى أعماقه

ان الرباط الذى بينهما قد وهن ! .. ولأول مرة تجسمت
امام ناظريه فكرة هجرها له ، كأنها الموت ، مرعبة ، مخيفة !

***

**وأما** « كونى » ، فما أن أراحت رأسها فوق الوسادة ،
حتى راحت فى سبات عميق ، فلقد فارقها الأرق والقلق ،
اللذان انتقلا الى الحارس ميلورز .. فحين ودعها عند بوابة
القصر فى تلك الليلة ، عاد الى كوخه مهموما ، فجلس بجوار
المدفأة ومد قدميه فوق مقعد أمامه ، وغرق فى لجة من
التفكير .

**لقد عاد الى ذاكرته طيف طفولته وأيام شبابه ، وذكرى
زوجته التى هجرته لتعيش مع أحد عمال المناجم ، تاركة
طفلتها فى كنف أمه .. تبا لها من عاهرة !**

وتذكر حياته التى قضاها فى سلك الجيش ، وما لاقاه من
أهوال القتال فى الهند ومصر . وعندما التحق بخدمة سير
كليفورد تشاترلى ظن أنه سيجد الراحة والسلام فى هذه
الضيعة المنعزلة ، ولكن ، فجأة تظهر فى أفق حياته امرأة ،
تسعى خلفه وتطارده ، فتعكر عليه صفو وحدته ! .. ماذا
ينبغى عليه أن يفعل ؟ .. أيستمر فى علاقته بها ، أم يقصيها
عن حياته الى الأبد ؟ .. **ان ضميره يبكته على خيانة سيده
المقعد ! .. وتململ فى مقعده حانقا ، وشعر بأنفاسه
تضيق .. يجب أن يضع حدا لهذه العلاقة الآثمة ، التى لن
يجنى من ورائها سوى الشقاء والأحزان !**

وأخيرا نهض من مقعده بتثاقل وارتدى سترته وغادر
الكوخ . كان الليل هادئا ، والدنيا غارقة فى ظلام دامس ،
وسرت برودة الجو الى جسده ، فتمنى لو كانت كونى بجواره
فى تلك اللحظة ، ليضمها بين ذراعيه ويستمد الدفء من حرارة

جسمها .. ولكن ، أين تراه يجدها الآن ؟ .. لا ريب انها تنعم فى تلك اللحظة بالنوم وقد طوت جسدها بالأغطية الوثيرة !

وعندما وصل الى اسوار القصر رأى الضوء يشع من غرفة سير كليفورد ، وحاول ان يهتدى الى غرفتها .. ولما باءت محاولته بالفشل استدار على عقبيه عائدا نحو كوخه . وفى تلك اللحظة اقتربت مسز بولتن من النافذة وازاحت الستائر جانبا ، فلمحت شبحا يتسلل عند باب الحديقة .. وحاولت أن تتبين ملامح وجهه فى الظلام .. وفجأة ،انبلجت الحقيقة أمامها : انه ميلورز ! .. وقد حضر لموافاة سيدتها .. اذن ، فميلورز .. هو عشيق الليدى تشاترلى !

## - ٨ -

وانقضت أيام ، أحست كونى بعدها بثمرة علاقتها بميلورز، تتحرك فى أحشائها !..ولم تدر هل أثار هذا الحدث سرورها أم حزنها ؟ .. وأخذت تقلب الأمر على وجوهه .. ماذا يحدث لو علم كليفورد بالحقيقة ؟ .. ولكن ، ترى أينبغى أن يعرف الحقيقة بحذافيرها ؟ .. كلا .. بل عليها أن تخفى شخصية والد الطفل ، **فهذه الصدمة قد تفقده عقله ! .. آه لو علم أن الشخص الذى قام بوظيفته هو ميلورز .. الخادم .. الحقير .. رباه ، ماذا ينبغى أن تفعل ؟**

وأخيرا استقر ذهنها على خطة ماهرة : لماذا لا تلبى — مع أبيها وشقيقتها — دعوة أحد أصدقاء الأسرة لهم لقضاء أسابيع فى « الفيللا » التى استأجرها فى ( فينيسيا ) .. حتى اذا ما حان وقت الوضع ظن كليفورد أن عشيقها كان ايطاليا لايعرفه ، ويبعد عنه مئات الأميال، فتوفر عليه مذلة الغيرة ، وتهون من شأن فعلتها !

***

**ورحلت** كونى الى لندن ، حيث مكثت أسبوعا ؛ غير انها ما لبثت أن ضاقت بالحياة هناك وتولاها حنين الى ( رجبى هول ) ، والضيعة .. والكوخ !

واستقبلها كليفورد بعطف وشوق زائدين ، وظل يتحدث اليها وقتا طويلا ، ويسألها كيف قضت وقتها فى لندن .. فكانت تجيبه باقتضاب ، اذ كان ذهنها شاردا نحو الكوخ ، وميلورز ! .. ترى اما زال هناك ؟ .. وماذا يفعل الآن ؟ .. أتراه يحقد عليها لسفرها دون أن تخطره ؟

وعندما أوى كليفورد الى فراشه فى تلك الليلة . جلست كونى مع مسز بولتن تجاذبها أطراف الحديث ، وفجأة سألتها : « هل فقدت زوجك منذ وقت طويل يا مسز بولتن ؟ »

ـ منذ عشرين عاما ..

ـ يا الهى .. انه لعمر طويل !

ـ نعم ، عمر طويل .. طويل جدا !

ـ وهل كان يحب الأطفال ؟

ـ نعم ، قبل ان اضع طفلى الوحيد .. لا زلت اذكر تلك الليلة الرهيبة ، ليلة أن جاءنى المخاض .. كنت أعانى آلام الوضع ، فقبع الى جوار فراشى يراقبنى فى جمود ، وخيل الى أن صرخاتى تنفذ الى قلبه ، وان ألمه يفوق ألمى ، فلما انتهت الأزمة قلت له : « تشجع يا « تد » .. ان كل شيء على ما يرام »، فابتسم ابتسامة شاحبة وقال : (( **سحقا لهذا الطفل ! .. لقد جلب لك المتاعب والآلام .. انه لظلم فظيع يحيق بالمرأة مقابل الاستمتاع بلحظة عابرة من الحب ! ))** . **ومنذ تلك اللحظة هجر فراشى كيلا يحملنى**

**مثل هذا الألم مرة أخرى .. مسكين تد .. لطالما أفهمته أن هذا الألم هو دنيا المرأة ، وان جحيمه هو نعيمها !**

ـ وهل كنت مغرمة به ؟

ـ مغرمة به ؟ .. لقد كنت أعشقه لدرجة الهوس والجنون . فهنالك نوع من الرجال يسرى حبهم فى عروق المرأة ، مسرى الدم !

فبدا الاهتمام على وجه كونى وسألتها ، وقد ذكرها هذا القول بميلورز ! : « أو يصعب ـ فى هذه الحالة ـ على المرأة الخلاص من ذلك الحب ؟ »

ـ أوه يا سيدتى الليدى .. ان المرأة تحمل وتلد وتقضى العمر فى تربية طفلها وتنشئته ، **وعندما يشب ويصير رجلا تنتزعه امرأة غريبة من بين أحضانها ، فلا تحزن ولا تندم .. بينما تموت كمدا لو اختطفت امرأة أخرى زوجها !** ـ واقصد بالزوج : الزوج الرجل .. السيد !!

***

**وذات** ليلة .. انسلت كونى من فراشها ، واتجهت صوب الكوخ . كان ميلورز يتناول عشاءه فى صمت واكتئاب . وما كاد بصره يقع عليها عند عتبة الباب حتى كف عن الأكل وظل فى مقعده ينظر اليها دون أن يفوه بكلمة ، فهمست بصوت خافت : « هل تسمح لى بالدخول ؟ » ، فقال بهدوء : « بلا ريب » ، فأردفت : « هل اعتدت تناول العشاء هكذا متأخرا ؟ » ، فقال وهو يطرق برأسه : « نعم » ، وأكب على طعامه من جديد !

فلما انتهى من تناول عشائه رتب المائدة فى صمت ، خلع سترته ، ووقف أمامها متسائلا : « هل نبدأ ؟ »

فذهلت ، وقالت مأخوذة : « نبدأ ؟ .. نبدأ ماذا ؟ » ، فلم يكف عن طريقة حديثه الهجومية المذلة ، واجاب : « نبدأ الحياة ! » .. ثم أردف ، بسخرية مرة : « هل أغلق الباب ؟ » .. فلم تجب بحرف !

ولما عاد الى مكانه نظرت اليه فى ذلة وسألته : « لماذا تتحدث الى بمثل هذه المرارة ؟ » ، فأجاب متمهلا : « هكذا انا دائما ؛ اذا ما عكر على أحد صفو وحدتى » ، فأطرقت برأسها وقالت :

ــ لن أعكر عليك صفو وحدتك طويلا .. فسوف أرحل مع أبى وشقيقتى الى ايطاليا قريبا !

ــ وهل سيرحل سير كليفورد معك ؟

ــ كلا .. لقد آثر البقاء هنا .

ــ وهل سيطول غيابك ؟

ــ ربما ..

وساد بينهما صمت طويل ، قطعته كونى أخيرا قائلة :

**ــ لقد صارحت كليفورد باننى اتوق الى انجاب طفل !**

ــ أحقا ؟ .. وماذا كان جوابه ؟

ــ لم يعترض .. فهو يعتقد ان ذلك بالنسبة الى يعد شعورا طبيعيا .

**ــ ياله من بائس .. وهل تحدثت اليه بشأنى ؟**

ــ كلا ..

ــ هذا طبيعى .. ولكن، ماذا سيكون تفسيرك للموقف ؟

ــ سوف أوحى اليه بأن لى عشيقا فى ايطاليا !

ــ وهل .. هل انت حبلى ؟

فهزت رأسها بالايجاب .. واذ ذاك نظر اليها ، ثم قال بمرارة :

**ــ لقد فهمت .. اذن ، فهذا هو مادفعك الى الارتماء فى**

**أحضانى .. لكى تحصلى على طفل !**

ـ كلا .. كلا .. ليست هذه هى الحقيقة !

ـ اذن ، ماهى الحقيقة ؟ .. على كل حال لن أضار بشىء اذا أنجبت طفلا ، مادام سير كليفورد سوف يتكفل به ! .. وليست هذه هى المرة الاولى التى احقق فيها فائدة للغير ، دون أن تعود على فائدة ما .. **حسنا ، الواقع اننى قد تقاضيت أجرى ! .. ألست أعمل أجيرا عنده ؟ .. لقد نقدنى مالا ، فوهبت زوجته سرورا ومتعة .. وطفلا صغيرا!**

فدمعت عيناها ، وهتفت :

ـ أقسم لك ان ذلك لم يدر بخلدى !

ـ على كل حال .. اننى فى خدمتك دائما يا سيدتى الليدى !

ـ كلا .. لاتتفوه بمثل هذا الكلام .. لقد أحببتك دائما .

ـ لست انكر اننى أحببتك أيضا .. غير ان ..

ـ كلا .. هذا غير صحيح .. فلو احببتنى حقا لما عاملتنى بمثل هذه القسوة !

ولم يجبها ، وانما اقترب منها ، وأحاطها بذراعيه .. ثم دفعها نحو الفراش ..

***

**وهمست** كونى بصوت خافت : « ميلورز .. صارحنى .. هل تحبنى ؟ .. وهل ستظل على حبك لى على الدوام ؟ »

فلم يجب ، وانما نظر اليها وقال :

ـ هيا .. آن موعد عودتك الى القصر !

ـ ليس فى وسعى أن أتركك يا ميلورز !

ـ لقد تأخرت يا كونى ..

ــ لست أبالى .. لم أعد ابالى بشىء يا ميلورز !
فانحنى نحوها وقبلها ، وعاد يضمها الى صدره ..

- ٩ -

**فتحت** كونى عينيها فى الصباح ، فوجدت نفسها راقدة فى فراشه .. فذعرت وارتجف جسدها بشدة ! .. كيف جرؤت على المبيت خارج القصر ؟ .. وكيف تفسر موقفها أمام كليفورد ؟ .. ولكن ، ليحدث ما يحدث ، فما عادت تبالى بشىء ! .. وقفزت من الفراش ثم ارتدت ثيابها فى عجلة ، ودخلت الى الغرفة المجاورة لتصلح من شأنها وتصفف شعرها .. وعندما عادت وجدت ميلورز جالسا فى الفراش ، فسألته : « صورة من هذه المعلقة فى الداخل ، ياميلورز ؟ » فأجاب ببطء : « صورة زوجتى » .. فاقتربت منه وجلست الى جواره ، ثم قالت : **« ألا زلت تحبها ؟ »** .. فأجاب : « أحبها ؟ .. أوه .. كلا » ، فسألته : **« لماذا اذن تحتفظ بصورتها ؟ .. لماذا لم تحرقها ؟ »** ، فأجاب : « لست أدرى .. الواقع ان هذه الفكرة لم تخطر على ذهنى .. »

وران الصمت عليهما بعض الوقت ، ثم سألته :

**ــ أخبرنى يا ميلورز .. ما الذى دفعك الى الزواج منها مادمت لاتحبها ؟**

ــ انه القدر .. فقد كانت أول تجربة لى ، وكنت اذ ذاك غرا يافعا فى العشرين ، وكانت تكبرنى بخمسة أعوام ، وتفوقنى خبرة وتجربة ، فاستطاعت أن تنصب شباكها حولى .. غير اننى لم اوفق الى ارضاء عواطفها الثائرة التى لاتخمد .. فانتهى زواجنا بالفشل ، وهربت هى مع عشيق

لها استطاع أن يستحوذ عليها بمعاقرة الخمر وادمان المخدرات !

وتبينت كونى المرارة فى صوته ، فأحاطته بساعديها وهمست ، محاولة تغيير مجرى الحديث : « هل تحبنى يا ميلورز ؟ » ، فلم يجب .. فضمته بشدة وغمغمت : **«إذا لا تجيب ؟ .. قل انك تحبنى .. لا تدعنى أغادر هذا المكان ، ولنعش معا حبيبين الى الأبد ! »** .. لكنه ظل معتصما بالصمت ! .. فقالت وقد انفعل صوتها بالغضب : « أتعلم ان ميعاد سفرى الى ايطاليا قد اقترب ؟ » .. فلم تختلج فى وجهه عضلة واحدة ، وقال بهدوء : « أحقا ؟ .. أتمنى لك رحلة طيبة ».. فأثارها هدوؤه وعدم اكترائه ، غير انها أخفت مايعتمل فى صدرها وقالت :

ـ ان الضرورة تحتم على الاسراع بالرحيل .. وعندما أعود سوف أبتكر قصة أبرر بها حملى ، ثم أصارح كليفورد بأننى سوف أهجره ، واعلنه بالقطيعة .. وعندئذ يتسنى لنا أن نرحل سويا الى بلد آخر ، لنعيش حياة جديدة .. بوسعنا الرحيل الى استراليا .. أو .. شرق افريقيا !

ـ هل سبق لك ان زرت المستعمرات ؟

ـ كلا .. ولكننى على استعداد لأن أذهب الى أقصى الأرض معك .. ألست ترغب فى الهرب معى ؟

ـ بلى ، ولكن كل شىء مرهون بوقته وظروفه !

ـ كيف ؟ .. أراك لا تبدو عليك اللهفة على الابتعاد عن هذا المكان .. الا يسعدك أن أعيش بجوارك دائما ؟ .. ان لدى ريعا يقدر بستمائة جنيه فى العام ، وهو كفيل بأن يوفر لنا أسباب العيش .. الا تعتقد ذلك ؟

ـ بلا ريب .. فمثل هذا المبلغ يعتبر ثروة بالنسبة لي .

ـ انني واثقة بأننا سوف نكون سعداء ، لاسيما عندما ننجب الطفل !

**ـ الطفل ؟ .. لست أدرى لماذا أشعر بالمرارة كلما جالت هذه الفكرة بذهني ! .. يخيل الى انه من الظلم ان ندفع طفلا بريئا الى غمار هذه الدنيا ، المليئة بالشرور !**

فهتفت كوني في حنق : « ميلورز .. أرجوك .. لا تتفوه بمثل هذا الكلام .. انه طفلنا .. وثمرة حبنا .. انك بذلك تحطم قلبي وتفجعني في أحلامي ! .. قل أنك سعيد ! »

فربت على كتفها بعطف ، وقال :

ـ انني سعيد .. اذا كنت سعيدة ياكوني .

ـ أوه .. لكم أشعر بالسعادة عندما أتصور أحلامنا وأمانينا في طريقها الى التحقق .. بمجرد عودتي !

ـ ولكن ، ما فائدة عودتك الى زوجك اذا كنت عازمة على معاودة الهرب ؟

ـ لقد وعدت كليفورد بأن أعود ، وسأبر بوعدى .. الى جانب انني سوف أعود من أجلك .

فقال بصوت تشوبه رنة التهكم والاستهزاء :

**ـ نعم ، من أجل عشيقك .. الحارس ميلورز !**

وران عليهما الصمت مرة أخرى ، وأخيرا قالت :

ـ أخبرني يا ميلورز ، بصراحة .. الا تعتقد انه من الحكمة ان أسافر الى ايطاليا ؟

ـ بلا ريب .. اذ يتسنى لي خلال هذه الفترة ان أقيم دعوى الطلاق على زوجتي ، كما يمكنك انت الاخرى التفكير فيما انت مقدمة عليه ..

فأطرقت برأسها ، وقالت : « سوف أحضر لزيارتك ليلة رحيلي .. فهل تنتظرني يا ميلورز ؟ »

ـ بلا ريب .. **ولكن ، ألا ترين انه من الخطورة بمكان حضورك أثناء وجود شقيقتك بالقصر ؟**

ـ انها تعلم ان لى عشيقا !

وسارت صوب النافذة ، وأخذت تتأمل الريح التى كانت تزمجر فى الخارج ، والمطر الذى كان ينهمر بغزارة !

## ـ ١٠ ـ

**كاد** كليفورد ان يفقد عقله حين اكتشف ان كونى ليست فى القصر ! .. وأخذ يسأل عنها الخدم فردا فردا ، ولكن احدا لم يقرر انه رآها تخرج .. فجلس الى جوار النافذة يراقب الريح وهى تعصف بأوراق الشجر ، وقد كادت الدموع أن تطفر من عينيه ! .. ولاحظت مسز بولتن مايعانيه من قلق ، فأرادت أن تبعث الطمأنينة الى قلبه .. فأكدت له انها شاهدت الليدى تشاترلى تغادر القصر عند الفجر ، قبل هبوب العاصفة .

ولكن كليفورد لم يقتنع بقولها ، بل صاح فى غضب :

ـ لقد بدأت العاصفة عند الفجر .. فكيف جرؤت على الخروج .. انه لجنون .. جنون مطبق !

وسكت قليلا ، ثم أردف : « متى غادرت القصر ؟ » ، فأجابت مسز بولتن فى هدوء : « حوالى السادسة صباحا يا سيدى » .. فأطرق برأسه وتمتم : « الله وحده يعلم أين هى الآن ؟ »

***

.. **وانقطع** المطر عند الظهر ، والليدى تشاترلى لم تعد ! .. فعاد القلق يساوره ، وأخذ يتململ فى جلسته وقد علا وجهه شحوب أقرب الى شحوب الموت .. ثم قال وهو يضغط بأسنانه على شفته حتى كاد يدميها :

**ـ لافائدة يا مسز بولتن .. لقد وقع لها حادث ! .. فابعثى بمن يبحث عن جثتها فى الغابة !**

ـ اوه .. لاتقل هذا القول ياسيدى .. اننى واثقة انها فى خير حال .. وسأذهب حالا للبحث عنها .

.. وكانت تعرف أين ستجدها ! .. فاتجهت رأسا شطر كوخ ميلورز ، لكنها قبل ان تبلغه التقت بهما فى منتصف الطريق ، فاندفعت نحو كونى بصوت مرتجف :

ـ أوه يا سيدتى الليدى .. ان سيدى اللورد كليفورد فى أسوأ حال ، وقد كاد يفقد عقله خوفا وقلقا عليك !.

فقال ميلورز بلطف : « ان سيدتك الليدى لم تصب بسوء يامسز بولتن .. طابت أمسيتكما » ؛ وأدار لهما ظهره وابتعد ! .. وما كاد يختفى عن أبصارهما حتى قالت مسز بولتن :

ـ أرجو الا تغضبى ياسيدتى الليدى .. لقد كاد سير كليفورد ان يبعث بالخدم للبحث عنك .. لولا اننى تدخلت فى الوقت المناسب وأكدت له اننى شاهدتك تغادرين القصر عند الفجر !

ـ لقد غادرت القصر فعلا عند الفجر .. ماذا فى ذلك .. الا يحق لى الخروج وقتما أشاء ؟

واشتعلت عيناها بنيران الغضب وأردفت :

**ـ كيف سمحت لنفسك بأن تتدخلى فى شئونى ؟ .. ما شأنك بى ؟**

وحين وصلت الى القصر، اندفعت نحو كليفورد وصاحت ثائرة :

ـ لماذا لم ترسل خدمك للبحث عنى ؟

وما ان بلغ صوتها اذنيه حتى اختفت من وجهه علامات القلق ، وابتدرها هاتفا :

ـ يا الهى .. أين كنت أيتها المرأة ؟ .. أين كنت فى هذه العاصفة الهوجاء ؟

**ـ وماذا لو رفضت الاجابة على هذا السؤال ؟**

فتحول لون وجهه من الاحمرار الى الاصفرار ، ودارت عيناه فى محجريهما، وارتجفت يداه بشكل ظاهر ، وفتح فمه ليتكلم .. ولكن الكلمات ماتت على شفتيه ، **فشعرت كونى بالندم يغزو قلبها ، فاقتربت منه وربتت على كتفه بعطف ومودة ، وقالت :**
ـ اننى آسفة يا كليفورد .. كان يجب أن تعلم اننى لابد قد التجأت الى مكان ما من الغابة حتى تهدأ العاصفة ..
ـ هيا وأبدلى ثيابك المبتلة ، اذ أخشى أن يصيبك البرد بمكروه ..
ـ كلا .. لن أصاب بشىء ، سيما واننى شديدة الرغبة فى القيام برحلتى الى ايطاليا
فتجهم وجهه وقال : « الا زلت مصرة على الرحيل ؟ »
ـ نعم ، وسوف تحضر هيلدا مساء الخمس لتصحبنى الى لندن ، ومن هناك سوف نستقل الباخرة .. **لكننى أكرر وعدى بأننى سوف أعود ثانية ، ولن أتغيب أكثر من أسبوعين او ثلاثة على أكثر تقدير .**
فأطرق برأسه ولم ينبس ببنت شفة !

***

**ووصلت** هيلدا الى « رجبى هول » صباح الخميس ، تبدو على قسمات وجهها أمارات التعب والارهاق . وكانت كونى قد أعدت مستلزمات الرحيل ، فاقبلت على كليفورد تودعه بحرارة ، ثم التفتت نحو مسز بولتن قائلة : « أرجو

ان تعنى به يامسز بولتن ، وتوفرى له أسباب الراحة حتى أعود .. آتعدينني بذلك ؟ »

ــ بلا ريب يا سيدتى الليدى .. بلا ريب .

ولما عادت الى حجرتها ، سـألتها هيلدا : « هل أعددت نفسك للسفر ؟ » ، فبدتعلى وجهها المباغتة وقالت : « اوه يا هيلدا . لن أرحل معك الليلة ، اذ اننى مضطرةالى البقاء على مقربة من هنـا .. طوال الليل ! » .. فانفرجت شفتا هيلدا عن ابتسـامة باهتة وقالت : « على مقربة من هنا ؟ .. أين ؟ » .

ــ لعلك تعلمين ان لى عشيقا .. وقد وعدته أن أقضى الليلة الأخيرة معه قبل الرحيل ! »

وساد بينهما صمت طويل ، قطعته هيلدا أخيرا بقولها : « لماذا لا تصرحين لى بشخصيته ؟ » .. فترددت كونى قليلا ثم قالت : « انه حارس الضيعة » .. فشحب وجه هيلدا وصاحت مذعورة : « كونى .. هل جننت ؟ .. لسـوف تندمين على هذه الحماقة أشد الندم ! » .. فانهمرتالدموع فجأة من عينى كونى ، بينما وقفت هيلدا تراقبها وهى تبكى، فترة طويلة ، وأخيرا قالت كونى : « كلا .. كلا .. بل كنت لأندم لولم ألتق به ! »

فقالت هيلدا باصرار : « سنرى ياكونى .. سوف يأتى اليوم الذى لن تجرؤين فيه على أن ترفعى رأسك ، من فرط الخجل والعار ! » .. فمسحت كونى دموعها وقالت :

ــ لست أبالى .. يكفى اننى أشعر بالسعادة تغمر قلبى .. اننى أنتظر مولودا .. منه .. وانى لفخورة به !

ــ وهل انت مصممة على الذهاب اليه هذا المساء ؟

ــ نعم .. لقد وعدته بذلك !

فأطرقت هيلدا برأسها وقد أدركت ان من العبث الجدل
مع شقيقتها فى هذا الشأن !

***

**وكان** وداع كليفورد لكونى مؤثرا للغاية ، فقد ترقرقت
الدموع فى عينيه ، وهو يتوسل اليها أن تذكره وأن تكتب
اليه باستمرار ، لأن رسائلها سوف تكون عزاءه الوحيد فى
وحدته .. فربتت على كتفه فى حنو واخلاص وقد انهمرت
من مآقيها بدورها الدموع الغزار ..

وما ان استقلت السيارة حتى استردت هدوء نفسها ،
فمسحت دموعها بأناملها وقالت : « ياله من بائس .. اننى
أتعذب يا هيلدا ، ولست أدرى ماذا أفعل .. لقد عزمت
عزما أكيدا على هجره ، غير ان ضميرى سوف يعذبنى على
الدوام ! »

وأدارت محرك السيارة التى اتجهت بهما صوب الكوخ ،
وخلال الطريق لم تستطع كونى أن تكتم سؤالا كان يلح على
خاطرها ، فقالت : « لماذا تعتبرين الحب حماقة يا هيلدا ؟ »

ــ ليس هذا ما ارمى اليه .. وانما كان يجدر بك ، اذا
لم يكن من الأمر بد ، أن تختارى رجلا من مستواك وطبقتك !؟
.. أو تتخلين بمثل هذه البساطة عن لقب «الليدى تشاترلى»؟

ــ انه لقب جامد لاحياة فيه .. والسعادة قد تقطن
الأكواخ أكثر مما تقطن القصور الشامخة !

ــ انك حمقاء ياكونى .. والذى حدث لك لا يخرج عن
نزوة طارئة ، ولدها الكبت والحرمان !

وفى تلك اللحظة وصلت بهما السيارة أمام الكوخ ، ثم
توقفت ، فهمست كونى : «هذا كوخ ميلورز » ، فقلبت هيلدا
شفتها السفلى باحتقار وقالت : « حسنا .. أتمنى لك

ليلة هانئة » . . ثم فتح باب الكوخ وظهر ميلورز على عتبته ، فأسرعت كونى نحوه قائلة : « ميلورز . هذه شقيقتي هيلدا »

فتنحى عن الباب ودعاهما الى الدخول ، ثم أغلق الباب خلفهما . وأخذت هيلدا تفحصه بنظراتها ، فبدا ـ بصورته الجميلة ، وصمته ، وتجهم وجهه الحزين القسمات ـ كأنه أعجبها . . وقال أخيرا بهدوء : « هل أعد لكما قدحين من الشاى ؟ . . أم أحضر لكما زجاجة من « البيرة » ؟ » ، فقالت هيلدا فى استهزاء : انني واثقة ان البيرة تناسب كونى الليلة ! » . فأدرك رنة التهكم فى صوتها ، وأراد أن يرد لها صفعتها ، فقال : «انني أعلم أن معظم سيدات الطبقة الراقية يتناولن البيرة » ، فرفعت هيلدا الكوب الذى قدمه اليها وجرعته دفعة واحدة ، ثم قالت : « أو تعتقد ذلك ؟ »

ـ وانت ؟ . . ماهو رأيك الصريح فى الموضوع ؟

ـ حسنا . . اذا شئت الصراحة . .

ـ أعتقد أن الصراحة أجدى فى مثل هذه الظروف .

ـ حسنا . . انني لا أنظر بعين الرضا الى العلاقة التى بينك وبين كونى !

فتفرس فى وجهها بوقاحة ، وقال : « ولماذا . . هل تشعرين بالغيرة منها ؟ » . . فقفزت من مقعدها وصاحت : « كيف . . كيف تجرؤ . . ؟ »

ـ دعينا من هذه الألفاظ الجوفاء . . وأخبريني . . ماهو وجه اعتراضك على الأمر ؟

فهتفت كونى فى يأس وقنوط : « ميلورز . . أرجوك . . لا تحتد هكذا » . . فأطلق قهقهة عالية ، وأردف : « ان شقيقتك ، سليلة المجد والشرف، تحاول أن تلقى على درسا فى الشرف » . فقالت هيلدا ، وصدرها يعلو ويهبط : «وهل

تعتقد انك تملك ذرة من الشرف ؟ » ، فلم يغضب لهــذه الاهانة ، بل استطرد :

ــ لماذا تلومين شقيقتك لأنها وجدت فى شخصى الضعيف ، المنقذ لها من شقائها العائلى وحرمانها الطويل ؟ .. أليست امرأة من لحم ودم ؟ .. ألا يحق لها ــ كسواها ــ أن تتمتع بالحب والحياة ؟

فلم تجب هيلدا بشىء ، ولعلها أدركت عدم جدوى مجادلة هذا الرجل أو مناقشته ، فسارت نحو الباب. واسرع ميلورز خلفها ليرشــدها الى الطريق ، غير انها أشــارت فى كبرياء وترفع : « الزم مكانك .. اننى أعرف طريقى ! » . فقــال بتهــكم : « أؤكد لك انك لا تعرفين شيئا ! » .. فأجابت : « وانا أؤكد لك انك أوقح من رأيت من الرجال ! » . ثم اندفعت نحو الخارج وهى تتعثر فى خطواتها ، فأغلق ميلورز الباب خلفها ، وقال وهو يطلق ضــحكة عاليــة تجلجل فى الكوخ : « كان ينبغى أن أثيرها ، حتى يخلو لنا الجو .. فى ليلة الوداع ! »

وانحنى على كونى .. فقبلها .

***

ــ انهضى ياكونى .. لقد جاوزت الساعة السابعة .

ففتحت كونى عينيها ، ثم أغمضتهما بسرعة وقالت بدلال :

ــ اسدل الستائر .. من فضلك !

ولعلها تذكرت شيئا كان قد غاب عن ذاكرتها فقالت :

ــ لشد ما يشق على فراقك يا حبيبى .. لكم أتمنى أن أبقى بجوارك دائما !

فقال يذكرها : « ورجبى هول ؟ »

ــ نعم .. هــذا صحيح .. يجب أن نبتعــد عنها آلاف

الأميال .. سوف نرحل قريبا عن هذا المكان البغيض ، فلن يهنأ لنا عيش بالقرب منه .. أليس كذلك ؟

وهز رأسه مؤمنا على قولها .. فأردفت :

ـ اتعدنى بالبقاء على حبى ؟ .. عدنى بذلك ياميلورز ، حتى أستمد من هذا الوعد القوة على مواجهة العقبات التى سوف تصادفنى .. عدنى بأنه لن تقوى قوة على التفريق بيننا ! .. عدنى بذلك ، حتى امضى سعيدة هانئة !

ـ اننى أكره الاغراق فى الخيال . كل ما اعرفه انه يتحتم عليك الرحيل بعد دقائق !

فهتفت بحرقة : « أو يتحتم على ذلك ؟ .. رباه ، ما اشد شقائى ! » . وسمع طرق على الباب فى تلك اللحظة ، فأسرع ميلورز اليه ، ثم عاد قائلا : « انه ساعى البريد ، وقد جاءنى برسالة من صديق هاجر الى كندا ! » .. فالتمعت عيناها وهتفت :

ـ كندا ؟ .. حقا ، لم لانهاجر اليها ؟

ـ .. انها بالفعل بلد جميل ، ويصلح لاقامة عاشقين جمع بينهما الهوى !

فاندفعت نحوه وطوقته بذراعيها ، ثم هتفت فى جذل : « اذن ، فأنت تحبنى .. انك تحبنى يا ميلورز »

## - ١١ -

ووصلت كونى وهيلدا الى لندن ، وهناك التقتا بوالدهما « سير مالكولم ريد » ، ثم ارتحلوا جميعا الى ( فينيسيا ) ـ عن طريق سويسرا وفرنسا ـ وكانت كونى تسائل نفسها طوال الرحلة : لماذا لم تعد تلك المناظر الطبيعية الخلابة ، التى بهر جمالها انفاسها من قبل ، تستهويها وتشعرها بجو الخيال والشعر ؟ .. ترى هل أصبحت مثل القديس «برنار»

الذى عبر بحيرة ( لوزان ) دون ان يلاحظ ان مياهها خضراء اللون أو ان الجبال تحيط بها من كل جانب ؟ .. وانتابهـا شـعور بالوحشـة والحنين الى ( رجبى هول ) . بل والى كليفورد أيضا ، كليفورد المشلول المسكين ! .. **وكان عقلهـا الباطن دائب التفكير فى الرجل الآخر .. ميلورز !.. أجل.. يجب عليها ان تحتفظ بذكراه ماثلة فى خيالها ، والا أدركها الضياع ، الضياع التام ، وسط ذلك العالم المحتشد بآلاف الرجال الأثرياء ، الذين لا ينفكون يبحثون عن المتعة واللذة ، بلا كلال !**

ووصل ركبهم الى فينيسـيا فى ليلة مقمرة من ليـالى الصيف الدافئة ، واستقلوا « جندولا » يقوده شاب ايطالى يرتدى قميصـا أزرق اللون يدعى « جيـوفانى » ، وطلبوا منه أن يقلهم الى فيلا «أزميرالدا» التى استأجرها مضيفهم ، وهو رجل اسكتلندى ، ضخم الجثة ، خشن المظهر ، كان قد جمع ثروة طائلة فى ايطاليا أثناء الحرب .

وكانت « الفيللا » مزدحمة بغيرهم من الضيوف ، فقد كان هناك زوجان اسكتلنديان ، وكونتة ايطالية شابة ، وأرملة ، وأمير من ( جورجيا ) ، وقس انجليزى شاب !

وقضى ثلاثتهم فى فينيسيا وقتا ممتعا ، فكان سير مالكولم يصطحبهما لزيارة المعارض الفنية التى كانت تعرض آلاف اللوحات من روائع الفن العالمى ، والمسارح التى كانت تعرض مسرحيـات « جولدونى » ، كمـا ارتادوا مختلف الملاهى والمتنزهات ومعالم المدينة ..

وكانوا يقضون فترة الصباح فى تعريض أجسادهم لأشعة الشمس ، وفى المسـاء كانوا يراقبـون جمـوع الراقصين والراقصات ، الذين جنوا بموسيقى « الجاز » ، واختلطت هيلدا بالنسـاء اللاتى كن يقضين أوقاتهن فى تتبـع حركات

غيرهن من الحسان، والثرثرة عن مغامراتهن وغرامياتهن !..
أما الرجال فقد كانوا — فى سراويلهم البيضاء — أشبه مايكونون بالكلاب حين تقبع فى انتظار يد حانية تربت على ظهورها !

**وشعرت كونى بالتعاسة ! .. انها لا تشعر بالرغبة فى الرقص ، فقد كانت فكرة التصاق جسدها بجسد واحد من تلك « المخلوقات » ، تبعث فى نفسها التقزز والاشمئزاز !**

.. وكانت أسعد أوقاتها هى تلك اللحظات التى تستقل فيها « الجندول » مع شقيقتها ، فتعبران بحيرة ( لاجون ) الى الشط الآخر ، حيث تخلع كل منهما ملابسها ، وتسبحان فى الماء بمفردهما !

وكرس « جيوفانى » ، نوتى الجندول ، كل وقته لخدمة السيدتين الجميلتين، كما فعل من قبل بالنسبة «لشحنات» قاربه من النساء ، وكان يتمنى أن تعجب به احداهما، فتخلع عليه هداياها الثمينة ، ومن ثم يصبح فى وسعه أن يتزوج !

وكانت كونى تعود — فى كل مرة — وقد استولى عليها الذهول ، واستسلم عقلها للنعاس ، من جراء انعكاس أشعة الشمس فوق سطح البحيرة ، لتجد فى انتظارها خطابا من كليفورد — فقد كان يكتب اليها بانتظام — وذات يوم كتب اليها يقول :

« لقد استمتعنا أخيرا بفكاهة رائعة : اذ يبدو ان زوجة حارس الضيعة « ميلورز » قد عادت فجأة الى الكوخ ، غير ان زوجها طردها شر طردة وأغلق دونها الباب . وتقول « التقارير » التى استقيتها من مسز بولتن ان ميلورز عندما عاد من الغابة ، وجدها ترقد فى فراشه « عارية » كما ولدتها امها — بعد ان كسرت احدى النوافذ واقتحمت الكوخ ! — ولما لم يجد طريقة لاجلائها ، انسحب الى منزل أمه ! ..

وهكذا احتلت « فينوس » الكوخ الذى تدعى شرعية حقها فى احتلاله ، بينما انسحب « أبوللو » الى قواعده ، سالما !! »

**وكان وقع خطاب كليفورد كالصاعقة على أعصاب كونى ، واجتاحها الغضب والغيظ !.. لماذا توانى الغبى عن التخلص من زوجته منــذ زمن طويل ؟** .. وبعد ان قلبت الامر على وجوهه، كتبت كونى الى مسز بولتن ، تستفسر عن تفاصيل الموضوع !

وفى تلك الاثناء ، وصل الى فيلا «ازميرالدا» ، فنان شاب، رقيق العاطفة ، من أصدقاء كونى القدامى ، فألف مع كونى وهيلدا ثالوثا لايفترق فى نزهات الجندول ، وصار يلازمهما أكثر الوقت ..

وذات يوم، تسلمت كونى خطابا من مسز بولتن تقول فيه:

« **لاشك** انك سوف تشعرين بالسرور والغبطة ، ياسيدتى الليدى ، عندما يقع بصرك على سير كليفورد ، فقد **تقدمت** صحته بشكل ظاهر ، وبدأ يقبل على الحياة بأمل وحبور .

« لست أعلم الى اى حد من التفصيل ذهب سير كليفورد فيما كتبه اليك بصدد موضوع **الحــارس ميلورز** . والذى أعلمه ان زوجته « برتا كوتس » **قد عادت اليه ذات** مساء ، قائلة انها أتت لتعيش فى كنف « زوجها » ـ اذ يبــدو أن ميلورز لم يكن قد أتم اجراءات الطلاق منها ـ غير انه رفض أن يسمح لها بدخول الكوخ ، وعاد الى الغابة دون ان يفتح لها الباب !

« ولما عاد فى اليوم التالى ، دخل الكوخ فوجدها ترقد فى فراشــه ، عارية حتى من ورقة التوت ! .. فعرض عليها نقودا ، لكنها تمسكت بأنها زوجته الشرعية ، وان لها عليه حق الايواء . فأجابها ميلورز بقوله انه يؤثر أن يدفن ويهال عليه التراب ، على أن يعود اليها !

« وفى اليوم التالى ، ذهبت الزوجة الى الكاهن ، وهى تسب وتصخب وترمى ميلورز بكل النقائص والاتهامات ، وادعت انه كان يصحب نساء الى الكوخ ، وانها عثرت هناك على زجاجة عطر وبعض أعقاب السجائر ملوثة بأحمر الشفاه ، ووصفت للجميع فى وقاحة بالغة ما كان يقترفه معها من أفعال شاذة أثناء حياتهما معا ، حتى أصبح الناس يتحاشون لقياه ، كما لو كان « المركيز دى صاد » عينه ! »

وعاد الغضب يجتاح كونى من جديد .. ما الذى دعاه الى أن يتزوج من تلك المرأة المبتذلة ؟ .. ربما كان لديه استعداد طبيعى للأمور المبتذلة والمنحطة ! .. وعادت الى ذاكرتها الاوقات السعيدة التى قضتها معه ، فسرت الرعدة فى جسدها .. لابد انه قد وجد متعة أخرى فى أحضان امرأة على شاكلة « برتا كوتس » .. **وأحست بغثيان ، وانتابها الخوف والقلق ، وتاقت الى أن تسمو بنفسها عن الدرك الذى تردت اليه ! .. رباه ، ماذا يكون من امرها لو أن كليفورد عرف شخصية عشيقها ؟ .. انه لأمر بالغ الاذلال لها !**

ولم تتمالك ان كتبت خطابا الى « مسز بولتن » ، أرفقت به مذكرة وجهتها الى ميلورز ، قالت فيها :

« لقد أحزننى اشد الحزن ، ما بلغنى عن المتاعب التى صادفتك من زوجتك ، لكنى أرجو ألا تعيرها اهتماما .. انها امرأة مخبولة ، افقدها الكبر صوابها ! .. سوف أعود بعد عشرة أيام ، وأرجو ان يكون كل شىء ـ حينئذ ـ على ما يرام »

***

وكتب اليها كليفورد يقول :

« لقد طفى على السرور عندما تسلمت خطابك الذى

حددت فيه موعد عودتك ، فلكم اشتقت الى رؤياك .. ولكن ، اذا كنت تقضين وقتا هنيئا ، فلا داع لأن تعجلى بالعودة ، فمن الضرورى أن تستمتعى بكفايتك من أشعة الشمس ، وارتداء البيجامات !

« أن مسز بولتن تبذل أقصى جهدها لتكفل لى الراحة ، مما يجعلنى أعجب لذلك النوع من البشر ، الذى يبذل نفسه فى خدمة الآخرين ، دون أن ينتظر جزاء ولا شكورا ! .. انها توافينى بأنباء فضيحة الحارس أولا بأول ، وهى تذكرنى بالسمكة التى ـ رغم كونها خرساء ـ تستنشق الشائعات من خلال خياشيمها ! .. ويؤسفنى أن أقول اننا على وشك أن نخسر حارس غابتنا ، بعد ان انتشرت الفضيحة وذاعت على كل لسان ، فقد اتهمته زوجته بأشنع التهم ، بل لقد فازت بتعضيد كافة نساء عمال المناجم بالبلدة ! .. وقد بلغنى انها ضربت حوله حصارا محكما فى منزل أمه ، وفى احدى المرات اقتنصت ابنتها الطفلة عند عودتها من المدرسة .. غير ان الصغيرة ، بدلا من ان تقبل يد أمها ، عضتها عضة موجعة ، فانفجر مرجل غضب الأم ، وانطلقت فى البلدة تردد أدق تفاصيل حياتها الخاصة مع زوجها ! .. فاضطررت الى أن أستدعى ميلورز فأسأله عما اذا كان بوسعه أن يقوم بواجباته فى الغابة : فأجاب بأنه لم يهمل القيام بها ، واذ ذاك سألته ان كان بوسعه ان يجد له عملا آخر ، فأجاب قائلا : « اذا كنت تقصد انك تريد أن تتخلص منى ، فأننى على استعداد لأن أقدم لك استقالتى فورا ! »

« وعرضت عليه مرتب شهر اضافى ، غير انه نظر الى بأنفة وكبرياء ، وقال انه لا يقبل سوى حقه ! »

***

**وكان** لخطاب كليفورد تأثير سيء على كونى ، فقد أظهر بجلاء مدى أنانية كليفورد وعدم اهتمامه بمشاعر الغير ، سيما من كانوا أقل منه مركزا ومقاما . وعزز هذا الظن أن وصل خطاب من ميلورز يقول فيه :

« لقد انطلقت النمرة من قفصها ، تنشب مخالبها وتفترس كل من يجرؤ على ان يعترض سبيلها ! .. فقد انتهى الأمر بزوجتى الى أن تلوك سيرتك ، حتى وصلت الأقاويل الى مسامع سير كليفورد ، فاستدعانى وفاجأنى بأن زوجتى قد أخبرته انها عثرت فى كوخى على كتاب ممهور باسمك ، وطلب منى أن أفسر له هذا الامر ، فقلت له اننى أحتفظ أيضا بصورة للملكة فيكتوريا ، ممهورة بامضائها ، ولم يسألنى أحد ان أقدم عنها ايضاحا ! .. غير انه أخذ ينحى على باللوم والتأنيب ، قائلا ان احتفاظى بالكتاب فى الكوخ قد أمد زوجتى السليطة اللسان بالسلاح الذى طعنت به سمعة زوجته ، وانه مضطر الى الاستغناء عن خدماتى .. ثم عرض على مرتب شهر ، تعويضا عن الضرر الذى حاق بى .. فأجزلت له الشكر .. غير اننى رفضت منحته ، وغادرت الكوخ الى غير رجعة ! »

واحست كونى بالامتعاض .. فان ميلورز لم يشر اليها فى رسالته بحرف ، واكتفى بذكر ما حدث دون تعليق ، تاركا لها مطلق الحرية للعودة ــ اذا شاءت ــ الى كليفورد ! .. لماذا يتصرف بمثل هذه الشهامة ؟ .. وودت لو انه واجه كليفورد صراحة فقال له : « ان زوجتك عشيقتى .. واننى لفخور بذلك ! » .. غير انها كانت واثقة من أن شجاعته لم تكن لتدفعه الى هذا الحد !

***

**وظلت** كونى فى ( فينيسيا ) تمارس هوايتها المفضلة ، وهى التجديف مع « دنكان فوربس » الذى كان مغرما بها منذ عشر سنوات ، والذى استيقظ غرامه بها بمجرد رؤيته اياها ! .. غير انها صارحته من فورها بأنها لم تعد تطمع فى مغامرة عاطفية مع أى رجل ! .. فاكتفى منها بمتعة وجوده الى جانبها ، ومجاذبتها الحديث !

## - ١٢ -

**وقررت** كونى أن تغادر ( فينيسيا ) فى نفس اليوم الذى يرحل فيه ميلورز عن ( رجبى هول ) ، فيصلان الى لندن فى نفس الوقت بعد ستة أيام .. فلما عرف دنكان بقرارها هذا عرض عليها أن يرافقها !

وفى القطار ، جلست كونى بجوار أبيها ، مطرقة برأسها ، وقد شرد فكرها بعيدا .. ولاحظ والدها وجومها وصمتها، فأخذ يتأمل وجهها الذى لفحته حرارة الشمس وأكسبته فتنة تخلب الألباب ، وأخيرا قطع الصمت الذى كان يرين عليهما بقوله : « أراك لست متحمسة للعودة الى ( رجبى ) يا كونى ؟ .. أليس كذلك ؟ » .. فرفعت بصرها نحوه ، بنظرة ساحرة من عينيها الزرقاوين ، وأجابت :

**ـ لن أعود الى ( رجبى ) !**

ـ هل تعنين انك سوف تقضين بعض الوقت فى باريس ؟

**ـ كلا .. أعنى أننى لن أعود الى ( رجبى ) بتاتا !**

ـ لماذا ؟ .. هل حدث بينك وبين كليفورد شىء يدعوك الى هجره ؟

**ـ كلا .. كل ما فى الامر اننى انتظر مولودا !**

وما أن أغلق الباب خلفها حتى التفت كونى بذراعيها حوله ، ضمته اليها بعنف ، وهتفت فى حرقة : « قبلنى يا حبيبى . قبلنى وقل انك لن تهجرنى ، واننا سوف نعيش سويا الى الأبد ! »

***

**وأفضت** كونى الى أبيها بشخصية عشيقها ، فلما علم انه كان يعمل فى خدمة زوجها أظهر امتعاضا ، غير انه سرعان ما ا على محياه الرضا والسرور .. بل لقد كان يغبطها فى سره ، فقد طالما أشفق عليها من اضطرارها الى أن تعيش مع زوج عاجز مشلول ! .. وفى نهاية حديثهما ، طلب والدها منها ان تعرفه بعشيقها !

واستجاب ميلورز لطلبه وحضر لزيارته . فأخذ الأب يناقشه فى شئون حياته ويستفسر منه عن ماضيه ، فأجاب ميلورز على أسئلته بصراحة تامة ، وبلا لف ولا دوران ، مما بعث الغبطة فى نفس الأب .. فلما انصرف ميلورز التفت سير مالكولم الى ابنته وقال وهو يفرك يديه ارتياحا :

**ـ يبدو انك قد عثرت أخيرا على الرجل المناسب !**

***

**وفى** اليوم التالى ، تناول ميلورز غداءه بصحبة كونى هيلدا ، فى مطعم منعزل .. ولما انتهوا من تناول الطعام التفتت هيلدا الى ميلورز وقالت : « اعتقد ان الحكمة توجب لا يظهر اسمك عند السير فى اجراءات طلاق كونى من زوجها ! .. ومن الأفضل أن نبحث عن شخص يقبل تحمل مسئولية الجنين الذى تحمله كونى ! » .. فنظر ميلورز اليها مذهولا ولم ينبس بكلمة ، غير أن هيلدا استرسلت

ــ هل ما زلت واثقة من انك تنتظرين مولودا ؟
ــ نعم .. لقد أكد لى الأطباء النبأ السعيد .. ألا يغمر هذا النبأ بالغبطة والسعادة ؟
ــ نعم ، ولا .. اذ اننى أخشى المستقبل !
وحز الألم فى قلب كونى ، فأطرقت برأسها وهمست :
**ــ هل ترغب فى ان أعود الى كليفورد ؟**
ــ وهل ترغبين فى ذلك ؟
ــ كلا .. اننى أريد أن أعيش الى جوارك الى الأبد !
**ــ ولكننى انسان متواضع ، ولا أملك من متاع الدنيا شيئا** .. أتعتقدين أن كرامتى واحترامى لنفسى يسمحان لى بأن أعيش معك .. لمجرد اشباع رغباتك ؟
ــ أرجوك يا حبيبى .. لا تغمط نفسك حقها .. **انك تملك قوة قد لا تتوافر فى أعظم الرجال .. قوة الحنان والرقة !**
ــ وهل تعتقدين انها تكفى ؟ .. أجل ، اننا نحب احدنا الآخر ، ولكن ، يجب على الرجل أن يوفر لزوجته « معنى لحياتها معه !
ــ أراك تحاول أن تنتحل الأعذار .. كأنما تخشانى !
**ــ اننى لا أخشاك انت .. وانما أخشى العالم الذى يتمثل فى حياتك الحاضرة..عالم الثروة والمركز الاجتماعى !**
ــ أرجوك يا حبيبى..لا تقل هذا .. **اننى على استعداد لأن أعيش معك .. جارية !!**
ونظر اليها ميلورز فى حنان ، فأدركت كونى انه قد يستسلم لسحرها ، وظهرت على وجهه امارات العاطفة الدافقة ، فأمسك بذراعها وقادها خارجا ، ثم سارا فى سرعة ولهفة حتى وصلا الى غرفته ، الحقيرة الأثاث ، والتى كانت تقع فى أعلى احدى العمارات !

وما أن أغلق الباب خلفها حتى التفت كونى بذراعيها حوله ، ضمته اليها بعنف ، وهتفت فى حرقة : « قبلنى يا حبيبى . قبلنى وقل انك لن تهجرنى ، واننا سوف نعيش سويا الى الأبد ! »

***

وأفضت كونى الى أبيها بشخصية عشيقها ، فلما علم انه كان يعمل فى خدمة زوجها أظهر امتعاضا ، غير انه سرعان ما ا على محياه الرضا والسرور .. بل لقد كان يغبطها فى سره ، فقد طالما أشفق عليها من اضطرارها الى أن تعيش مع زوج عاجز مشلول ! .. وفى نهاية حديثهما ، طلب والدها منها ان تعرفه بعشيقها !

واستجاب ميلورز لطلبه وحضر لزيارته . فأخذ الأب يناقشه فى شئون حياته ويستفسر منه عن ماضيه ، فأجاب ميلورز على أسئلته بصراحة تامة ، وبلا لف ولا دوران ، مما بعث الغبطة فى نفس الأب .. فلما انصرف ميلورز التفت سير مالكولم الى ابنته وقال وهو يفرك يديه ارتياحا :

**ــ يبدو انك قد عثرت أخيرا على الرجل المناسب !**

***

وفى اليوم التالى ، تناول ميلورز غداءه بصحبة كونى هيلدا ، فى مطعم منعزل .. ولما انتهوا من تناول الطعام التفتت هيلدا الى ميلورز وقالت : « اعتقد ان الحكمة توجب لا يظهر اسمك عند السير فى اجراءات طلاق كونى من زوجها ! .. ومن الأفضل أن نبحث عن شخص يقبل تحمل مسئولية الجنين الذى تحمله كونى ! » .. فنظر ميلورز اليها مذهولا ولم ينبس بكلمة ، غير أن هيلدا استرسلت

قائلة : « وأعتقد انني أعرف الشخص الذى قد يقبل القيا
بهذا الدور .. » ، فقاطعها ميلورز : (( **ولكن ، ما الذ**
**يدعو هذا الرجل الى تحمل تبعة عمل لم يقم به ، وما الفائد**
**التي تعود عليه من ذلك ؟** )) ، ثم التفت الى كونى وقد بد
الغضب فى عينيه ، وقال : « أتراه .. ؟ » .. فتداركت
هيلد الموقف قائلة : « كلا ، فليس له فيها أى مأرب .. وا
هو من ذلك النوع من الرجال الذين تعتمل الشهامة فى
صدورهم ، دون اعتبار لما قد ينالونه من المرأة .. انه من
اصدقائنا القدامى ، منذ كنا أطفالا فى اسكتلندا !

ـ وما اسم هذا الشخص ؟

ـ أنه يدعى « دنكان فوربس »

ـ لا أدرى لماذا لا ارتاح الى هذا الاقتراح !

ـ **انه الحل الوحيد .. فلو عرف الناس علاقتك بكونى لأصبح طلاقك من زوجتك فى حكم المستحيل !**

وأطرق ميلورز برأسه ، وقد أدرك وجاهة منطقها ، ورار
عليهم صمت طويل ، قطعته هيلدا قائلة :

ـ إذا كنتما ترغبان فى العيش سويا فى ظل القانون والعرف
ينبغى عليكما أن ترتبطا برباط الزواج .. ومن الضرورى ـ
فى هذه الحالة ـ أن يحصل كل منكما على الطلاق من
زوجه .. أليس كذلك ؟ »

***

**وكتبت** كونى الى كليفورد تطلب منه أن يطلقها ، وشرحت
له انها قد عشقت « دنكان فوربس » ـ وكانت قد تحدثت
مع كليفورد عنه كثيرا ـ وانها تنتظر منه مولودا ، لذلك
تشعر ان من حق طفلها عليها أن يترعرع فى كنف أبيه
الحقيقى !

وطرقت مسز بولتن باب غرفة سير كليفورد. فلما لم تسمع جوابا فتحت الباب ودخلت ، فوجدته راقدا فى فراشه وقد تحجرت عيناه ، ذاهلا عما حوله ! .. وكان خطاب كونى ملقى فوق الأرض بجوار الفراش .. فنظرت اليه بحنان ، واقتربت منه فى هدوء ، قائلة : (( **سير كليفورد .. سير كليفورد !** )) .. لكنه بدا كالغائب عن وعيه ، فسرى القلق والخوف الى نفسها وهتفت : «سير كليفورد .. ما خطبك ؟ .. هل انت مريض ؟ »

واذ ذاك استعاد كليفورد وعيه ، وادراكه للكارثة التى انقضت عليه كالصاعقة ، فانفجر يبكى وينتحب كطفل صغير، وهو ينشج من خلال دموعه : (( **لقد هجرتنى..هجرتنى .. الى رجل آخر !** )) .. فاقتربت مسز بولتن منه وجلست على الفراش بجواره ، ثم احاطت منكبيه العريضين بذراعيها الحانيتين ، وضمته الى صدرها ، واخذت تهدهده وتمر بيديها فى خصلات شعره ، وتبثه كلمات العزاء ، محاولة أن تسرى عنه ، قائلة : « لا بأس يا سيدى .. لا تحزن .. لا بأس » .. فتشبث كليفورد بها ، وأراح رأسه فوق صدرها ، فبللت دموعه المنهمرة مرولتها ، وصاح : (( **لقد وعدتنى أن تعود .. وعدتنى أن تعود !** ))

***

**وكتب** كليفورد الى كونى فى منزل أبيها بلندن ، يقول : « لست أرى داعيا لأن أصف لك مقدار ما أصابنى من الم وحزن ، حين تسلمت خطابك الأخير . وليس لدى من رد عليه سوى : يجب أن تحضرى الى هنا بنفسك، حتى نناقش الأمر فيما بيننا ؛ قبل أن أبت برأى بصدد الطلاق .. وأود أن الفت نظرك الى انه ـ فى حالة عدم استجابتك لطلبى

المتواضع ـ سوف انتظر حضورك يوما ما .. حتى لو كان هذا اليوم بعد خمسين عاما ! »

**وأدركت كونى فورا أنه كان يحاول أن ينتقم منها !.. انه يهددها ـ تحت ستار من الأدب ـ بأن يتركها هكذا «معلقة» ، لا بالمتزوجة ولا بالمطلقة ، ومن ثم يحرمها من العيش مع رجل غيره !** .. فقضت ليلتها مسهدة ، تتقلب فى فراشها ، وهى تحاول ان تجد لمشكلتها حلا ! .. وأخيرا هداها تفكيرها الى أن تستجيب لطلبه ، وتذهب الى ( رجبى هول ) ، بصحبة هيلدا !

ولم يكن كليفورد فى القصر ليرحب بها ، بل كان فى جولته المعتادة فى الخارج ، فراحت تجوب انحاء القصر وقد عصر القلق قلبها ! .. وفى موعد العشاء حضر كليفورد ، فقابلها بترحيب تشوبه مظاهر الأدب « الرسمية » .. وأخيرا نفذ صبرها ، فلم تتمالك أن هتفت :

**ـ حسنا .. ماذا قررت ؟**

ـ هل لى أن أعرف السبب الذى دعاك الى أن تهجرى بيتك ومسئولياتك ؟

ـ انه الحب !

ـ الحب لدنكان فوربس ؟ .. لكنك لم تريه جديرا بحبك حين التقيت به ، فى الماضى ، بل فضلتنى عليه .. فهل تعنين انك تحبينه الآن أكثر من أى شىء آخر فى الحياة ؟

ـ ان شعور الانسان يتغير !

ـ قد يكون هذا صحيحا .. قد تكون لك نزواتك . ولكن عليك مع ذلك أن تقنعينى بأهمية هذا التغير . اننى ، ببساطة ، لا أصدق قصة حبك هذا لدنكان فوربس !

**ـ وما لزوم تصديقك؟ كل ما ينبغى عليك هو أن تطلقنى ، لا أن تصدق مشاعرى أو لا تصدقها !**

ـ ولماذا أطلقك ؟

ـ لانني لا أريد أن أعيش هنا بعد الآن . وأنت نفسك تريدني !

ـ بل انني لم أتغير . واني لأفضل ـ من جانبي ـ أن تظلي تحت سقفي ، موفورة الكرامة ، تاركة جانبا مشاعرك الخاصة . فان الموت أهون علي من تحطيم حياتنا اليوميةالتي ألفناها هنا في ( رجبي ) ، لمجرد اشباع نزوة من نزواتك !

فلاذت كوني بالصمت لحظات ، ثم أجابته :

ـ لا أستطيع .. لا مفر لي من الذهاب .. سيما وانني انتظر مولودا ..

**ـ أو من أجل الطفل تذهبين ؟**

ـ نعم ..

ـ حقا ؟ لكنني أريد الاحتفاظ بزوجتي ، ولست أرى سببا للتفريط فيها .. فاذا أرادت أن تنجب طفلا ، تحت سقفي ، فمرحبا بها ، وبالطفل . بشرط المحافظة على مظاهر اللياقة ، ونظام الحياة المألوفة . او تعنين أن دنكان فوربس له عليك قبضة وتأثير أقوى مما لي ؟ .. لا أصدق ..

ـ ألا تفهم ؟ .. انني يجب أن أذهب .. أريد أن أعيش مع الرجل الذي أحبه !

ـ انك أذكى من أن تقنعي نفسك بقصة حبك لهذا الرجل ! .. وصدقيني ، انك تبالين بي ـ حتى هذه اللحظة ـ أكثر مما تبالين به .. فلماذا أسلم سلاحي وأقبل الهزيمة أمام هذا الهراء ؟ !

**وأحست انه على حق .. وانها لن تملك كتمان الحقيقة أكثر مما كتمنها .. فرفعت وجهها نحوه وهتفت ، في انطلاقة يأس :**

ـ لأنه ليس « دنكان » من أحبه ! .. لقد ذكرت لك

أنه دنكان لمجرد تجنيبك الألم وعدم خدش مشاعرك !

**ــ عدم خدش مشاعرى ؟**

ــ نعم ! .. لأن الرجل الذى أحبه حقيقة ــ ( وهو الا
الذى سـوف تمقتنى من أجلـه ) ــ ليس سـوى مسز
« ميلورز » ، الذى كان يعمل حارسا عندنا !

.. ولو استطاع أن يقفز من مقعـده ، لفعل .. فقد
اصفر وجهه ، وجحظت عيناه وهو يحـدق فيها بنظرة م
انهار تحت وطأة كارثة قارعة ! .. ثم تراخى فى مقعده وه
يلهث ، ورفع عينيه نحو سقف الحجرة ..

.. وأخيرا اعتدل في جلسته ، وسألها وقد كست وجه
مسحة من البشـاعة : « أواثقـة أنت من انك قد تفوه
بالحقيقة ؟ »

ــ نعم ! .. أنت تعلم ذلك .

ــ ومتى بدأت علاقتك معه ؟

ــ فى الربيع ..

**وكوحش أعتقل فى قفص ، حـدق فيها وهو ينكىء عل
ذراعى المقعـد .. ثم صرخ : « يا الهى ! .. انك ينبغى ا
تمحين من على ظهر الأرض ! »**

فتساءلت بصوت خائر : « لماذا ؟ »

لكنه استطرد ، وكأنه لم يسمعها : « ذلك الجلف الحقير ..
القذر ! .. الخائن ! .. أو كنت على علاقة معه وهو واح
من خـدمى ؟ ! .. يا الهى ، أما من حدود لدناءة النسـ
البهيمية ، وانحطاطهن ؟ !.. ومعنى ذلك انك تزمعين انجا
طفل من جلف كهذا ؟ »

ــ نعم ..

ــ ومنذ متى عرفت ذلك ؟

ــ منذ شهر يونيه ..

وعجز عن الكلام ، وقد ارتسمت فى عينيه نظرة جوفاء ، بلهاء ! .. **نظرة بغض عارم ، لا يمكن السيطرة عليه ، أو حتى وصفه .. شأن شخص لا يملك حتى أن يقبل مجرد « وجود » ميلورز فى محيط حياته !**

ـ وهل تنوين الزواج منه .. وحمل اسمه القذر ؟

ـ نعم .. هذا ما ابغيه !

ـ ذلك يثبت صدق رأيى فيك الذى اعتنقته على الدوام : انك لست طبيعية .. انك فاقدة القوى العقلية ! .. من أولئك النساء المنحلات ، نصف المخبولات ، اللواتى يستمتعن بالتمرغ فى الوحل !

وبعد ان تركته ينفث غضبه حتى يهدأ ، سألته : « ألا ترى من الافضل أن تطلقنى وتنفض يدك من الأمر ؟ »

ـ كلا ! فى وسعك ان تذهبى الى حيث تشائين .. لكنى لن أطلقك !

**ـ ولم ؟ .. أو تترك الطفل ينتسب اليك ، ويرث ممتلكاتك؟**

ـ لست أبالى بشىء يتصل بالطفل !

ـ لكنه اذا جاء ذكراً سوف يكون ابنك شرعا ، ويرث لقبك : ثم تؤول اليه ضيعة ( رجبى هول ) !

ـ لا يهمنى ذلك !

ـ لكنه يجب أن يهمك ! .. **سوف امنع الطفل من أن ينسب اليك ، ما استطعت .. بل انى أفضل ان يكون « غير شرعى » وينسب الى .. اذا لم يمكن ان ينسب الى ميلورز !**

ـ افعلى مايروق لك !

ـ ان فى وسعك ان تطلقنى ، متخذا « دنكان » حجتك ، دون أى داع لاظهار الاسم الحقيقى . ان دنكان لايمانع فى ذلك .

**ـ لن اطلقك ! .. مهما طال الأمد !**

ـ ولكن لماذا ؟ .. الأنى أريد الطلاق ؟
ـ لانى أتبع ميلى الشخصى . ولست أجد فى نفسى ميلا لذلك !

**لم تكن ثمة جدوى ! ..** فصعدت كونى الى حيث كانت « هيلدا » تنتظرها ، وأطلعتها على الموقف .. فقالت اختها : « يحسن بك ان ترحلى غدا ، وتتركيه حتى يعود الى صوابه . »

***

**قضت** كونى نصف ليلتها تجمع حاجياتها الخاصة وأمتعتها الشخصية .. وفى الصباح أرسلت حقائبها الى المحطة ، دون ان تخطر كليفورد . كانت تنوى ان تراه لتودعه فقط ، قبيل الفداء . ثم تحدثت الى مسز بولتن مودعة ، واطلعتها على شخصية عشيقها ، موصية اياها بأن تتكتم الأمر ، وان تخطرها اذا لمست من مستر كليفورد استعدادا لتطليقها .. « فاننى أحب ان يربطنى الزواج الشرعى بالرجل الذى أحبه . »
ـ انا موقنة من ذلك ياسيدتى الليدى . اواه ؛ فى وسعك أن تثقى بى . **لسوف أكون مخلصة لسير كليفورد ، ومخلصة لك فى الوقت نفسه ، فانى أدرك أن كليكما على حق !**

فشكرتها « كونى » ، واهدتها تذكارا اختارته لها .. ثم غادرت مع شقيقتها ( رجبى هول ) ـ للمرة الاخيرة ـ الى اسكتلندا ..

***

**وكان** ميلورز قد استقر فى اقليم ( اولدهينور ) حيث وجد عملا فى مزرعة ( جرانج ) ، وفى عزمه أن يحصل على الطلاق من زوجته ، سواء حصلت كونى على طلاقها أم لا .. وكان قد أعد خطته علي اساس ان يعمل بلا توان لمدة ستة أشهر ،

يبتاع بعدها بالاشتراك مع كونى مزرعة صغيرة خاصة بهما ، ويكرسان لها جهودهما ونشاطهما الكامل .. ومن ثم كان عليهما أن ينتظرا حلول الربيع ، ومولد الطفل ..

وفى آخر سبتمبر، تلقت كونى منميلورز الرسالة التالية :

« لقد حصلت على عملى فىالمزرعة بوساطة مهندس عرفته فى الجيش ، أيام الحرب .. وأنا اتقاضى عن هذا العمل ٣٠ شلنا فى الاسبوع ، لكنى استغل وقت فراغى فى اعطاء دروس خاصة لابنة الأسرة التى أقطن معها . وهم قوم محترمون ، يعطفون على . أما بشأن طلاقى فآمل ان اظفر به

اذا تذرعت بالصبر والمسالة حتى شهر مارس .. أما انت فأنصحك الا تبالى بموقف سير كليفورد ، فانه لن يلبث أن يسأم العناد ويسعى الى الخلاص منك . وحتى لو تركك وشأنك فى سلام ، فهذا وحده كسب كبير .

« ان المجتمع الكادحالذى أعيش فيه يئن من الأحوال الاقتصادية التى تزداد تعقيدا ، ولا هم للناس غير التفكير فى المال والسعى اليه .. ولو استمرت الحال على هذا المنوال فلن يحمل المستقبل لطبقاتنا غير الموت والدمار . وها أنت تحملين طفلا منى ، ولكن ، لا بأس ، دعك من التفكير فى هذه الاعباء ، **فان كلالظروف السيئة التى مرتبالبشر لم تستطع أن تطفىء جذوة الحب** .. ومن ثم فهى لن تملك أن تطفىء لهيبرغبتى فيك ، ولا هذا الوهج الصغيرالذى يربط بيننا . لسوف يجتمع شملنا فى العام المقبل ، انى مؤمن بذلك ، **والانسان فىحاجة للايمان بما وراء متناوله..بالقوة الخارجة عن ارادته .. هذا هو السبيل الوحيد لتامين المستقبل .** لذلك أومن أنا بالشعلة التى تربط بيننا . انها كل ما أملك فى هذه الدنيا ، اذ ليس لى أصدقاء.ليس لى سواك .. لهذا

أريدك أن تكونى بجانبى ، لكنى لو بدأت أفكر على هذا النحو فسوف أفسد كل شيء . **واذن فليس لنا سوى أن نتذرع بالصبر .. الصبر بغير ملل** .. انى اجتاز عامى الاربعين ، وانت فى اسكتلندا ، وأنا فى اقليم ( ميدلاند ) ، لكنى وان عجزت عن أن أطوقك بذراعى ، فانى أملك بعضا منك فى أعماق روحى . **لقد صرت أحب العفة الآن ، لأنها السكينة التى تتخلف عن الحب** . أحبها كما تحب قطرات البرد المتساقطة صفحة الجليد . انها أشبه بنهر من الماء البارد يخترق روحى . أحب العفة التى يجرى فيضانها بيننا . لكأنها المياه العذبة ، أو الامطار .. انى لأعجب الآن للرجال الذين لا يملون معابثة النساء ، وأرثى للذين يسلكون مسلك «دون جوان» ، ويعجزون عن الاستمتاع بسلام الروح وسكينتها !

« **يبدو اننى أفرط فى الثرثرة لأننى لا أملك أن أمسك .. فلو استطعت أن أطوقك بذراعى لجف قلمى ، وبقى الحبر فى المحبرة !** .. ان الكثير منك يؤنسنى الآن فى وحدتى ، ولكم تتملكنى الحسرة على أنك لست بأكملك معى !

« الا دعك من سير كليفورد ، حتى لو لم تصلك منه أنباء قط . انه لا يملك ايذاءك بشيء .. فانتظرى حتى يرغب فى الخلاص منك فى النهاية . وحتى لو لم يفعل، فسوف نتدبر الأمر. لكنه سيفعل، سيتوق الى أن يلفظك تماما من محيطه .

« انى لأعجز الآن عن أن اتوقف وأكف يدى عن الكتابة اليك .. **لكن قدرا كبيرا منا يتعانق الآن ، ولسنا نملك غير أن نحافظ عليه ، ونكمله .. نمضى فى طريقنا ، حتى نلتقى .. فى القريب !** »

**تمت**


CE CHARMANT
D'ENTRECASTEAUX
PAR
ROGER
RÉGIS
نساء ومآسٍ في ساحة العدالة
أضلّه الهوى!
للكاتب والمؤرخ الفرنسي : " روجيه ريجي "

## جريمة كادت أن تكون كاملة

• **الجريمة** التى نسوقها اليك فى الصفحات التالية ـ وهى احدى حلقات سلسلة « نساء ومآس فى ساحة العدالة » التى قدمنا لك حلقات منها فى اعداد سابقة ـ كادت ان تكون جريمة كاملة بمعنى الكلمة .. اى أن دقة التدبير ، وبراعة التنفيذ ، ودهاء المجرم ، كادت أن تحكم ستر الغموض حولها ، فتعمى عينى العدالة عن مرتكبها الآثم ، لولا ..

ولكنا لن نفسد عليك متعة اكتشاف الامر بنفسك ، ولذلك نخلى بينك وبين قراءة تفصيلاتها التى جمعها لك الكاتب والمؤرخ المحقق الفرنسى « روجيه ريجى » ، من وثائق وملفات يرجع عهدها الى القرن الثامن عشر

## حدث غريب فى مدينة فرنسية

• **لم يكن** لأهل ( اكس ان بروفانس ) ـ بفرنسا ـ حديث فى سنة ١٧٨٤ ، سوى ذلك الاختراع العجيب الذى خرج به على الناس رجل يدعى « مونجولفييه » .. فقد زعم هذا الرجل أن باستطاعته أن يصعد الى طبقات الفضاء، مستعينا بكرة من الورق مليئة بالهواء . وكان من الطبيعى أن يجد مثل هذا الزعم لدى الناس انكارا يصل الى درجة التكذيب .. وافضى التكذيب ـ من ناحيته ـ الى التحدى العلنى ، والى مطالبة « مونجولفييه » بتجربة اختراعه عمليا ..

وانبرى أحد ربابنة السفن التجارية لتأييد «مزنجولفييه»، وأعلن عن استعداده لأن يقوم بالتجربة بنفسه ، فى ( اكس ان بروفانس ) ، وحدد لذلك اليوم الاول من شهر يونيو من ذلك العام .. وقد أثار هذا النبأ ضجة مدوية ، فان التحليق فى الجو ، على كرة من ورق ؛ حدث خارق . لذلك تقاطر الناس على ( اكس ان بروفانس ) من كل حدب وصوب ، حتى ضاقت المدينة على سعتها ، وشاع فى جوها الصخب !

## مركيزة مذبوحة فى فراشها !

• **وفجأة** ، سرى فى المدينة نبأ صرف الناس عن الحدث النادر الذى شغل تفكيرهم أياما طويلة، والذى كانوا يرتقبونه فى شغف وفضول مشبوب . فقد شاع أن جريمة ارتكبت فى قصر ( دى كور ) ، مقر المركيز « دانتر كاستو » وزوجته .

**ففى صباح ذلك اليوم بالذات ، ولجت وصيفة المركيزة مخدع مولاتها ، فاذا بها تجدها مسجاة فى فراشها ، ذبيحة !**

•• ولما كان زوجها ــ « جان باتبيست دى برونى » ، مركيز دانتر كاستو ــ من أعرق سادة الاقليم ، ومن أرفعهم مقاما ، سيما وانه كان رئيسا للبرلمان الاقليمى ، فان السيد « لوبلان » ــ النائب العام ــ خف الى القصر ، بمجرد أن نمى النبأ الى علمه ..

**وكانت المركيزة الشابة فى فراشها ، وقد قطع حلقها ، وأغرقت الدماء أغطية الفراش**. وقرر الطبيب ــ الذى استدعى فى الحال ــ انها لفظت آخر أنفاسها قبل أن يكتشف مصرعها بأربع ساعات أو خمس .. وبدا زوجها مرتاعا ، شاحب

الوجه ، محزونا . . وراح يردد فى حيرة بالغة : « كيف تسنى أن يحـدث هذا ؟ » . ثم لم يقو على رؤية المنظر المروع ، فتهالك وأوشك أن يغمى عليه لولا ان نقل الى مخدعه . .

**كل شيء هادىء فى القصر . .**

• وألفى النائب العام نفسه أمام جريمة غامضة ؛ لم يكد يلوح له خلال غموضها قبس من ضوء يرشد الى الجانى . . واقبل يسأل الخدم واحدا واحدا : فسـأل « مارى بال » وصيفة المركيزة ، و « أوجيست رينو » وصيف المركيز ، و « كلود بارنوان » الخادم الخاص للمركيزة ، و « فيجييه » الطاهى ، و « بوكيون » حارس الباب . . ولكن أحـدا لم يستطع أن يدلى بشىء ذى قيمة . . **لقد أجمعت أقوالهم على ان أحدا لم يفطن الى حـدوث شىء غير عـادى ، فى الليلة السابقة . .** فان كلا من المركيزة والمركيز قد تناول عشـاءه خارج القصر فى تلك الليلة ــ كل لدى اصـدقاء غير الذين كان زوجه فى ضيافتهم ! ــ وقد كانت المركيزة هى الاولى فى العودة ، ثم لحق بها المركيز ــ فى الحال تقريبا ــ فقضـيا بضع دقائق فى الحديث عما شاهداه وسمعاه فى ليلتهمـا ، ثم انصرف كل منهما الى مخدعه . . فقـد كانا ينـامان فى مخدعين مستقلين ، تفصل بينهما قاعة للجلوس . **ولم يسمع أحد ــ خلال الليل ــ أى صوت فى داخل القصر أو فى الحديقة .**

وعنى النائب بتبين ما اذا كانت ثمة سرقة قـد حدثت ، فوجد ان مخـدع المركيزة وحده هو الذى كان فى حال غير عادية . . كانت قطع الاثاث فى غير أماكنها ، وكانت الادراج

مفتوحة عنوة ؛ وقد تناثرت محتوياتها فى كل مكان .. وبينها نقود ذهبية ، وحلى ومجوهرات ثمينة !

## المرء لا يقتل نفسه ثلاث مرات !

• **وادلهمت** دياجير الحيرة التى اكتنفت النائب العام .. وازاء انعدام حافز السرقة ، وتأكيد الجميع ان احدا لم يسمع صوتا أو جلبة ، خطر له ان المركيزة ولا بد قد انتحرت ، وان الفوضى التى سادت الحجرة كانت من صنعها ؛ فى غمرة حيرتها ، أو فى حرصها على اعدام بعض اشياء خاصة بها ، قبل أن تفارق العالم . ولكن أهل القصر استهجنوا هذا الخاطر ، **فقد عهدوا فى مولاتهم رزانة وتقوى تصدانها عن مثل هذا التصرف .. وان فكرة الخلاص من الحياة ــ على هذه الصورة ــ لم تساورها فى أشد الملمات المحزنة .**

ورؤى استشارة الطبيب مرة أخرى ، فذكر ان الوفاة حدثت نتيجة ثلاث ضربات بسلاح حاد ، وان كل ضربة من الثلاث كانت قاضية .. ولا يعقل أن يقتل المرء نفسه ثلاث مرات بيده .. واذا كانت الضربة الاولى كافية للقضاء عليه، فكيف تجرى يده بالسلاح مرتين اخريين ؟

وازاء هذا عدل النائب العام عن الافتراض القائل ان المركيزة قد انتحرت .. ورجح انها ماتت قتيلة .. ولكن ، **منذا الذى قتلها ؟**

هذا هو السؤال الذى لم يكن ثمة بد من البحث عن جواب له ، مهما يكبد ذلك من جهد !

## القاتل .. من أهل القصر !

• **وعاد** النائب العام الى سؤال الخدم ، وقد استعان بالضابط الجنائى لمدينة (اكس) : السيد لانج دى‌سوفران .

وكان الزوج ــ فى تلك الاثناء ــ قد تمالك نفسه شيئا فشيئا ، فلما سئل أكد انه لم يسمع أية حركة تريبه فى تلك الليلة ، وأعلن انه لن يهدأ ولن يستكين ، حتى يعثر على الجانى الأثيم .. **وقد ذهب فى ذلك الى حد أنه راح يقول : « اننى أتنزل عن نصف ثروتى فى سبيل الكشف عن القاتل ! »**

وما لبث حزنه أن طغى عليه حتى أنه لم يعد يقوى على البقاء تحت سقف القصر الذى شهد الجريمة الشنيعة ، فآثر أن يهجره ، وأن يقيم لدى عمة له تدعى « مدام دى بلونديل » ، كان قصرها المحوط بحديقة شاسعة ، يقع فى ضاحية فى أقصى أطراف المدينة ..

وكان النائب العام والضابط الجنائى قد أعادا سؤال الخدم ، فلم يدل هؤلاء بشىء جديد . ولقد فحصا كل شبر فى الدار ، فلم يصلا الى أثر واحد يشى بالجانى . ومن ثم فانهما ناقشا الامر مع المركيز ، قبل مبارحة القصر ، عسى أن يتذكر أى عدو يحتمل أن يكون المجرم المنشود ، ولكنه قال انه ازاء الظروف والملابسات المحيطة بالجريمة يرى أن القاتل ولا بد من المقيمين فى القصر ، ولعله أحد الخدم !

## « الموسى » الغائبة من خزانة المركيز !

• **وصادف** هذا الرأى هوى من نفس الضابط الجنائى السيد « لانج » ، فقرر أن يعمل على هداه . وكان خدم

القصر قد احتجزوا فى داخله ـ منذ البداية ـ تحت رقابة لم تمكن أحدا منهم من أن يغادر القصر أو يتصل بأحد خارجه . فاستدعاهم السيد « لانج » واحدا بعد واحد ، واخذ يلاحق كلا منهم بأسئلة دقيقة ، ويضيق عليه الخناق، مستخدما أبرع أساليبه وحيله .. ولكن كلا منهم كان يكرر عين ما قاله فى التحقيقين السابقين .

**على أن خادما منهم أبدى اضطرابا وهو يعتصر ذاكرته ، عندما سئل للمرة الثالثة..ذلك كان (( اوجيست )) وصيف المركيز** . واستغل المحقق هذا الاضطراب ، فأخذ ينهال عليه بالاسئلة ، حتى قال اخيرا : « الواقع اننى فطنت الى غياب موسى من خزانة أدوات الزينة الخاصة بمولاى » .

وسأله المحقق وقد أرهف النبأ حواسه : « وبماذا تعلل ذلك ؟ » .. فأجاب الوصيف حائرا : « لست أدرى ، ولكنى متأكد من غياب الموسى ، فقد أزلت بنفسى شعر لحية سيدى المركيز بالأمس ، ثم نظفت الموسى ورددتها الى مكانها .. وفى هذا الصباح ، فتحت الخزانة لأعد العدة لمباشرة زينة مولاى ـ ولم يكن الحادث المشئوم قد عرف بعد ـ فلاحظت اختفاء تلك الموسى بالذات ! »

**.. وقميص غائب ، كذلك !**

• **وتفقد** السيد « لانج » بنفسه خزانة أدوات الزينة ـ فى جناح المركيز ـ والمكان الذى كانت تشغله الموسى منها ، ثم راح يلح بالاسئلة على الوصيف ، وقد داخله الشك فى انه هو الذى اخذ الموسى ، ولكن « أوجيست » اقسم بأغلظ

الاقسام ، مبرئا نفسه .. وما كانت الايمان يوما بالوسيلة الى اقناع المحققين . لذلك فتش الضابط حجرة الوصيف ، فلم يهتدِ الى أثر للموسى. وعاد يفتش جميع غرف القصر..

**وفى خزانة ثياب المركيز ، كانت ثمة مفاجأة أخرى للمحقق .. فقد تبين (( أوجيست )) ان واحدا من أقمصة المركيز ـ التى كان يعرفها بحكم عمله ـ قد اختفى من الخزانة ..** ولم يسفر البحث عن العثور عليه ، او على أثر باق منه !

وأدى غياب الموسى والقميص الى اشتداد الغموض ، والى تحير السيد « لانج » ، حتى أنه اضطر الى تأجيل التحقيق الى اليوم التالى ، اذ أن التفكير فى ذلك شتت عقله ، فلم يستطع المضى فى سؤال بقية الخدم !

على ان السيد «لانج» لم يكد يبرح القصر ، حتى انتحت « مارى بال » ـ وصيفة المركيزة ـ بأوجيست جانبا ، وسألته عن سر ماكان عليه من اضطراب ، فعاد يقسم بأقدس الايمان على براءته . ثم أردف قائلا ان ماأثار ارتباكه هو شعور راوده ـ حين كشف أمر اختفاء الموسى ـ بأنه انما كان يتهم بذلك مولاه الذى لم يعهد فيه سوى كل طيبة ، وتقوى ، ونبل اخلاق .. ومن ثم فقد كان يخشى ان يسيء بذلك الى المركيز .

ولم تناقشه « مارى بال » فى ذلك ، ولكنها راحت تقول ان من واجب المرء أن يدلى للعدالة بكل ما يكون لديه ، مهما يكن تافها أو غير ذى بال فى نظره ، مادام مطمئنا الى براءته ، والى صدق مقصده . **وأردفت انهـا لن تكتم عن المحقق ـ**

**اذا ماسالها فى اليوم التالى ـ شيئا مما لاحظته أو لمحتـه ،** عسى أن تستطيع بذلك ان تساعد العدالة على الوصول الى المجرم الذى قضى على مولاتها بتلك الوحشية الضارية !

## وهج فى نافذة المركيز ..

• **واستأنف** السيد « لانج » التحقيق فى الصباح التالى، فبدأ أول مابدأ بالتحرى عن المسالك التى كان من المحتمل أن يتسرب خلالها أى أجنبى الى مخدع المركيزة . **ولكنه لم يعثر على أى أثر لمتسلل ، ولم يكتشف ما ينم عن أن احدا ولج القصر من غير أبوابه العامة !**

وتقدمت اليه ـ فى تلك الاثناء ـ احدى المقيمات على مقربة من القصر ، وتطوعت بالشـهادة بأنهـا استيقظت فى الفجر الذى أعقب ليلة الاغتيـال ، لتتـأهب للذهاب مبـكرة الى الساحة التى كان مقررا اجراء تجربة الطيران فيها . **وفيما كانت تستعد ، لمحت وهجا شديدا فى نافذة حجرة ظهر انها كانت مخدع المركيز ..** ولو ان الوقت كان شـتاء ، لما بدا ثمة داع للعجب أو الدهشة . ولكن اشعال النار بين جدران مخدع ، فى شهر يونيو ، كان خليقا بأن يثير الشبهات .. وبالفحص ، تبين « لانج » أن ثمة آثار أوراق واقمشـة قد احرقت فى مدفاة مخدع المركيز !

واشـتدت حيرة الضابط الجنائى .. ترى ما الذى دعا المركيز الى احراق تلك الاوراق والاقمشة ؟.. وما كنهها ؟ .. وهل كان من قبيل المصادفة أن تحرق فى عين الليلة التى شهد فيها المخدع المجاور جريمة الاغتيال ؟

## همسات .. وظواهر مريبة !

• **وقبل** أن يمضى السيد « لانج » قدما فى تحرياته ، طلبت الوصيفة « مارى بال » أن يسمح لها بالافضاء ببعض أقوال لديها . فلما اجاب رجاءها ، انطلقت تتكلم دون توقف .. فذكرت انها فاجأت مولاتها ــ فى عدة ليال ــ وهى تبكى لتكرر تغيب المركيز عن القصر .. **وكانت تبادره ــ عند عودته ــ باللوم ، فيرد اودها فى غضب ، مما كان يثير بينهما الشقاق والمشاحنات .**

.. وخفت صوتها وهى تردد الأقاويل التى شاعت بين خدم القصر ، عن حادث وقع للمركيزة .. فقد قدر لها أن تحمل ــ بعد طول ارتقاب ــ ولكن الحمل لم يكتمل ، اذ حدث أن زلت قدمها يوما ، فوقعت على سلم القصر .. **وكان الخدم يتهامسون ــ فيما بينهم ــ بان هذا الحادث لم يات عفوا ، وانما كان مدبرا !**

كذلك ذكرت « مارى » ان المركيز قدم ــ ذات مساء ــ الى زوجته كوبا من شراب الليمون ، أعده بنفسه ، ولكن المركيزة لم تكد تتذوقه حتى ارتجفت شفتاها ، وتقلصت عضلات وجهها ، وأبت أن تتناوله !

**واختتمت « مارى » أقوالها بما يسرى من همسات عن علاقةبين المركيز وحسناء تدعى « مدام دى سان سيمون » ..**

ولم يضيع المحقق وقتا ، بل انصرف لتوه الى النائب العام ، وقد تجلى له ان الأمر أخطر من أن يستهان به .

وكان المركيز دانتر كاستو يقيم ــ **فى تلك الاثناء ــ فى**

قصر « مدام دى بلونديل » ، وهو نهب لمشاعر وانفعالات عنيفه . لم تكن تدع له سبيلا للراحه . فكان يروح ويغدو فى ارجاء القصر مضطربا، ويكثر من الاختلاء بنفسه، ويرفض ان يلتقى بالناس .. حتى لقد ابى أن يستقبل من اقبل لتعزيته من اعضاء البرلمان الاقليمى .

وفى صباح اليوم الثالث ، كان يجلس الى المائدة مع عمته وصديق حميم لهما يدعى « المركيز دى شاتونيف » ، واذا وصيفه « اوجيست » يلتمس مقابلته .. وبادر المركيز باستدعائه ، ثم سمح له بالكلام امام عمته وصديقه ، فروى له الوصيف ما افضى به للمحقق عن اختفاء الموسى ، وما تكشف من اختفاء احد أقمصته .. **وراح المركيز يصغى فى صمت ، وهو مقطب الجبين ، حتى اذا انتهى الوصيف ، غمغم فى غيظ وسخط : (( يالك من أحمق ! ))**

وذكر له الوصيف ما أفضت به « مارى مال » للمحقق ، فشحب وجه المركيز ، وهتف مرة أخرى : « يا للفتاة الغبية الثرثارة ! » . ثم لاذ بالصمت .

**الدائرة تزداد ضيقا !**

. **وما ان** انصرف الوصيف، حتى ساد قاعة المائدة صمت واجم ممض . ثم قال المركيز دى شاتونيف : « لا مراء فى أن السيد لانج دى سوفران من اذكى المحققين . . وهو لا يألو جهدا فى السعى وراء أى مجرم يتولى قضيته .. **وأرى انه لم يلجأ الى النائب العام ، الا لأن شكوكه تتجه الى شخص عظيم المقام ، فرأى أن يستمد التأييد من رؤسائه فيما هو مقدم عليه ! ))** .. ولم ينبس « دانتركاستو » ببنت شفة ، فقالت

عمته : « أحسبك قد أدركت أن الشكوك تتجه اليك ، واني لآمل أن تكون شكوكا غير صحيحة . ولكنك أجدر بأن لاتضيع وقتا ، وعليك أن تعمل على هدى ما يوحي به ضميرك . فاذا كنت موقنا من براءتك ، فعليك ان تسلم نفسك للنائب العام ، الى أن تنجلي الحقيقة . أما اذا .. »

وترددت لحظة ، ثم استجمعت جرأتها وقالت : « **اما اذا كنت ـ لسوء الحظ ـ مدانا ، فمن واجبك أن تبادر بمبارحة فرنسا بأسرها ، حرصا على شرف الأسرة وكرامتها ! »**

واشتد شحوب وجه « دانتركاستو » ولكنه ظل صامتا . فعادت عمته تسأله : « علام استقر رايك ! » ، وكان جوابه : « دعيني افكر ! »

## المركيز يؤثر مغادرة فرنسا !

• **وفكر** طويلا ، ولكنه لم يلبث أن قال لعمته في النهاية : « اذا أمكنك أن تزوديني ببعض المال ، فاني أوثر أن ارحل ! » .. وكان هذا الجواب اعترافا واضحا منه بالجريمة !

وسرعان ما أعدت « مدام دي بلونديل » لابن اخيها عربة خفيفة ، استقرت أمام الباب الخلفي لقصرها . ثم زودته بقدر من العملة الذهبية .. وبعد نصف ساعة ، صعد المركيز الى العربة ، بغير متاع ، فتهالك على مقعدها مهموما !

**وانطلقت العربة بأقصى ما كان لدى جواديها من سرعة ، ميممة شطر ( مارسيليا ) .**

وفي تلك الاثناء ، كان السيد « لانج » قد حصل على سلطة واسعة ، فراح يتجه في التحقيق اتجاهات جديدة .. وسرعان ما تجلت له الحقيقة واضحة ..

## سعادة و ثقة .. بين الزوجين

• **كانت** « مدام دنتر كاستو » قد تزوجت من المركيز وهى فى التاسعة عشرة من عمرها ، بينما كان هو يصغرها بعام واحد . وكان من الواضح انها زيجة دبرت كما لو كانت صفقة تجارية ، على غرار ما كان متبعا فى تلك الايام ، فى أسرات الطبقة العليا . **بيد أن هذا لم يحل دون أن ترفرف السعادة على الزوجين ، وأن تطمئن المركيزة الى زوجها فتعهد بثروتها اليه** ، فضمها الى ثروته ، وتولى رعايتهما معا وهو مطلق اليد فيهما .

ومع أن المركيزة ــ وكان اسمها الأصلى « أنجيليك » ــ لم تكن جميلة الوجه ، الا انها كانت بديعة القوام ، ذات أخلاق دمثة ، وطباع رقيقة ، وعينين جذابتين تفيضان رقة وطيبة واخلاصا .. كما كانت ذات ذكاء لماح ، وشخصية قوية . فسرعان ما أمسكت بمقاليد القصر بيد حكيمة ، فأعجب زوجها بتدبيرها ، ولم يتردد ــ ازاء كثرة أعبائه ، كرئيس لبرلمان الاقليم ــ فى أن يكل اليها شئون ثروتهما وممتلكاتهما المشتركة ، فأدارتها ببراعةاغتبط لها المركيز ..

## صائدة بارعة تلقى شباكها !

• **وعاش** الزوجان محلقين فى أجواء السعادة زهاء ست سنوات ، الى أن قدر لامرأة غريبة أن تتسلل الى حياتهما .. أو الى حياة المركيز على الاصح .

**وكانت تلك المرأة تدعى « سيلفى دى سان سيمون » ..** كانت ابنة أحد أعضاء البرلمان ، وقد ترملت قبل سنوات ،

وانصرفت الى الحياة الاجتماعية ، فلمع نجمها فى الاوساط الراقيه ، سيما وانها كانت ذات جمال باهر ، وجراءة عجيبه تسوق لها ان تسعى الى اغراضها دون أن تعبأ بالناس !

وتشبثت « سيلفى » بالمركيز الشاب ، فلم تتورع عن طرح شباكها حوله ، واستخدمت كل ما أوتيت من فتنة واغراء فى سبيل اجتذابه .. ولقد حاول المركيز أن يقاوم محاولاتها ، واستطاع ان يصمد زمنا ، ولكنه لم يلبث أن وقع صريع الفتنة، فلم يعد يرى سوى « سيلفى » الحسناء ، ولم يعد يعيش الا على حبها !

**.. وحل الشقاق محل الوئام**

• وحاول العشقان ان يتكتما هواهما ما استطاعا . ولكن محاولاتهما لم تدم طويلا ، اذ لم يلبث الامر أن شاع فى المجتمع الراقى فى ( اكس ) . ولم يكن غريبا ــ بعد ذلك ــ أن تتناهى الشائعات الى أذنى المركيزة دانتركاستو ، فتلقى اضواء على بعض تصرفات كانت قد لاحظتها على زوجها فى الفترة الاخيرة .. **اذ كان المركيز قد بدأ ينصرف عنها ، ويهمل بعض واجباته كزوج ورب أسرة . فضلا عن انه كان يكثر من طلب المال وانفاقه فى اسراف** .. ثم لم يلبث أن بدأ يرى فى ادارة زوجته لثروة الاسرة ذلة ومهانة له ، وهو الرجل ، رب الاسرة ، فأخذ يسعى لاسترداد سلطانه .

ودب الشقاق بين الزوجين اللذين كانا مثلا للسعادة الزوجية .. وشعرت « انجيليك » بأن تردى زوجها فى هوى تلك الارملة الحسناء ، طعنة قاسية أصابت قلبها وثقتها

وكرامتها . **لذلك شعرت بازدراء شديد له ، فلم تحاول أن تناضل من أجل استرداده ،** ولم تشأ أن تطالبه بأكثر من أن يتحفظ فى علاقاته بعشيقته ، وبأن يصون المظاهر التى كانت تتطلبها مكانتهما الاجتماعية كزوجين : حفظا لكرامة الاسرة !

**أضواء تكشف الجريمة**

• **وكان** خليقا بالزوج أن يحمد لها هذا المسلك ، وأن يقنع بما أبدته ازاء هواه . ولكن المفتون لم ينفك يسعى لاسترداد سيطرته على ثروة الاسرة ، فرأت زوجته فى هذا التكالب منه سبيلا الى الانتقام لكرامتها ، وتشبثت بما كان قد وكله اليها طواعية من حق الاشراف على تلك الثروة ..

**واثار هذا الامر بينهما مشاجرات عديدة ، ولكن شيئا لم يقو على أن يزحزح المركيزة عن رأيها العنيد . ومن ثم بدأ المركيز يدبر الخطط للتخلص منها ..** وكان هو الذى تسبب فى انزلاقها ووقوعها – وهى حامل – املا منه فى أن تموت اثناء الاجهاض ! .. كما كان هو الذى عمد – فى مرة أخرى – الى دس السم فى كوب الليمون الذى ابت المركيزة أن تشربه !

ثم كانت تلك الجريمة التى أقامت ( اكس ) واقعدتها .. فقد كان هو الذى ذبح زوجته بالموسى ، اذ تسلل الى مخدعها – أثناء نومها – فى تلك الليلة المشئومة . ثم اغتصب أدراجها ، وأخذ منها كل الوثائق التى كانت كفيلة بأن توجه الشبهات اليه ، فأحرقها مع القميص الذى كان يرتديه وقت الجريمة ، والذى لطخته الدماء .. وظن انه بذلك قد نجا من سطوة العدالة . ولكن الاحداث خيبت ظنه !

## قبر .. فى دير اسبانى

• **كل** هذه الحقائق اكتشفها السيد « لانج » ، وجمع الأدلة والقرائن التى كانت تدعمها . وجريا على التقاليد التى كانت متبعة اذ ذاك ـ نظرا لامتيازات النبلاء وأمراء الاقطاع ـ عرضت القضية على لجنة برلمانية خاصة ، **لم تلبث أن أصدرت حكمها باعدام المركيز ـ بقطع رأسه ـ ولكن .. فى تستر بعيد عن العلانية ، نظرا لمكانته ! ..** أما « مدام دى سان سيمون » : فلم يثبت أن لها أى دور فى الجريمة ، فبرئت ساحتها ..

على أن يد الجلاد لم تستطع أن تمتد الى المركيز ، اذ أنه هرب الى ايطاليا ، عن طريق جبال الالب ، ووصل الى ( نابولى ) تحت اسم مستعار . وهناك نمى اليه أن الحكومة الفرنسية قد اهتدت الى مكانه ، وطلبت الى السلطات الايطالية أن تسلمه اليها ، **فلم يتوان عن الفرار الى اسبانيا، حيث لجأ الى أحد الاديرة ـ تحت اسم مستعار ـ وانخرط فى سلك رهبانه !**

والى هنا ، تعتبر حياته قد انتهت .. فقد فقد اسمه ، وفقد صلته بوطنه ، وفقد صلته بالحياة الاجتماعية .. على أن النهاية الحقيقية لحياته لم تحن الا بعد عام كامل من وفاة ضحيته ـ أو بالاحرى ، فى ١٦ يونيو سنة ١٧٨٥ ـ **اذ** مات بداء الصدر ، فى صومعة فى الدير .. ودفن فى قبر منزو ، تحت اسمه **المستعار !**




وراء كل عظيم .. امرأة !

# الحبّ .. أبدى !

قصة المرأة التى دفعت " ابراهام لنكولن " إلى كرسى الرئاسة !

بقلم الكاتب المؤرخ : ارفنج ستون

**عزيزي القارىء ..**

ما من كاتب مسرحي استطاع أن يخلق قصـــة ، اجتمع فيها من عناصر المأساة مااجتمع في حياة « ابراهام لنكولن » !

فكما كان يحدث للأبطال فى تراجيديات الاغريق القديمة ؛ كان الفشل حليفا للنكولن في كل عمل تولاه ، أو خطة سار فيها .. **فلما عرف النجاح فى النهاية ، وجد مذاقه أشـد مرارة من الفشل !**

وفى زهرة شبابه، فجع بفقد المرأة الوحيدة التى أحبها.. فلما تزوج من أخرى ـ بعـد أعوام ـ **كانت زوجته أشـد حرصا على أن تراه مشهورا ، منها على ان تراه سعيدا !..** وشتان بين الهدفين !

**واستمر الفشل يلاحقه ..**

.. فلقد دخل ميدان الاعمال الحرة ، ففشل !

.. ومارس المحاماة زمنا ، فكان مهضوم الحقوق دائما !

.. ورشح نفسه لعضـوية مجلس الشيوخ الامريـكى ، فهزم !

.. وسعى الى أن يعين فى أحد مناصب الادارة المحلية ، فرفض طلبه !

.. ورشح نفسه لمنصب نائب الرئيس ، فخسر المعركة !

.. وحين فاز أخيرا برئاسة الجمهورية ، **دخل ( البيت الابيض ) فى ظروف يظللها الأسى أكثر مما يكللها النصر !**

.. فرغم تكريسه لنفســه للســلام ، فانه وجد نفسـيه « مرغما » علي الاشتباك فى حرب !

.. وفى الوقت الذى كان هو ــ بطبعه ، وقلبه ــ « أرق » الآباء ، وأكثرهم حنانا ، نكبته الاقدار فى بنيه ، **فأحنى رأسه فى حداد على قبرى اثنين من أطفاله ، ماتا فى زهرة الصبا !**

.. وبقدر لطفه ودماثته نحو كل كائن حى ، كتب عليه ان يضطر ــ المرة تلو المرة ــ الى ان يوقع أحكام الموت على الجنود الذين فروا من الميدان خوفا من الموت !

.. ورغم ما طبعت عليه روحه من استقامة وحب للخدمة العامة فى وضح النهار ، فقد أجبر على أن يعيش سنوات رئاسته للجمورية فى الظلام.. ظلام الحرب والقتال والدمار !

.. وأخيرا ، حين لاح فجر الانتصار ، بعد ليل اليأس الطويل ، لم يعش لنكولن ليشهد انبلاج الصبح .. اغتاله متهوس مخبول بعد انتهاء الحرب الاهلية بأقل من اسبوع !

**.. وكان المؤلف المسرحى الأعظم فى السماء ، أراد ان يجعل من حياة لنكولن درسا يتعلم منه كتاب المسرح الصغار على الارض ، كيف يكتبون « تراجيديا » مثالية !**

## حياة لنكولن .. فى سطور

١٨٠٩ : ولد فى ولاية ( كنتوكى ) الامريكية

١٨٣١ : اشتغل فى وظيفة كتابية بسيطة بأحد متاجر مدينة ( نيوسالم ) بولاية ( الينوى ) .

١٨٣٤ : انتخب عضوا بالمجلس التشريعى لولاية (الينوى)

١٨٣٥ : ماتت خطيبته « آن روتلدج »

١٨٣٧ : بدأ يمارس المحاماة، بعد حصوله على الليسانس .

١٨٤٢ : تزوج من « مارى تود »

١٨٤٧ ــ ١٨٤٩ : خدم مواطنيه فى المجلس النيابى .

١٨٥٤ : ألقى فى ( بيوريا ) خطابه المشهور ضد انتشار الرق .

١٨٥٦ : انضم الى الحزب الجمهورى الذى تأسس حديثا.
١٨٥٨ : اشتبك فى مناظرة حامية حول موضوع الرق، مع خصمه السياسى « ستيفن دوجلاس » .
١٨٦٠ : القى خطابا هاما فى « اتحـــاد كوبر » ، حـول الموضوع ذاته .
١٨٦٠ : انتخب رئيســا لجمهـورية الولايات المتحـــدة الامريكية .. ( الرئيس السادس عشر )
١٨٦١ : أخذ على كاهله مسئولية اشعال الحرب الاهلية بين ولايات الشمال والجنوب ، من أجل تحرير العبيد
١٨٦٣ : أصدر اعلان الغاء الرق .
١٨٦٣ : القى خطاب ( جتيسبرج ) التاريخى المشهور .
١٨٦٤ : اعيد انتخابه رئيسا للجمهورية .
١٨٦٥ : اغتاله متهوس فى مقصورة بمسرح « فورد » .

---

# الحب .. أبدى !

## تلخيص : الآنسة كليمانس م. عبد الملك

وقفت امام المرآة لتكمل زينتها ، استعدادا لاستقبـال المدعوين الى الوليمة التى دعا اليها والدها فى ذلك المساء .

وأخـذت تدور أمام المـرآة ، متلفتة ذات اليمين وذات اليســار ، لكى تطمئن على أناقتها ، بينمـا ثوبها الحريرى ينسدل على جسمها ، كاشفا عن صدرها المرمرى .

ولم يمض على انشغالها بنفسها وقت طويل ، اذ لحقت بها شقيقتها « آن » ــ وكانت فى الخامسة عشرة من عمرها ــ فوقفت تنظر اليها وتطرى أناقتها .. ومضت فترة صمت

قصيرة ، تبادلت الشقيقتان خلالها الابتســامات ، الى أن قطعت « آن » الصمت بقولها :

**ـ اياك ان تضيعي على نفســك فرصــة هــذه الرليدة ياماری .. ان والدتى تعتقد انها آخر ..**

ثم أمسكت عن الكلام مشفقة ، لكنها مالبثت ان استطردت قائلة : « **مالم تفكرى فى « ســاندى » .. وتجعليه يتقــدم لطلب يدك ! »**

ويبدو ان كلمات شقيقتها قد مست وترا حساسا فى قلب مارى ، اذ أنها صمتت ، وســارت بخطوات متثــاقلة ناحية النــافذة المطلة على مروج ( بلوجراس ) الشــاسعة ، حيث وقفت تتأمل قرص الشمس وهو ينسحب رويدا رويدا الى أقصى الغرب .

.. وانسحبت ذاكرتها بدورها الى الوراء ثمانى سنوات .. أيام أن كانت فى ربيعها الثانى عشر .. وكانت لها أحلام وردية تراودها ، وتنقلها ، وهى فى اليقظة ، من مــكان الى مكان ، تاركة لها فرصــة الاختيار .. لكنهــا كانت تتشبث بمكان واحد دون سواه .. ألم تقل لأحد أصدقاء والدها من السياسيين : «**لكم تروق لى السكنى فى واشنطن .. فى البيت الأبيض بالذات ! ؟** » .. نعم كان الطموح يوجه أحلامها .

على أنها سرعان ما ارتدت الى الواقع ، تاركة المــاضى فى مستودع الذكريات .. وهبطت الى الحديقة ، حيث جلس أبوها « روبرت تود » ، الذى ضحى بنبوغه فى العلم وتبحره فى التاريخ والمنطق واللغة اللاتينية ، وآثر أن يكون صــاحب

شركة للبقالة ، الى جانب منصبه كرئيس لمجلس ادارة بنك ( لكسنجتون ) ، مما دن يحز فى نفسها كثيرا ، اد نره على هذه الحال ، بينما مكانه الحقيقى هو السياسه وشئون الدوله ! .. لكنها كنت تعزى نفسها بما عقدته من امل على الرجل الجالس بجوار ابيها الان .. او ليس « هنرى كلاى » عازما على ترشيح نفسه للرئاسه ؟ أو ليس صديقا حميما لأبيها ؟ اذن لابد انه سيسند الى ابيها منصبا حكوميا رفيعا ، اذا ما صعد الى كرسى الرئاسه ذات يوم ..

كان الاشتغال بالسياسة وشئون الدولة ركيزة هامة فى منطقة طموح « ماری » .. وكانت أضواء المناصب الرسمية تسحرها ، وتوجه اهتماماتها الاخرى .. اما « البيت الابيض » فقد كان بمثابة الكعبة التى تحج اليها أحلامها بين حين وآخر !

**المال والشباب ليسا كل شيء فى الرجل !**

بدا البيت ، فى تلك الليلة ، كشعلة من الأنوار .. كل شيء فيه كان متلألأ براقا .. بينما مارى تتنقل بين المدعوين والفرحة تكسو وجهها ، وهم يبادلونها التهنئة والتمنيات . فقد كان الحفل من أجلها .. بمناسبة عيد ميلادها ..

وما أن اكتمل عقد المدعوين ، حتى نهضت « مارى » فافتتحت الحفل بمراقصة « ساندى مكدونالد » . ثم التف القوم حول الموائد ، وراحوا يتحدثون ويثرثرون .. وتذكرت « مارى » ساعتئذ أن زوجة أبيها « بيتى همفرى تود » لم تحضر الحفل ؛ فشعرت بالاكتئاب لحظات ، ثم عدت الى سرورها بعد أن تذكرت أن زوجة أبيها لم يمض على ولودها

السادس وقت طويل ، وربما اعجزها الضعف عن الحضور..
وقد تكون فكرت أيضا فى أن تتيح للفتاة فرصة القيام بدور
المضيفة وربة البيت معا فى هذه الحفلة بالذات .

على ان ماری لم تلبث أن ضاقت بجو المائدة ، فتسللت
مع ساندی الى الحديقة .. وهناك جلسا .. وشرع الشاب
يذكرها بالزواج وضرورة اعلان الخطبة فى اليوم التالى ،
أثناء حفل التخرج الذى ستقيمه جامعة ترنسلفانيا ، حتى
تزدان ( لكسنجتون ) بأنوار حفلتين فى وقت واحد !

لكنها لا تدرى كيف واجهت طلبه بدموع طفرت الى
عينيها وتسللت الى خديها فبللتهما ، بينما الشاب واجم
لا يدرى ماذا يقول .. واحست ماری بذلك فقالت متأثرة :

**ــ انها دموع الشكر ، فانت أول شخص يطلب يدى ..
ولا ادرى لماذا .. لعلنى لم أغرم باحد قط !**

كان ساندی يحبها حقيقة ، بالاضافة الى ماورثه عن أبيه
ــ مؤخرا ــ من أراض ومزارع شاسعة . وكان يتمنى أن
تقبل طلبه . كذلك لم يكن أحد يتوقع أن ترفض ماری طلبا
لشاب يعتبره الجميع صفقة رابحة بالنسبة لبناتهم ! ..
لكن ماری كانت من نوع آخر .. لم يكن يهمها الثراء او
الفتوة بقدر ماكان يهمها أن تحصل على رجل من نوع آخر
.. كانت تهوى الرجال ذوى العقول الجبارة .. ذوى
الطموح والجلد والاحساس بالمسئولية تجاه مايدور فى العالم
من محن ومشكلات .. لهذا كان من المستحيل أن تقترن
بساندي ذي الذراعين المفتولين والجاه العريض .. أضف

الى ذلك مشروعها الذى فكرت فيه طويلا ، واستقر رأيها على تنفيذه . فهى لم تنس السنوات القليلة الماضية التى صرفتها فى مد العون لفريق من البشر كانت كل جريرتهم أنهم ولدوا سود البشرة . ولكم أحست بالتعاطف مع قضيتهم ، ولكم حاربت الرق الذى واجههم به ابناء جلدتها من البيض .

## المرأة الصادقة لاتحب الا مرة واحدة !

وفى الصباح التالى ، استيقظت « مارى » على صوت زوجة أبيها « بيتسى » وهى تلومها على رفضها الزواج من «ساندى» ! .. وكاد النقاش بينهما أن يتطور ويحتد ، لولا أن تداركت « مارى » الأمر ، اذ تذكرت عناية « بيتسى » بها منذ أن ماتت أمها .. وتذكرت أخوتها الخمسة الاشقاء ، واخوتها الستة غير الاشقاء الذين انجبتهم زوجة ابيها ذات الشخصية القوية ..

وحل موعد حفل التخرج ، فأسرعت مارى الى الجامعة التى درست بعض مناهجها ، عقب انتهائها من دراستها فى مدرسة البنات ومدرسة « مدام مينتل » الداخلية ، حيث اتقنت فيهما اللغات ، والعزف على البيانو ، والتمثيل والغناء ..

وفيما هى عائدة الى دارها ، مرت بسوق الرقيق ، فواجهتها المشكلة مرة أخرى عندما شاهدت فتاة صغيرة تعرض للبيع والناس يساومون فى تقدير ثمنها كالحيوان !..

فتنهدت ، ثم تمتمت لنفسها بعبارة حفظتها عن أبيها :
**« ان رجلا واحدا لايستطيع أن يضع حدا للرق ! »**

ومضت الايام بها ، وهی غارقة فی المشكلات من حولها ، الی أن دعتها جدتها ذات يوم لزيارتها .. وهناك تفرع بهما الحديث ، لكنهما التقيتا عند نقطة بعينها .. كانت مشكلة الزواج هی المرفأ الذی استراحت عنده الجدة العجوز التی ترملت اكثر من تسعة وثلاثين سنة ، ايمانا منها بمبدأ حافظت عليه ، يقول : **« ان المرأة الصادقة لاتحب الا مرة واحدة ! »** .. وراحت الجدة تلقی اللوم علی « روبرت تود » لزواجه من امرأة أخری بعد زوجته الأولی .. وراحت ماری بدورها تبدی رأيها فی الزواج ، وفی فارس احلامها الذی قصرت شروطها بالنسبة له ، علی الشجاعة والخلق المهذب والحكمة ..

وعندما انتهت الزيارة ، عادت « ماری » الی المنزل فوجدت فی انتظارها رسالة من شقيقتها « اليزابيث » تصف فيها حفل زواج شقيقتهما « فرانسس » التی اقترنت بشاب فجاة دون أن تخبر والدها ! .. وشفعت «اليزابيث» وصفها بدعوة « ماری » لزيارتها ، حتی تشغل الفراغ الذی خلفه رحيل فرانسس ..

ومضت ايام أخری ، ودعت ماری بعدها أفراد الأسرة وغادرت البيت الی دار شقيقتها فی ( سبرنجفيلد ) .

## شخصية جديدة فی الميدان !

**ولقيت** «ماری» حفاوة بالغة بها فی سبرنجفيلد ، وقضت ايامها الاولی فی استقبال الزائرين الذين وفدوا علی دار

شقيقتها للترحيب بمقدمها . وكان من بين هؤلاء شـاب فى الرابعة والعشرين من عمـره يدعى « ستيفن دوجلاس » ، كانت مارى معجبة بذهنه الوقاد وذلاقة لسانه ..

غير أن السـياسة نجحت فى اجتـذاب « مارى » مرة أخرى ، اذ وجدت من حولها اهتماما بها أوسع مما وجدته فى محيط أبيها . وقد صـادف ان دعيت فى اليوم التـالى الى مؤتمر سياسي ، سرعان مارحبت به ، وانطلقت بصحبة شقيقتها وزوجها لحضوره . وهناك حدثت ضجة أثنـاء مناقشة الخطبة التى ألقـاها أحد المتحـدثين .. اذ صرخ الشـاب المتحمس « دوجلاس » مطالبا بانزال الخطيب من فوق المنبر ، وكان ذلك ايذانا بالهرج والمرج اللذين أعقبـا ذلك .. وتطلعت « مارى » تتأمل المـكان ، واذا بها تلمح ، وسط هذا الجو الصاخب ، **ساقين طويلتين نحيلتين تخطوان بسرعة الى حيث كان الخطيب .. كانتا تحمـلان رجلا يبلغ طوله ستة أقدام ، طويل الذراعين ، نحيل العنق ، ذا شعر أسود وبشرة داكنة ووجه لطيف بشوش** .. وتقدم الرجل ناحية المتحـدث ثم واجه الجمهور ، حاملا على الموجودين لضيقهم بحرية الرأى التى كفلها دستور البلاد ..

واحست « مارى » أنها أمام شخصية غريبة ، فسـألت شقيقتها عن الرجل الغريب ، واجابتهـا اليزابيث بقولها : « انه ابراهام لنكولن المحامى، وشريك ابن عمك «ستيوارت» .. انه شاب لطيف ، لكنه لايهم اسرة تود »

## شجاعته فى التحدث عن فقره !

ثم التقت ماري بالمحامى الشاب النحيل مرة اخرى ، اثناء حضورها مناظرة سياسية .. لكنه كان فى هذه المرة أكثر حماسة وعنفا ، اذ تصدى لخطيب يدعى « تايلور » ، كان يعنف الارستوقراطيين على بذخهم ، ويحاول أن يظهر الديموقراطيين الذين ينتمى اليهم بمظهر العاملين لمصلحة الشعب ، الزاهدين فى متاع الدنيا .. لكن « ابراهام » هب فجأة ، واندفع تجاه الخطيب ، وأمسك بصديريته وفك أزرارها ، فبدا داخلها قميص حريرى ثمين ، وسلسلة وساعة ذهبيتان ، بالاضافة الى ماحولهما من حلى أخرى ثمينة .. وعندئذ أغرق الجميع فى الضحك .. لكن المحامى النحيل رفع يده فانقطع الضحك ، وصمت الحاضرون ، وشرع هو يقول :

« أيها الأصدقاء .. انا ابراهام لنكولن الوضيع . حين كان « تايلور » يوجه هذه التهم ضد حزب الأحرار — الذى أنتمى اليه — فى طول البلاد وعرضها ، وهو يركب العربات الفاخرة ، ويرتدى القمصان الحريرية ، ويمسك بعصا ذات رأس ذهبية ، كنت انا غلاما فقيرا ، أعمل على قارب بأجر لايزيد على ثمانية دولارات فى الشهر ، ولم أكن أملك سوى بنطلونا واحدا من جلد التيس .. وليس بخفى عليكم أن من طبيعة هذا الجلد انه ينكمش عند البلل ، ولذلك أخذ البنطلون فى الانكماش حتى كشف من جزء كبير من ساقى . كنت انمو ، بينما كان البنطلون يزداد قصرا ، حتى صارت

المسافة بين نهاية جوربى وذيل البنطلون عدة بوصات . كما ضاق فى الوقت نفسه فخلف على ساقى علامة دكناء ، لاتزال باقية الى اليوم. فان كنتم تسمون هذا أرستوقراطية، فاننى أقر بأننى مذنب أمام هذه التهم الموجهة ضد حزبنا ! »

وصفق الجميع له ، ثم سار كل الى حال سبيله .. والتفتت مارى الى شقيقتها « فرانسس » مستفسرة عن أخبار هذا الرجل ، سائلة شقيقتها أن تتيح لها فرصة للتعرف به .

واتيحت الفرصة فعلا ، اذ جمعهما حفل شاى فى بيت شقيقتها .. لكنها لاحظت على لنكولن فى تلك المرة الصمت والانطواء طوال الحفل ، مما أثار فضولها . وانضم الحظ الى صفها حين أعلنت شقيقتها بعد قليل أنها مدعوة مع زوجها للعشاء خارج البيت .. وبذا أتيح لمارى أن تنفرد بلنكولن وتعرف خباياه عن قرب . وسرعان ماتكشفت شخصيته لها شيئا فشيئا ، فبدا بسيطا خجولا ، ميالا الى الفكاهة وسرد القصص والطرائف .

وعجبت « مارى » من طريقته فى الاجابة على أسئلتها ، اذ كان يستعين بالقصص فى الرد عليها . وعندئذ دار بينهما الحوار التالى :

ــ انك أغرب شخص قابلته فى حياتى . ولست أملك الا الاعجاب بك .. فالاعجاب هو بدء الصداقة !

ــ قليل من النساء أبدين اعجابهن بى .

ــ وهل أعجبت أنت بكثير منهن ؟

ــ اذكر اثنتين أو ثلاثا على الأكثر . ولعله كان حبا مبدئيا .. ولكن متى احببت انت يامس تود ؟

وحملقت فيه « ماري » صامتة ، وفكرت برهة ثم قالت :

**ــ لم تكن هذه بداية لحبى .. اذ هو ، على الأقل ، لم يبدأ بعد !**

## عندما يكون الرجل .. « كالماسة الخام » !

**وأخذت** علاقة « ماري » بابراهام تتوثق على مر الأيام.. ولم تكن مارى تتوقع أن تجد فى ( سبرنجفيلد ) هذا الفيض من السعادة .. وقد لاحظت شقيقتها هذه السعادة التى غمرتها ، فأسرت اليها ذات يوم بقولها : « لقد ازددت فتنة وسحرا بدرجة لم أعهدها فيك من قبل ! .. ترى من الذى استهواك من الشبان ؟ .. طبيعى أن الفارس ليس تلك الماسة التى لم تصقل بعد ! » . فاجابت مارى : **« ان صقل ماسة حقيقية يستغرق الحياة بأكملها ! وعلى اية حال ، فالأمر يتوقف على نوعها .. وصفائها من الداخل ! »**

غير أن صفاء الماسة وصقلها كان يحتاج الى وقت طويل، فقد علقت بها شوائب من هنا وهناك ، سيما تلك الحملة المقذعة التى تعرض لها لنكولن من الصحافة المعارضة ، بسبب طريقته فى الخطابة ، وفى فض المشاكل عن طريق الفكاهة والأمثال الشعبية .. مما ادى بمارى الى القلق على مصير الرجل ومستقبله .. بعد أن علقت عليه آمالا كبار !

وذات يوم وصلها خطاب من والدها ، بمناسبة عيد الميلاد ، وبداخله مبلغ محترم من المال ، مشفوع بنبأ سار

مؤداه ان والدتها قد تركت لها فى وصيتها ارضا زراعية خصبة فى ( انديانا ) ، مساحتها خمسون فدانا ، على أن تحصل عليها فور زواجها .. وكان ذلك فألا طيبا بالنسبة لها ؛ مما شجعها على طرح الهواجس والقلق جانبا .

وفى الحفل الذى اقامته شقيقتها بمناسبة العيد ، كانت مارى تقوم بدور المضيفة ، نظرا لتخلف شقيقتها التى كانت على وشك الوضع..وفى تلك الليلة سنحت لمارى فرصةبعد انصراف المدعوين ، اذ لحق بها ابراهام ، وكانت الساعة قد تجاوزت العاشرة مساء ، وطلب منها أن تأذن له بدقائق من وقتها ، فرحبت به، وجلسا مستغرقين فى حديث ودى.وكم كانت دهشتها عندما اكتشفا انهما ــ مارى وابراهام ــ قد ولدا فى مقاطعة (كنتوكى) ، كما فقد كل منهما والدته فى سن واحدة .. ثم تحدثا فى تلك الليلة كثيرا ، وطرقا شتى الموضوعات .. وعندما سألته مارى أن يقص عليها تاريخ حياته ، اجاب بقوله :

**ــ ان تاريخ حياتى لايعدو أن يكون تاريخ حياة الفقراء ، وهو تاريخ ساذج قصير !**

ــ لكنك كنت بليغا فى خطابك ، فمن اين لك هذه البلاغة ؟

**ــ لم يكن فى بيتنا سوى الكتاب المقدس . لكننى كنت أستعير بعض الكتب المعدودة التى كانت ملكا للجيران .. كنت أقرأ ليلا على ضوء الشمعة حتى تفنى** .. وكنتاحفظ هذه الكتب عن ظهر قلب ، لقلة عددها .. وهكذا استطعت أن أقرأ كتبا مثل ( روبنسون كروزو )و( حياة هنرى كلاى )

و ( خرافات ايسوب ) ، وما شابه ذلك . وقد عاونتنى زوجة ابى على اكمال تعليمى ، ضد ارادة ابى الذى لم ينل اى قسط من العلم ، ومع هذا كان يسخط على من يطلبه

## لا يترافع الا عن المتهم الذى يؤمن ببراءته !

**وكانت** مارى تسمع أشياء كثيرة تدور من حولها على السنة الناس ، وكلها منصرف الى ابراهام العصامى المكافح .. قصص كثيرة كانت تروى عن طيبة قلبه وحبه للناس.. وقد ارادت « مارى » ذات يوم أن تتحقق من هذا ، وأن تراه بنفسها . وصادف أن ذهبت الى دار القضاء لتستمع الى مرافعته فى احدى القضايا . وكم كانت دهشتها عندما وجدته يعلن تخليه عن الدفاع .. لكنها مالبثت أن اكتشفت الحقيقة ، اذ تبينت أن لنكولن قد علم عن موكله ما يثبت خيانته ، فما كان منه الا أن سار نحو الباب .. **وعندما** سأله القاضى : **الى أين** ؟ أجاب : **« الى حيث أغسل يدى من هذه القضية ! »**

كذلك رفض المرافعة فى احدى القضايا لأن موكله كان يتجر فى الرقيق ، وامتنع عن دخول المحكمة فى صفه قائلا : « لن أرفع صوتي لصالح الاتجار بالرقيق الذى أومن بأنه مبنى على الظلم والسياسة المقيمة . فالبيض يستطيعون تحرير أنفسهم ، أما السود فهذا ليس فى وسعهم . وهنا تكمن المأساة . **ولست أرى من واجبى ، كمحام ، أن أدافع عن شخص يحاول تلويث أرض حرة بتجارة الرقيق ! »**



ماري تود في شبابها ( ١٨١٨ ــ ١٨٨٢ ) . وقد التقت بلنكولن في مرقص عام ١٨٣٩ ، وتزوجا في ٤ نوفمبر ١٨٤٢ ، بعد حب تخلله الشجار ، والقطيعة . والوصال .. الخ



ماری لنكولن مرتدية ثوبا للسهرة قبيل خروجها مع زوجها الى حفلة راقصـــة . وكانت تـكره الظهور فى صـــور مع زوجها بســـبب الفـارق الكبير بين طول قامتيهما !

ولم يكن هذا هو كل ما اكتشفته « ماري » في ابراهام ، اذ هالها ذات مرة أن تكتشف تلك القوة الهائلة التي تكمن في عضلاته . فقد تباري القوم يوما على حمل فأس ضخمة .. لكن أحدا لم يقو على ذلك ، باستثناء « دوجلاس » الذي حركها قليلا . وقبل لنكولن دعوة ماري لحمل الفأس ، بعد الحاح منها ، فما كان منه الا أن خلع ياقته البيضاء ، وتقدم نحو الفأس ، ثم رفعها مرة واحدة الى مستوى قامته .. ثم طلب فأسا أخرى ، وقام بدفن راسي الفأسين في الارض، وترك بينهما مسافة قدم واحد ، وما أن انتهى من ذلك حتى أمسك كلا منهما بيد ، ورفعهما معا . **وكانت النتيجة ان شعرت ماري بدوار ، غادرت المكان بسببه فورا ، بينما لنكولن يمسح بمنديله العرق المتصبب على جبينه !**

## القبلة الأولى !

ونجح كيوبيد تماما في مهمته ، اذ وفق بين قلبي ماري وابراهام ، وربط بينهما برباط وثيق .. فلكم شعرت ماري بارتياح عندما كانت تسير بجوار لنكولن ، ولكم شعر هو أيضا بالمسئولية ازاء حبهما ، فضاعف من حرصه على راحة رفيقته .. بل انه لم يعترف باسمها الحقيقي ، وانما اختار لها اسما من عنده هو « مولى » .. وهو اسم خاله مريحا ، لايبعث الأشجان مثلما يبعثها الاسم الأصلي . ( ذلك لأنه كان قد وقع في غرام فتاة من قبل ، كانت تحمل اسم « ماري » أيضا ، لكنها خيبت آماله ، وخلفت له اللوعة والحسرة ! )

وأصبح المشى هواية للمتحابين . وذات مرة ، فيما هما سائران ، أعلنته « مارى » بأنها ستزور عمها القاضى فى (ميسورى) ، لقضاء بعض الوقت هناك .. وأخذا يتناقشان فى مسألة السفر ، وهما يتقاربان أكثر فأكثر ، **حتى أصبحت المسافة بينهما لاتذكر .. وعندئذ انحنى لنكوان نحو مارى، فاولته هى الأخرى خدها دون أن تشعر** .. ولم تدر الا وقد احتضن كل منهما الآخر ، وقد أطبقت شفتاه على شفتيها .. وفى تلك اللحظة انهارت جميع السدود التى تفصل بينهما ، وأصبحا يشعران كأنهما الكائنان الوحيدان على ظهر الارض !

وبعد لحظة ، رفع ابراهام فمه عن شفتيها ، وكذلك ذراعيه القويتين اللتين التفتا حول خصرها .. ثم تحول سائرا فى طريقه دون أن ينبس ببنت شفة !

## صراع .. بين القلب والجسد

**فكرت** « مارى » كثيراً فى ابراهام .. بل انها صرحت بحبها له الى ابنة عمها «آن» فور وصولها الى (ميسورى) ، ودافعت عنه ، وتنبأت له برئاسة الجمهورية ! .. لكن التفكير فيه شغلها ذات ليلة ، وهى فى فراشها تتقلب ، وتستدعى النوم بلا جدوى ، اذ أخذت تتساءل :

« **ترى لماذا أحب لنكولن أكثر من سواه** ؟ ان كان ذلك لأمانته ، فجميع معارفى تقريبا يتحلون بالأمانة !.. وان كان للبساطة ، فانها سجية لاقيمة لها ! .. وان كان للقوة

البـدنية ، فالحيـوانات تتمتع بهـا ! .. وان كان لروحه الفكاهية المرحة ، فهـذا لا يدل على ثقـافة ذهنية ! » .. وهكذا راحت تقلب الأمر على كافة الوجوه ؛ دون أن تخرج بنتيجة ، اللهم الا تقدير الناس له ، واعتقادهم بكفاءه وقوة شخصيته .. لكن ، هل يبادلها لنكولن نفس الحب ؟

كان هو قد جرب هذه العاطفة من قبل ، ولدغتهالتجربة، فجعلته يصف الحب بقوله : « انه هلاك ! » . أما هى فقـد اصرت على حبها وراحت تغذيه وتطعمه من قلبها ووجدانها .. ورفضت بكبرياء عرض شقيقتها اليزابيث بشأنالزواج من (( ستيفن دوجلاس )) ، الشـاب الثرى الذى يهواها ، وأبلغتها بعزمها على الزواج من لنكولن ، رغم مهاجمة اسرتها له واتهامه بالجهل والخشونة .. بل وقبح المنظر أيضا !

وما أن عادت الى ( سبرنجفيلد ) عقب انتهـاء زيارتهـا لعمها ؛ حتى سـألت عن ابراهام ، وعرفت من شقيقتها انه عاد هو الآخر من سفره أمس .. وما ان انقضت الليلة حتى فاجأها ، فى الصباح التالى ، بزيارته فى ساعة مبـكرة .. حيث تبادلا الأشواق من جديد .. ثم انصرف بعد أن وعدها بالزيارة فى الصباح الذى يليه ..

وأقبل ابراهام فى موعده .. وكم كانت دهشتها عنـدما قدم لهـا زجاجة من العطر قائلا : (( لست ممن يستطيعون التعبير ياموللى .. لأن قدرتى على التعبير تقل كلمـا التهبت مشاعرى .. لكننى أريد أن تعرفى عنى شيئا واحدا .. هو انك المرأة الوحيدة التى أحببتها ! »

.. وكان لهذه الهدية المتواضعة وقع كبير على نفسها ، اذ اجتذبها الحديث ، وأخذت تتنقل به من موضوع لآخر ، الى أن استقرت عند موضوع الزواج .. فحدثت لنكولن عن الصداق ( الدوطة ) الذى تركته لها والدتها .. كما حدثته عن اعتزامها شراء منزل فخم للسكنى ، وعندئذ قال لها : « **لم يحدث اننى ملكت الفراش الذى أنام عليه يامولى ! .. لذا أناشدك طرح هذه المسائل جانبا .. اذ ليس من اليسير على أن أقفز من نصف فراش ، الى قصر منيف !.. ولماذا تبغين أن تبدئى الحياة من قمتها ؟ .. انك لن تجدى عندئذ مجالا للصعود ! »**

.. ومضى حبهما هادئا ، حافلا بالبهجة والسعادة .. الى أن اعتزم لنكولن مغادرة سبرنجفيلد ليقود حملة الانتخابات للمرة الأخيرة .. فودع مارى على ان يعود بعد أسبوعين ، بعد أن اتفقا على أن يتم الزواج بعد عودته .. لكن الاتفاق لم ينجح هذه المرة ؛ فاضطرا الى تحديد موعد آخر لاعلان الخطبة ، وانتهزا فرصة عيد راس السنة ، فاتفقا على أن تتم فيه الخطبة وعقد الزواج معا ، أثناء حفلة الشمبانيا التى تقرر اقامتها لهذه المناسبة .

وسرعان ما حل الموعد المضروب . وافتتحت حفلة الشمبانيا ، **وظلت مارى تتطلع الى الباب مترقبة قدوم ابراهام ، ولكن بلا جدوى ! .. واضطرت ، قرب نهاية الحفلة ، الى الاعتذار للمدعوين .. ثم صعدت الى غرفتها ، ورأسها مثقلة بالهموم والأشجان** : ترى ماذا حدث ؟ هل

تسرعت فى طلبها ؟ هل ذهب حبها مع الريح .. و .. و ..
اسئلة عديدة دارت برأسها ، وجعلتها تقضى ليلتها مسهدة ،
لا يغمض لها جفن ..

وأخيرا علمت أن لنكولن قد أصيب بداء السويداء ( الملانخوليا ) ، وانه يضيق بالحياة ، وأن حالته العامة ليست على ما يرام ، اذ نقل لها ابن عمها ، الذى يقيم فى واشنطن ، فقرة من خطاب وصله من لنكولن يقول فيها :

**« انني أشقى مخلوق على وجه الارض ، وأشعر انه لو وزع شقائى على البشر جميعا بالتساوى لما كان هناك ثغر باسم على هذه الارض ! .. لقد ضقت ذرعا بالحياة ، حتى أصبحت لا أقوى على احتمالها .. والآن : اما التقدم .. واما الموت ! »**

ومع أن مارى تجلدت أمام هذا الموقف ، وأظهرت من الشجاعة ما أخفى جزعها وقلقها ، الا أنها كانت كمن أصيب بالحمى ، اذ استسلمت للأمر فى هدوء ، وهى تغلى من الداخل ، وكلما أفاقت من أشجانها تذكرت كلماته لها :
« ان الحب أبدى ! »

## وأخيرا .. تم الزواج !

وولى صيف ذلك العام ، وحل الشتاء بثلوجه وزوابعه ، لكنه مضى أيضا دون أن تطمئن على الحبيب الغائب !

وذات يوم ، فى بداية شهر اغسطس ، وصلتها بطاقة لتناول العشاء لدى صديقة لها .. ولبت الدعوة .. ولم تكن تدرى ما يخبئه القدر لها .. فما أن بلغت بيت صديقتها ،

حتى حدثت المفاجأة .. كان لنكولن هناك ! .. وكان عتاب أعقبه الصلح على الفور ، اذ تفاهما ، وصفيا الخصام ، وتصافحا .. لكنها لم تطلب منه شيئا ، اذ حدث أن واجهها هو بطلبه .. على أن يتم تنفيذه عقب عودته من جولة أزمع القيام بها ..

وصدق فى وعده هذه المرة ، اذ عاد فى أول شهر نوفمبر بعد أن نجح فى جولته القضائية .. وكسب عدة قضايا .. لكنه عاد بمظهر جديد كلية : ففى جيبه عقد شراء أرض مساحتها اربعون فدانا اشتراها لوالديه ، وعليه ثياب أنيقة جعلته يبدو ثريا ..

وتقدم الى مارى قائلا :

**ـ ترى ، أتقبلينني زوجا يا مس تود .. غدا .. أم بعد غد ؟**

ـ وهل اطمئن الى قبول العرض ؟.. ( واستطردت بلهجة قاسية ) **أمتأكد من أنك لن تختفى مع الريح عامين آخرين ؟**

ـ بل عليك أنت أن تحددى المكان .. وسأكون عند وعدى هناك !

.. واخيرا تم الزواج ، وتلته حفلة راقصة حتى ساعة متأخرة من الليل .. لكن العروسين تسللا فى هدوء عند منتصف الليل ، الى حيث أقلتهما عربة مضت بهما الى فندق « جلوب » .. وهناك احتلا نفس الغرفة التى سبق ان احتلتها شقيقتاها عند زواجهما !

## الكلاب تنبح .. والقافلة تسير !

**جعلت** ماري من غرفتها عشا زوجيا أنيقا .. وسرعان ما اعتراهما تحول كبير جنح بهما الى السعادة ، ورسم على محياهما دلائل الصحة والنضارة ..

وكان هو شغوفا بالكتابة ، واظهار مواهبه الأدبية على الورق .. أما هي فقد كانت تحنو عليه ، وتحاول أن تشعره بالراحة والهناء ..

وذات يوم حضرت لزيارتهما شقيقتها « آن » ، ولم تكن قد رأت لنكولن بعد .. لكنها عند ما قابلته ، أحست بخيبة أمل ، ظهرت آثارها على وجهها فى الحال .. مما سبب ضيقا كبيرا لمارى .. سيما وان حساسية لنكولن جعلته يتنبه لذلك .. فما كان منه الا ان بادر ماري بقوله :

« أخشى أن أكون قد خيبت أمل شقيقتك يا ماري ، فأنا مضطر لأن أعيد على مسمعها ما سبق أن ذكره المدعى العام حين قال : **ان قبح منظر الرجل يقف عقبة فى سبيل نجاحه .. وان تقتير الطبيعة بالنسبة له ، يضطره الى بذل مجهود جبار لكى يعوض هذا النقص بسلوكه وتصرفاته .. أما من أسبغت عليه الطبيعة من حسنها فهو ، على النقيض ، يطمئن الي وجهه فلا يعنى بنقص عقله أو قلبه ! »**

.. لكن ماري طيبت خاطره ، وطمأنته ، وأزاحت الأوهام التى شغلته ..

.. وقد أثمر زواجهما سريعا ، اذ وضعت ماري مولودها الأول فيأول أغسطس التالي .. وأطلقا عليه اسم«روبرت» ،

تكريما لأبيها . وكان من حظ الطفل أن زارهما « روبرت » الجد . فاهدى مارى مظروفا به عقد ملكية ثمانين فدانا بالقرب من سبرنجفيلد !

لكن الطفل لم يلبث أن ظهر فى احدى عينيه« حول » أزعج مارى كثيرا ؛ وخاصة عندما قرر لها الطبيب أنه حول وراثى ؛ لا علاج له ، وقد ورثه عن أبيه الذى كان يبدو أحول العين عند الاجهاد ..

وشاء لنكولن أن يدخل على قلب زوجته السرور ، ففاجأها ذات يوم بقوله : (( **لقد اشتريت لك منزل القس (( درير )) الذى استهواك .. فقد حرمت نفسى منذ زواجنا من اقامة الحفلات ، بل ومن ممارسة لعب الكرة التى أعشقها ، وذلك لكى أدخر لك ثمن البيت !** )) .. وعندئذ فاضت الدموع من عينيها .. وغمرها فيض من السعادة ، أنساها متاعبها ..

## انتخابه مرشحا لرياسة الجمهورية

**وجعلت** مارى من المسكن الجديد جنة وارفة الظلال .. وشاء القدر أن تسفر حركة النشاط السياسى عن انتخاب ابراهام مرشحا لرئاسة الجمهورية .. فكان ذلك ايذانا ببدء مرحلة جديدة فى تاريخ زواجهما .. مرحلة لم تقف فى سبيلها الخلافات الزوجية التى كانت تحل بهما من حين لآخر .. على الرغم من ندرتها .

.. وكانت مارى فى ذلك الحين تتمنى أن ترزق ببنت ..

لكنها وضعت طفلا ذكرا ، لم يكن ذا عاهة كأخيه . ويبدو أن قافلة المجد كانت ماضية بهما ، اذ ما لبث لنكولن أن رشح لعضوية ( الكونجرس ) . وكان منافسه هو القس « كارترايت » ، الذى أخذ يدعو لانتخابه على نطاق واسع ، مهاجما فى الوقت نفسه ابراهام. وفى أحد هذه الاجتماعات ، وقف القس يخطب ، وعندئذ قال ابراهام هامسا : « لست أدرى لماذا يبحث هذا الرجل عن الخطاة ، وجميع من حوله هم أصدقاؤه الديموقراطيون ؟ ! » .

وفهم « كارترايت » ما عناه لنكولن ، فصوب نظره نحوه لحظة ، ثم رفع ذراعيه قائلا : « من يبغى أن يحيا حياة جديدة ويسلم قلبه لله ، فليقف ! » .. ووقف عدد قليل من الحاضرين . لكنه أضاف قائلا : « ومن يبغى ان لا يكون الجحيم مثواه ، فليقف ! » .. فوقف الجميع ، ماعدا مارى وزوجها .. وعندئذ قال كارترايت : « **لقد لاحظت أن البعض قد وقف من أجل تسليم قلوبه لله ، كما وقف الجميع ، باستثناء واحد ، لأنهم لا يبغون الذهاب الى الجحيم . فهل تسمح لي أن أسألك يا مستر لنكولن : الى أين تبغى الذهاب ؟** » .. فأجابه لنكولن على الفور : « الى الكونجرس ! » . وعندئذ ضج الجميع بالضحك . لكن هذا أزعج القس ، وجعله يذيع تقريرا بادانة لنكولن وعدم اهليته لتمثيل المسيحيين فى الكونجرس .

.. غير أن لنكولن استطاع أن يكتسب عطف ٥٦٪ من مجموع الرأى العام ، فى صراعه مع القس المرشح .

أما حياته فى البيت فى تلك الفترة ، فكانت حديث الناس ، اذ كان عطوفا على طفليه وزوجته .. ولم يكن يسمح لمارى بالقسوة عليهما ، وكان يقول لها : **« ان العالم حافل بصنوف الشقاء ، فلينعما على الأقل بطفولة سعيدة ! »**

## الحياة فى واشنطن

**كان** على الأسرة الصغيرة أن تنتقل الى واشنطن بعد نجاح عائلها .. لكنها لم توفق الى استئجار منزل مناسب ، اذ احتلت غرفة متواضعة بأحد البنسيونات .. وكان هذا يسبب حرجا لمارى ، اذ وجدت أنها تتردد كثيرا على البيت الأبيض بحكم مركز زوجها ، مما جعلها تتذمر من هذا الوضع .. وتشكو لابراهام ، وترجوه التفكير فى هذه المشكلة .. لكنه لم يكن يأبه بها ، بدعوى أن أهل المدينة الكبيرة لا يهتمون بمثل هذه الامور ، سيما وأن زوجات بعض الأعضاء يقمن فى نفس المكان دون تذمر ..

وفكرت مارى فى الأمر ، ورضخت فى النهاية لرأيه ، حتى لا تجرح احساسه ، وحتى لا تضاعف من متاعبه التى أخذت تتزايد بفعل المضايقات التى كان يلقاها من جراء معارضته لحرب المكسيك ، وايمانه بالحلول السلمية ..

وقد حدث أن عرض عليه منصب محافظ ولاية ( أوريجون ) ، بمرتب سنوى قدره ثلاثة آلاف دولار ، لكن مارى وقفت فى وجه هذا العرض ، رغم احتياجهم للمال .. وراحا ينفقان من مال كانت هى قد ادخرته ..

## المصائب لا تأتى فرادى .. !

**غير أن** القدر لم يمهل سعادتهما أكثر من هذا .. اذ شغلت مارى بعملية جراحية أجريت لعين « روبرت » الصغير .. ثم نكبت بوفاة والدها « روبرت » الكبير .. وآلمها أن تباع محتويات منزله بالمزاد العلنى ..

**ثم مرض طفلها الاصغر (( ادوارد )) بالدفتيريا ، لكنه لم يمكث طويلا ، اذ فاضت روحه الى بارئها** .. وعبثا بحثت فى قلب « روبرت » عن عوض لفقد أخيه .. ومع هذا تحملت مارى ما حل بها من مصائب، وضغطت على أعصابها لكى تبدو هادئة ..

وأقبل عام ١٨٥٠ يحمل ربيعا صافيا ، أحال(سبرنجفيلد) الى جنة خضراء ، لكن هذا الصفاء لم ينتقل الى الجو السياسى الذى كان ملبدا بالغيوم .. كانت هناك بوادر تفرقة وتشاحن بين الولايات الشمالية والجنوبية بسبب تجارة الرقيق ، جعلت ابراهام يتوه فى دوامة من القلق والأسى .. دوامة شاركته فيها مارى التى كانت تحمل فى أحشائها جنينا مضت عليه شهور قليلة ..

ولم يخفف من عذاب الزوجين سوى موت الرئيس « تيلر » ، وفوز نائبه « ستيفن دوجلاس » بالرئاسة .

.. ورزقا بطفلهما الثالث الذى سمياه « وليم ولاس لنكولن»، اعترافابجميل زوج شقيقتها الطبيب الذى عنى بها .

وكان ابراهام فى تلك الفترة مشغولا بالمحاماة والانتخابات، وكثيرا ما كان يتغيب عن بيته .. وذات يوم كانا عائدين من

الكنيسة ، وكان هو يجر عربة « وليم » ، ومارى من خلفه تسير فى هدوء وثبات .. لكنها ما لبثت أن خرجت عن هدوئها واندفعت صارخة نحو وليدها الذى هوى فى تلك اللحظة على الارض بعد أن سقط من العربة ، بينما أبوه ماض فى جرها ، غير منتبه الى ما حدث .. وعقدت المفاجأة لسانه عندما استدار واكتشف اهماله ، فوقف صامتا ، زائغ البصر .. ولم تتمالك مارى أعصابها ، فراحت تؤنبه بحدة . واستمع هو اليها حتى فرغت، ثم قال : **« ان العالم شاق يا مارى ، والناس فيه تظل تسقط من أعلى العربات .. فجدير بوليم أن يتعود ذلك منذ طفولته ! »**

.. وازداد « لنكولن » قلقا ، وأصبح عصبيا ، حاد المزاج .. لم يكن يغادر مكتبه الا لماما ، ولم يكن يتناول طعامه بانتظام .. واعتلى وجهه وجوم وهزال كئيبان ، جعلا مارى أشد حساسية وخوفا عليه مما سبق .. بل ان هذا الجو المقبض انتقل الى مارى فىالنهاية ، فصارت تتشاجرمعالباعة، وتقسو علىخادمتها، وتثورلأتفهالأسباب !

وبلغ السيل الزبى عندما بلغتها شائعات عن تودد ابراهام الى احدى الممثلات .. وعندئذ ثارت ثائرتها واندفعت اليه تريد أن تثأر لنفسها .. لكنه نظر اليها فى هدوء ثم قال : **« ان أعظم ثناء تكيلينه يا مارى لرجل حرمته الطبيعة من نعمة الجمال ، هو أن تغارى عليه ! .. فلا خوف على من النساء قط ، لأن المرأة تؤكد لى اننى أقبحرجل فىالوجود ! »**

لكن الشائعات مضت تتواتر ، بينما مارى منتبهة متحفزة

للقضاء على كل منها فى مهدها .. ثم انتهزت فرصت حلول اليوم الرابع عشر من نوفمبر عام ١٨٥٢ ، فاحتفلت بالذكرى العاشرة لزواجهما .. وكان هذا ردا بليغا أخرس الألسنة من حولها . وراح ابراهام ، من جانبه ، يكشف لها عن الحقيقة ، ويشكو لها متاعبه وآلامه ، معترفا بفضلها عليه ، معتذرا عما بدا عليه من وجوم وقلق .

## امنياته .. لابنه الرابع

**ووضعت** مارى طفلها الرابع ــ وجاء ولدا هذه المرة أيضا ! ــ فآلمها أن تخلو ذريتهما من البنات ، لكنها ما لبثت أن استراحت ورضيت بما قدر لها .. وكان الطفل أشقر ، ضخم الرأس ، مما دعا أبوه الى تشبيهه بفرخ الضفدع قائلا : « يبدو أنك ستغدو ذا عقلية جبارة يا فرخ الضفدع ، **وأعتقد أننا سنخرج منك شاعرا أو فيلسوفا .. ولن يصل بك الجهل حتى تصير محاميا ريفيا كأبيك !** » .. وسمى الطفل : « تاد » أو « تدى » ، لكنه كان ، كأخيه الشقى ، ذا عاهة فى حلقه ..

**غير ان الزوجين سعدا بعد ذلك بنبأ أثلج صدريهما .. اذ قرر مجلس شيوخ ولاية ( الينوى ) جعل مدينة (لنكولن) ــ التى سمى باسمها ابراهام ــ عاصمة لمقاطعة ( لوجان ) .. وكان ذلك يوم ١٢ فبراير ، أى فى عيد ميلاده .**

## عند ما تتحول السياسة الى طعام وشراب !

.. **كان** ابراهام يؤمن بأن السياسة كالماء والهواء .. بل انها تحولت الى طعام وشراب بالنسبة له ! .. وكانت

مشكلة الرق على رأس المشكلات التى عانى منها كثيرا ..

وتذكر مارى انها استيقظت ذات يوم فى ساعة مبكرة ، فوجدته جالسا على حافة سريره وهو يديم النظر اليها .. وعندئذ عرفت أنه عاد الى قلقه وتوتره . وقال لها بعد لحظة من انتباهها اليه : « **يا مارى، هل يمكن أن تدوم هذه الامة ، بينما نصفها مستعبد والنصف الآخر متحرر ؟ !** »

لقد طغت المشكلة عليه ، واستحوذت على تفكيره ، فجعلته ينصرف اليها . فلم يكن يذهب للمكتبة للتسلية ، وانما للدراسة والبحث فى حلول للمشكلة .. حتى بدأ الناس ينفضون من حوله ساخطين ، مستنكرين تقديره للحرية .. أما مارى فقد تحولت الى مستودع سره وساعده الأيمن !

وعند ما أقر الرئيس دوجلاس تعديل الدستور فى ٤ مارس ١٨٥٤ بما يضمن اقرار تجارة الرقيق ، ثارت الصحف ، وجميع طوائف الشعب .. حتى رجال الدين ..

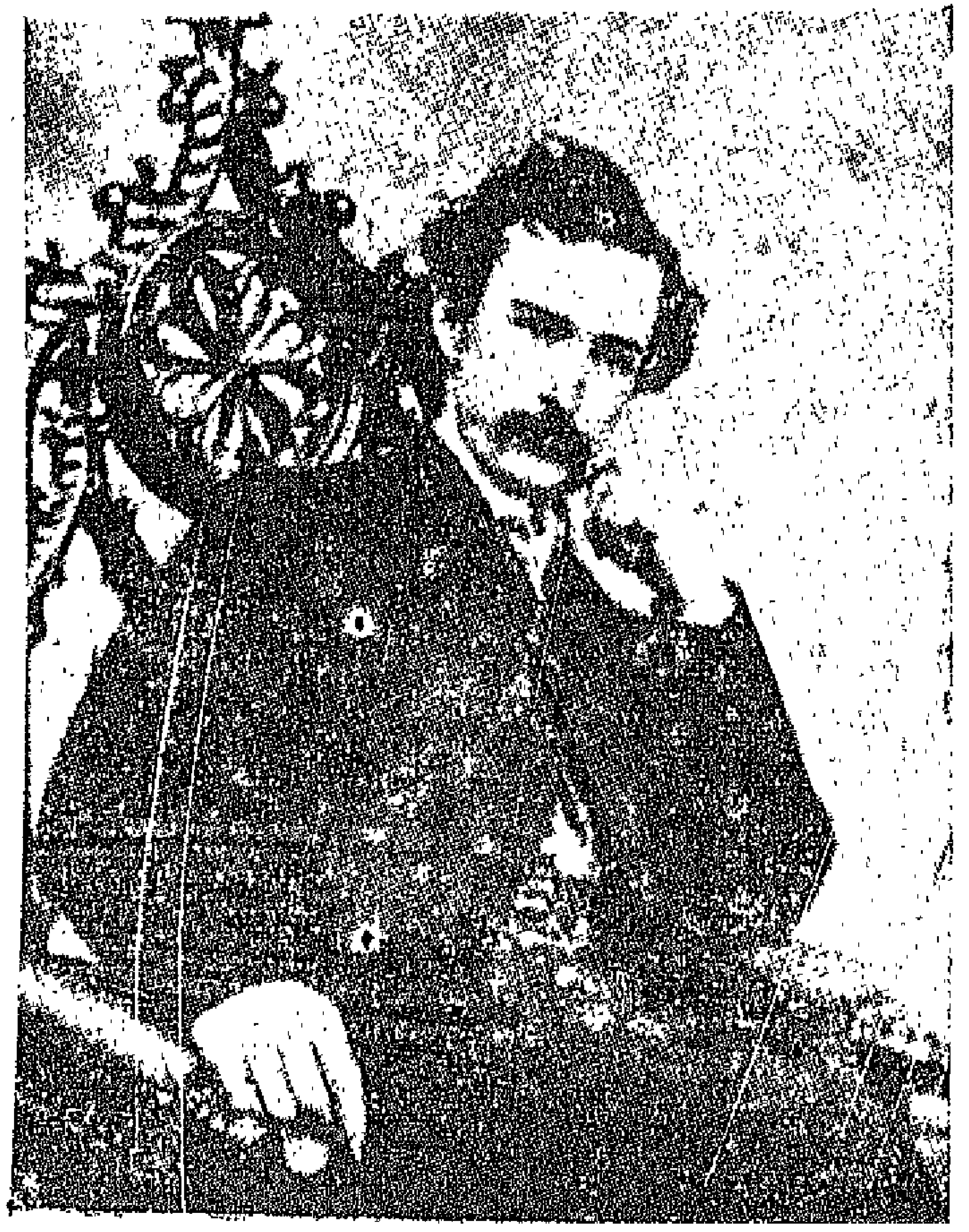
وفى ذلك اليوم عاد ابراهام الى بيته والغضب يؤجج نفسه .. وأخذ يعلن لمارى احتقاره لذلك الرجل الذى فرض الرق على الناس ، وتصميمه على الجهاد من أجلهم . ولكن ، ما وسيلة ذلك ؟ .. لاشك أن عضوية الكونجرس تضمن له نصيبا ايجابيا فى المعركة ، هكذا قالت مارى وهى تحثه على ترشيح نفسه ، مستطردة : « **اننا لم نعد نستحق الرثاء ، أو نسترق النظر حولنا لنبحث لأنفسنا عن قبور وضيعة نتوارى خلفها .. وانما نحن نمضى قدما على الطريق !** »

.. لكنه فشل فى أول تجربة .. اذ فاز بالعضوية رجل

آخر من حزب الأحرار الذى ينتمى اليه . ومع هذا لم يفت اليأس فى عضده ، بل انه مضى الى الفائز على الفور وهنــأه قائلا : (( ان فشــلى يعــادل تشــوقى لتهنئتك يا صــديقى العزيز ! ))



صوره تاريخيه للرئيس لنكولن ، وهو يراجع دروس ابنه (( تاد )) . وقد التقطت الصــورة يوم ٩ فبراير سنة ١٨٦٤ ، قبل مصرع لنكولن بعام واحد



(فى أعلى) : الممثل الفاشل « جون ويلكس بوث » يطلق النار على لنكولن اثناء عرض كوميديا « ابن‌عمنا الامريكى »
( الى اليسار ) : صورة نادرة للقاتل ( ٢٦ سنة ) ، وقد قتله رجال الشرطة فى جرن قمح بعد ١٢ يوما من قتله لنكولن ، ووجدوا فى جيبه صور خمس نساء !

## سيدة ضئيلة الجسم، فى الشارع الثامن!

وأحست مارى أن عليها أن تمهد له طريق المجد الذى ينتظره، فانتهزت فرصة رحيله، وقامت بترميم البيت الذى يقيمان فيه، حتى بدا جديدا منيعا، وأضافت اليه طابقا آخر، لدرجة أن ابراهام تردد فى دخوله عند عودته، وهو لا يصدق نظره!

ومرة ثانية أخطأه الحظ فى الانتخابات، لكنه لم ييأس .. بل ظل يشعل النيران تحت القدر السياسى لكي يزيد من اضطرامه وغليانه، فراح يدعو زعماء الحزب الجمهورى فى كافة الولايات الى نبذ تجارة الرقيق وتحطيم الاصوات المؤيدة لها، حتى لا تستفحل الانقسامات وتؤدى الى حرب أهلية بين ولايات الجنوب وولايات الشمال. كما استعان بموهبته الخطابية لالقاء الضوء على المشكلة .. وفى كل هذا كان مرحا على غير عادته ..

وأسفرت المعركة السياسية الناشبة فى ذلك الحين عن عقد مؤتمر كبير اصطبغ بالصبغة الرسمية، وافتتح فى شيكاغو فى ١٦ مايو ١٨٦٠ ..

**ثم كانت المفاجاة!**

ففى الصباح التالى خرج ابراهام الى مكتبه، لكنه ما لبث أن عاد الى بيته .. وفوجئت به مارى وقد شحب وجهه .. لكنها لمحت السرور طاغيا على عينيه وحركاته .. واذ ذلك حانت منها التفاتة الى يده: كانت ممسكة ببرقية .. ولمعت عينا مارى بسرعة، ووجدت نفسها بين ذراعي

ابراهام وهو يقول لها : **((لقدتم ترشيحنا لرئاسة الجمهورية يا مارى .. وقد وصلتنى هذه البرقية فقلت لنفسى ان فى الشارع الثامن سيدة ضئيلة الجسم تهمها هذه الرسالة .. لذا أقبلت على التو من أجلك ! ))**

ولم تستطع مارى أن تسمع أصوات اطلاق المدافع والأجراس والتهليل ، بسبب دقات قلبها القوية .. واحتضنها ابراهام بقوة وضمها الى صدره ، ثم أطبق شفتاه على شفتيها .. وعندئذ استمادت تاريخ أول قبلة منذ عشرين عاما .. عندما وقعت فى شرك الرجل الذى كانت النساء يعتبرنه فى ذيل قائمة الرجال !

## سيدة البيت الأبيض !

**وتوافد** المهنئون على دار لنكولن بعد ظهر ذلك اليوم .. وأحضر له البعض سلة غاصة بزجاجات الشمبانيا .. وقال له قاضى بنسلفانيا ـ وكان معروفا بطول قامته : **(( يسرني اننا رشحنا لرئاسة الجمهورية رجلا علينا أن نرفع رؤوسنا عند النظر اليه ! ))**

وظهرت نتيجة الانتخابات .. وفاز لنكولن .. وبقى يوم ٤ مارس وهو يوم البيعة .. وعند ذلك تسللت الشائعات ، وارجف المرجفون ، ظانين أن لنكولن لن تتم مبايعته ، بل سيقتل قبل أن يغادر ( سبرنجفيلد ) الى ( واشنطن ) !

وبلغت الشائعات مارى فلم تأبه بها . ووقفت بشجاعة تجلو زيفها .. لكنها اضطرت ـ تحت ضغط الحاح الاصدقاء ـ الى التخلف فى سبرنجفيلد حتى ينجح زوجها ،

وحتى لا يلحق بها خطر ..

وقبل أن يتحرك القطار مقلا الرئيس المرتقب ، وقف هو ، ورفع قبعته ، وخطب فى الجموع المحتشدة لتوديعه فى سبرنجفيلد : « لا يمكن لأى شخص فى غير موقفى أن يقدر الألم الذى اشعر به لفراقكم : اننى مدين لهذه البقعة بكل شيء ، مدين للعطف الذى أسبغتموه على .. **لقد عشت هنا ربع قرن مارا بمرحلة الشباب الى مرحلة الكهولة .. هنا ولد أطفالى الذين واريت الثرى احدهم ، وها أنا أرحل — ولست أدرى ان كنت سأعود أم لا — وأنا أحمل على كاهلى مسئولية أعظم من تلك التى حملها (( جورج واشنطن )) .** لكننى اثق بالكائن الأزلى الذى يستطيع أن يعضدنى ويقف فى صفى على الدوام . فلنثق — حيثما كنا — بأن كل الأشياء تعمل معا للخير .. ها أنا أستودعكم عناية الله .. وأخيرا اودعكم وداع المحبة »

وتحرك القطار ، والهتافات تتصاعد ، والمناديل تخفق .. بينما الدموع قد أغرورقت بها العيون .

.. وفى ( واشنطن ) تمت البيعة ، ووقف ابراهام يردد القسم ، وهو يضع يسراه على الكتاب المقدس ، بينما يمناه ممتدة نحو السماء . وراح قاضى القضاة ينطق بالقسم ولنكولن يردد :

« أقسم أنا ابراهام لنكولن بأن أنفذ قوانين الولايات المتحدة بكل أمانة ، وان اعمل كل ماقى وسعى لصيانة دستور البلاد وحمايته . »

**وأصبحت مارى (( سيدة البيت الأبيض )) .. بجدارة .**

## نشوب الحرب الاهلية ..

**لكن** الرياح كثيرا ما تأتى بما لا تشتهى السفن .. اذ لاحت فى الأفق بوادر عواصف وأزمات .. فقد اشتد النزاع بين الولايات الجنوبية ، وعددها ست، وبين الولايات الشمالية وعددها اثنتا عشرة . واضطر ابراهام الى اخلاء قلعة « سومتر » ارضاء للجنوبيين وابقاء على الاتحاد . لكن الثوار الجنوبيين هاجموا القلعة التى رفض قائدها التسليم ، وعندئذ اشتعلت الحرب . وانتاب الجزع ماری ، لكن لنكولن اجابها قائلا : « **سأتولى أمر هذا النزاع بنفسى الى أن أنجح ، أو أموت ، أو أهزم ، أو تنتهى مدة رئاستى ، أوتنبذنى أمتى والكونجرس !** »

.. وتحرجت الحالة عندما حاصرت قوات الجنوب مدينة واشنطن ، لكن الحصار ما لبث أن انفك بوصول نجدات من الشمال ..

وتحمل الرئيس الجديد النقد الذى وجه اليه ، وشاركته مارى فيما وجه اليها ، أيضا ، من نقد لتصرفاتها .. لكنها تمسكت بالشجاعة واستطاعت أن تكتسب عطف الكثيرين وثناءهم، بمن فى ذلك الضيوف الاجانب كالامير لويس نابليون الذى زار أمريكا فى ذلك الوقت ، ولقى حفاوة بالغة من سيدة البيت الأبيض .

وحاول ابراهام ، من جانبه ، إن يجنب الشعب ويلات الحرب وسفك الدماء ، بل انه ضحى بابطال تجارة الرقيق فى سبيل المحافظة على وحدة الصفوف واتحاد الولايات التى

انقسمت فيما بينها ازاء هذه المشكلة .. وكم كان ابراهام يود لو أن الناس سعوا الى الصفاء والسلام ، وعالجوا الامور بتساهل وحب ، كما كان يفعل أطفاله حين يختلفون فيما بينهم ..

وما أمر المحنة التى اجتازتها مارى فى تلك الظروف ، حين انهال عليها النقد والتقريع من الصحافة .. وما اشد أسفها حين عرضت الصحافة بنشأتها فى الجنوب وتعصبها لأهله .. **حتى لقد طالبوا بشنقها أو طردها من البيت الأبيض !**

**بل ان الاقدار قامت أيضا بدور عدائى ازاء الزوجين ، اذ اختطف الموت ولدهما « وليم » اثر اصابته ببرد شديد لم يقو على احتماله** .. ولئن كان ابراهام قد استطاع أن يتغلب على أحزانه ، الا أن مارى لم تستطع التغلب على مصيبتها الأخيرة ، التى خلفت الحزن فى قلبها والمرض فى جسدها .. الى أن كان يوم فقدت فيه أخاها شهيدا فى القتال الذى اشتد عقب وفاة ابنها .. وعبثا حاولت أن تعيد الطمأنينة الى قلبها . فقد حاولت أن تستعين بتحضير الأرواح فى الاتصال بوليم ، دون جدوى . ووقف زوجها فى وجه هذه الخرافات ، ونهاها عن تصديقها ، قائلا لها : « **أترين مصحة الأمراض العقلية الرابضة على قمة التل ؟ .. ان العدد الأكبر من ضحاياها هم أولئك الذين لم يتمكنوا من ضبط مشاعرهم !** » .. وحاول أن يصطحبها الى مستشفى الجيش ، وهناك شاهدت ضحايا القتال ، وقد شوهت

الشظايا أجسادهم، فتأثرت غاية التأثر ، وغادرت المستشفى والدموع تنهمر من عينيها ..

وقالت له ، وهما يستقلان العربة : **« ما أشد خجلى من تلك الدموع التى ذرفتها على خسارتى الشخصية .. كان يجب أن أذرفها على هؤلاء الشبان الذين يحتضرون ، وعلى أمهاتهم اللواتى لا يستطعن البقاء الى جوارهم ليخففن عنهم ويهتممن بهم ! »**

وكانت من نتيجة عمله هذا ، أن وجدت مارى نفسها مشدودة الى هؤلاء المساكين ، فراحت تزورهم وتشجعهم وتغمرهم بهداياها ومعوناتها المالية التى ادخرتها من مالها الخاص. ووجدت فيهم عوضا عن فقدها لأولادها واخيها .

## أعظم قرار أصدره لنكولن الانسان !

**ما** أن اصبح الخطر يهدد العاصمة بعد تقدم جيش الجنوب ، حتى قطع ابراهام عهدا باصدار قرار ينص على تحرير جميع العبيد ، فيما لو تراجع جيش الجنوب عن بنسلفانيا .. وشاءت الأقدار أن يتم هذا ، ولكن بعد قتال عنيف راح ضحيته ألفان من جنود الطرفين المتخاصمين ..

وتناولت الصحف قرار ابراهام بالتأييد والتزكية ، وعلقت عليه بقولها : **« لقد صدق الرئيس على أعظم قرار أصدره انسان على هذه الأرض ! »**

كما بعث النبأ فى أهل الشمال حماسا شديدا .. وطفت الفرحة به على أسي مارى الذى تجدد هذه المرة عندما

جاءتها الأنباء تحمل مصرع أخيها « دافيد » فى القتال ..

.. غير أن القتال بلغ أشده عندما التحم الجيشان فى المعركة الفاصلة ، التى تحولت الى مجزرة قتل فيها مايربو على اثنى عشر ألفا من الفريقين ، مما اضطر الحكومة الى تحويل الكنائس الى مستشفيات لاستقبال الجرحى والضحايا ..

ولم يكن ابراهام فى ذلك الوقت فى حالة طيبة ، اذ سيطر عليه الجزع والقلق ، وخلفا به حالة عصبية أشبه بالهستيريا .. وكادت حالة الهستيريا هذه أن تعصف بمارى أيضا ، وخاصة عندما أتاها نبأ مقتل أخيها (( اسكندر )) فى الحرب ، كانت قد حملته على ذراعيها ، وهو بعد طفل ، قبل أن تغادر لكسنجتون الى سبرنجفيلد ..

ونجح ابراهام فى اقناعها ، وسط هذا الجو الملبد بالغيوم ، بأن تمضى بعض الوقت فى رحلة خلوية بعيدة عن واشنطن..

لكنه انقطع عن امدادها بالأخبار فترة ، الى أن جاء يوم وصلتها منه برقية تقول أن القتال الأخير لم يكن فى صالحهم، وأن زوج شقيقتها الصغيرة قد قتل .. وعندئذ لم تتمالك نفسها فصرخت فى أسى : (( ترى كم سأفقد من أفراد أسرتى ؟ ! )) .. وكانت العربة فى انتظارها فى تلك اللحظة ، لتقلها الى الزوج الحائر الشجاع ..

وفى واشنطن ، مرة أخرى ، طلب من ابراهام — عند تدشين مقبرة جديدة للقتلى — أن يخطب فى الحاضرين عن سبب نشوب الحرب .. فقال فى خطبته : « لقد جاء

أسلافنا الى هذه القارة منذ سبعة وثمانين عاما . كونوا أمة جديدة تتمتع بالحرية ، مكرسين أنفسهم للمبدأ الذى ينص على أن « جميع البشر قد خلقوا متساوين » .. وها نحن نخوض غمار حرب أهلية لكى نختبر مدى سير هذه الأمة بموجب المبدأ الذى كرست نفسها من اجله ! »

**وكان عليه أن يخوض المعركة الانتخابية مرة أخرى ، لانتهاء مدة رئاسته .. لكن الظروف خدمته ، هذه المرة أيضا ، ففاز بالرئاسة فى الوقت الذى بدأت فيه كفة الشمال فى الرجحان ..** واطلقت المدافع فى واشنطن ، بعد أسابيع ، احتفالا بصدور قرار الغاء تجارة الرقيق فى ماريلاند وأركنساس ولويزيانا ، بصفة نهائية .. ومر جمع كبير أمام البيت الأبيض لشكر الرئيس الذى وقف بجوار مارى فى الشرفة ، وهو يلوح واياها للشعب .. ثم التفت اليها قائلا : **« لقد تمخضت مدة رئاستى عن أعظم حدث فى تاريخ القرن التاسع عشر ! »**

وتمت البيعة الثانية بنفس النجاح والتوفيق الذى تمت بهما البيعة الأولى .. وخطب لنكولن فى ذلك اليوم وهو يمد ذراعيه كما لو كان يود أن يحتضن الجمع الغفير الذى مثل أمامه .. قال : « علينا أن نناضل من أجل انجاز ذلك العمل العظيم الذى شرعنا فى تنفيذه ، وقد خلت قلوبنا من الحقد، وامتلأت بالعطف على الجميع .. نناضل ونحن ثابتون فى الحق . ولنضمد جراح الأمة ونعتنى بأولئك الذين خاضوا غمار القتال .. كما أن علينا أن نعتنى بأراملهم وايتامهم ..

ولنعمل على دعم العدل والسلام الدائمين فيما بيننا .. وكذلك فيما بيننا وبين الدول الأخرى ! »

**ووضعت الحرب الأهلية أوزارها فى النهاية** .. وصفا الجو ، وعادت اليه نضارته .

**.. وأخيرا توقف القلب الكبير !**

**وخصص** ابراهام يوم ١٤ ابريل عام ١٨٦٥ ليكون عيدا للشكر ، فعم الفرع انحاء الشمال .. أما فى واشنطن فقد تحولت المدينة بأسرها الى مهرجان كبير تصدح فيه الموسيقى وتتلألأ فيه الأضواء ..

**وفى مساء ذلك اليوم اتفق ابراهام ومارى على أن يذهبا الى مسرح « فورد » ..**

**وفيما كانت متكئة على ذراعه ، وهو ينظر اليها وعلى وجهه ابتسامة الحب والاخلاص ، اذ بها تسمع ، فجاة ، صرخة تنبعث من الخلف** .. فقفزت من مكانها .. واذا بالدخان يملأ مقصورتهما . والتفتت الى ابراهام ، فهالها ماكان عليه .. وتجمدت الدماء فى عروقها وهى تتأمل مظهره : كان مغمض العينين ، ورأسه مائل الى الوراء ، وابتسامته ميتة على شفتيه !

وعندئذ انطلقت منها صرخة مليئة بالهلع والخوف !

.. وكان الجانى شخصا غريبا لم تتبين مارى ملامحه

.. وجىء بالطبيب ، فقرر أن الرئيس مصاب بجلطة دموية على الكتف بسبب جرح عميق .. لكنه استدرك فقال :

**« يؤسفني أن أقول ان الرئيس قد أصابته أيضا رصاصة خلف رأسه »**

وحملوا ابراهام الى منزل مجاور حيث أرقدوه على سرير .. وهو واقع تحت تأثير غيبوبة جعلت شفتيه تصدران أنات خافتة ، والدماء تسيل على وسادته ..

ورغم أن الأطباء نجحوا فى اخراج الرصاصة من جسمه ، فان حالته ساءت بعد ذلك ، فتورمت عينه اليسرى ، وبدأ تنفسه فى الاضطراب .. مما أفزع مارى ، وشل حركتها ، حتى تلاشى العالم من ذاكرتها ، ولم تعد تميز أو تعى شيئا .

وأقبل الصباح ، وكان أغبر قاتما ، واذا بولدها روبرت يمسك بيدها ويقودها الى حيث والده .. وما ان خطت داخل الغرفة ، حتى أدار الرجال وجوههم ، وتسللوا الى الخارج ..

**لقد مات ابراهام ! وتوقف القلب الكبير عن النبض ! ..**
وعندئذ ألقت بنفسها على صدره ، وانهالت على فمه تقبله وهى تقول صارخة : « يا الهى .. لقد فرطت فى زوجى ، ودفعته بيدى الى هذا الطريق ، ليلقى مصرعه ! »

ونقل الجثمان الى البيت الأبيض .. حيث انزوت مارى فى غرفة صغيرة للضيوف .. وبجوارها ولدها « تدى » .. وتساءلت فى الصباح التالى بصوت عال : « **كيف تشرق الشمس وقد مات ابراهام ؟ !** »

وعندئذ إجابها تدى قائلا : « ان هذا لدليل على ان أبى

سعيد فى السماء يا اماه .. **انه لم يسعد قط منذ أن حل هنا .. ولم يكن هذا المكان يصلح له ! »**

.. ثم جثا تدى على ركبتيه بجوار جثة والده وقد ارتسم الالم والأسى على وجهه ..

## الحب أبدى .. لا يموت !

**ودفن** الرئيس الراحل .. وكان موكب الجنازة مهيبا ، بينما كانت أجراس الكنائس تدق ، والموسيقى تعزف اللحن الجنائزى ، والجيش يسير بخطوات بطيئة خلف النعش الذى لفه العلم واشتركت فى جر عربته ستة خيول .

.. وأخيرا تلقت مارى رسالة بانتهاء مدة ضيافتها فى البيت الأبيض .. فأخذت تحزم متاعها ، تاركة وراءها ذكريات ، بعضها حلو والآخر مر .. واستقلت القطار الى شيكاغو بعد أن ألقت نظرة أخيرة على غرفة نوم ابراهام ومكتبه .. كانت مارى فى حالة يرثى لها ! .. كل ما كانت تذكره ، وهى تستقل القطار ، أنها كانت زوجة وأما ، أقامت مع ابراهام طوال هذا التاريخ ، بدافع من كلماته لها : **« ان الحب أبدى لا يموت ! »**

نعم .. كان حبها أبديا ، رغم كل ما واجهه من صعاب !




تلخيص : حلمى مراد

بلغت العاصفة ذروتها فى المساء ، وبدت سيول المطر المنهمر ، مع هزيم الرعد ، ووميض البرق، وكأنها معركة رهيبة قامت فى أعالى السماء ! .. وكانت السحب السوداء تزحف على صفحة الفضاء ، كأنها أعلام الفناء ، واشجار الحدائق التى تحف بضفتى النهر تتماوج وتتمايل ، من جانب الى جانب ، وهى تئن وتتأوه .. وفى غرفة مقفلة بأحد البيوت المشرفة على النهر فى بلدة ( شاندر ناجور ) ، جلس رجل وزوجته على حشية وضعت على الارض، والىجوارهما مصباح من الخزف يرسل ضوءه الهزيل . وأخذا يتناقشان فى اهتمام . قال الزوج « شارات » : « بودى لو تبقين هنا اياما أخرى ، اذن لاستردت صحتك وعدت الى بيتنا قوية كما كنت » .. فقالت زوجته « كيران » : « انى بخير ، ولن يضرنى البتة ان أعود الى بلدتنا الآن » . **وكل رجل متزوج يستطيع أن يدرك أن المناقشة لم تكن قصيرة الى هذا الحد !** .. وهذا ما حدث بالفعل ، فرغم أن المشكلة لم تكن معقدة ، فقد كثر الاخذ والرد بين الزوجين ، دون أن يقتربا بها من الحل المنشود ..وظلت المناقشة تدور وتدور حول نفسها ، كقارب بلا دفة تتنازعه الامواج والرياح ، حتى أوشكت أن تغرقهما فى فيضان من الدموع !

كان شارات يقول : « ان الطبيب يرى أن صحتك تقتضى بقاءك هنا أياما أخري » .. فتجيبه كيران : « ان طبيبك

يدعى العلم بكل شيء ! » .. فيعاود الزوج الالحاح : «ولكنك تعلمين ــ بغض النظر عن قوله ــ أن شتى صنوف الامراض والاوبئة تنتشر هناك الآن ، فمن الخير أن تطيلى بقاءك هنا شهرا أو شهرين..».. فتجيبه الزوجة متسائلة فى اصرار : « وهل لا توجد هنا الآن أمراض وأوبئة ؟ »

وكانت « كيران » محبوبة عند أهلها وجيرانها الى حد كبير ، وقد أقلقهم جميعا مرضها الخطير ، على أن أغبياء القرية الكثيرين رأوا أن من العار على زوجها أن يقيم الدنيا ويقعدها لاجل ذلك ، وأن يفكر فى نقل زوجته من القرية طلبا لتغيير الهواء ، **وراحوا يتساءلون فيما بينهم : « أتراه يحسب أن امرأة غيرها لم تمرض من قبل ؟ أم تراه يحسب أن سكان البلدة التى يزمع الانتقال اليها من الخالدين الذين لا يموتون ! ؟»** .. ومهما يكن من شيء فان شارات وأمه أعارا هذه الاقاويل آذانا صماء ، ورأيا أن حياة عزيزتهما المريضة أهم من الاقاويل . وهكذا سافر شارات و كيران الى ( شاندر ناجور ) ، وهناك شفيت الزوجة من مرضها ، وان ظلت ضعيفة خائرة القوى ، شاحبة الوجه الى درجة تستثير الاشفاق . وكانت « كيران » شغوفة بالمجتمعات وما فيها من ضروب التسلية ، فضاق صدرها بالوحدة التى تعيش فيها فى منزلها المشرف على النهر ، حيث لا شيء يشغلها ، ولا جيران ممن ألفتهم ..لاشيء سوى مواعيد الدواء وألوان الطعام !.. ومن هنا كان نقاشها مع زوجها فى غرفتهما المقفلة فى تلك الليلة العاصفة . وكانت

كفتاهما تتعادلان فى النقاش حين تمضى كيران فى الجدل .. اما حين كانت تحجم عن الرد ، وتدير رأسها فى اكتئاب الى الناحية الاخرى ، فان المسكين كان يوشك أن يسلم سلاحه، بلا قيد ولا شرط ! .. وقد كان هـذا شـأنه ، حين طرق الباب خادم ، يحمل رسالة !

نهض شارات، وفتح الباب ، فاذا الخادم ينبئه بأن قاربا قد انقلب بركابه فى النهر أثناء العاصفة ، وأن فتى براهميا منهم أفلح فى الوصول الى الشاطىء ، واللجوء الى حديقتهم .. وما كادت كيران تسمع بالنبأ ، حتى تحاملت على نفسها ونهضت لتحضر للغلام اللاجىء ثيابا جافة .. ثم أعدت له قدح لبن ساخن ، ودعته الى غرفتها ..

***

كان الغـلام ذا شـعر طويل مجعـد ، وعينين كبيرتين معبرتين ، فسقته كيران قدح اللبن ، ثم شرعت تسأله عن شأنه ، فذكر لها أن اسمه «نيلكانتا» ، وانه من افراد فرقة مسرحية جائلة كانت قادمة للتمثيل فى مكان قريب ، فانكفأ القارب بأفرادها فجأة ، متأثرا بشدة العاصفة ، واستقل هو براعته فى السباحة فنجا بنفسه ، اما بقية زملائه فلا يدرى عن مصيرهم شيئا ! ..

وأثارت نجاة الغلام من موت محقق رهيب عطف كيران عليه ، فرحبت ببقائه عدة ايام ، ورحب زوجها بالغلام الذى ظهر فى الوقت المناسب كى يؤنس وحدة كيران ويشغلها عن فكرة العودة الى القرية ، كما شملته حماتها برعايتها

وعطفها . أما « نيلكانتا » نفسه فقد فرح بالخلاص المزدوج ــ من سطوة رئيسه فى الفرقة المسرحية ، ومن العالم الآخر ! ــ كما فرح بهذا المأوى المريح الذى وجده فى كنف الاسرة الفنية .

***

**ولم تمض** فترة قصيرة حتى تبدل شعور شارات وأمه نحو الغلام ، وتاقا الى الخلاص منه ! . . فقد كان نيلكانتا يجد لذة خفية فى تدخين « جوزة » شارات ، وأخذ يتسلل الى الخارج فى هدوء برغم المطر المنهمر ، كى يقوم بجولة فى القرية ، محتميا بمظلة مضيفه الحريرية الثمينة ! . . ثم اصطفى لنفسه كلبا ضخما من كلاب القرية ودلله الى حد جعله يقتحم حجرات المنزل بأرجله المحملة بالوحل ، ويترك طابع زيارته على الفراش الناصع النظيف !

وأخيرا جمع نيلكانتا حوله عصبة من صبية الحى وراحوا يعيثون فى الحديقة فسادا ، فكانت النتيجة أن ثمرة واحدة من ثمار المانجو لم تنضج على شجرتها فى تلك السنة !

**ولم يكن شك فى أن كيران كانت لها يد فى تدليل الغلام وافساده . . وقد حذرها شارات مرارا من ذلك ، لكنها لم تصغ لتحذيره** ، فصارت تلبس نيلكانتا ثياب زوجها القديمة ، بل كانت تصنع له أحيانا ثيابا جديدة أنيقة !. وكانت تلبى ميلها الى الغلام وفضولها الى معرفة كل ما خفى من أطواره بأن تدعوه الى غرفتها كل حين ، بعد أن تستحم وتتناول غداءها ، فتجلس على الفراش وتسلم شعرها الى الخادمة تجففه

وتصففه، بينما يقف نيلكانت أمامها يتلو مقطوعات من أدواره التمثيليــة المحفوظة ، مصــحوبة بالحركات والاغانى التى تلائمها ، فتهتز خصــلات شعره وتتمــاوج مع حركاته .. وهــكذا كانت ســاعات الامســية الطويلة تنقضى فى مرح وحبور ..

وكانت كيران تحاول احيــانا اقناع زوجها بمشــاركتها الاســتماع الى تمثيليات الفلام وأغانيه ، ولكن كراهيتــه للفلام كانت تغريه بالرفض فى أكثر الاحيان . والواقع أن حضــوره كان يفقد نيلكانتا غيرقليل من جرأته ، فلم يكن يجيد أداء أدواره نصــف اجادته لها فى غيبتــه ! .. أما أم شارات فكانت تلبى الدعوة أحيانا ، راجية أن تسمع بعض الاسماء المقدســة فى مقطوعات الفلام ، لكن شــغفها بنوم القيلولة كان لا يلبث أن يستأثر بها ، فتغيب فى أحلامها .. !

وكم من مرة جذب فيها « شارات » أذنى الفلام بشدة ، تأديبا له أو تأنيبا ، لكن ذلك لم يكن شــيئا بالقيــاس الى ما اعتاده نيلكانتا من مدير الفرقة الجائلة ، ومن هنا لم يفلح هذا العقاب فى زجره ! .. وكانت تجاربه المحدودة قد دلته على أن حياة المرء مثل الكرة الارضية التى تنقسم الى قليل من اليابسة وكثير من الماء ، وكان الطعام عنده يعنى اليابسة فى حياته ، بينما كان الضرب أو التأنيب يعنى الماء !

وكان من الصعب تحديد سن نيلكانتا . لو قلت انه فى الرابعة عشرة لكان وجهه ينبىء بأكثر من سنه ، ولو قلت انه فى السابعة عشرة لــكان الامر على العكس . فهو إما رجل

نضج قبل الاوان ؛ أو صبى تأخر نضجه عن الاوان. . جسمه وذتنه الملساء يوحيان بصغر سنه ، بينما لفته وادمانه التدخين وتغضن شفتيه توحى بكبر سنه ! .. البراءة والشباب يسطعان من عينيه الكبيرتين ، ويفيضان من قلبه البكر ، **لكن العمل من أجل الرزق فى سن الصبا قد أنضج مظهره قبل موعده !**

على أن الطبيعة لم تلبث أن وجدت فى مأوى « شارات » الهادىء وحديقته الفسيحة جوا مناسبا لاتمام عملها دون عائق ، فانتقل الغلام فى صمت وهدوء من مرحلة الصبا الى مرحلة الرجولة ؛ فوضحت أعوامه السبعة عشر أو الثمانية عشر . **وبدا ذلك أول ما بدا فى أنه صار يخجل حين تعامله كيران معاملة الصبيان** . وحين اقترحت عليه ذات يوم وهى تضحك أن يمثل دور امرأة ، ساءه ذلك وآلمه ، ولكنه لم يجاهر بسبب استيائه وألمه ، واكتفى بالاختفاء من وجه كيران كلما همت بدعوته الى القاء مقطوعاته القديمة ، فلم تكن تعثر له على أثر !

***

**واستقر** عزم الفتى اخيرا ــ بعد أن طال به المقام ــ على أن يتلقى قسطا من التعليم على وكيل أعمال « شارات » ، لكن الوكيل لم يكد يعلم أن الفتى هو مدلل زوجة مخدومه ، حتى نفض يده من المسألة ، وآثر أن ينجو بنفسه من الحرج! .. كما أن الفتى ذاته عجز عن تركيز ذهنه فى الدرس والتحصيل . كانت الحروف الابجدية تتراقص أمام عينيه

كالضباب ، فكان يجلس ساعات والكتاب مفتوح فوق فخذيه، مستندا بظهره الى جذع شجرة فى الحديقة الساكنة ؛ والامواج تتنهد تحت قدميه ، والقوارب تتهادى على صفحة النهر أمامه ، والعصافير والطيور تزقزق فوق رأسه بلا انقطاع ..

ترى أية أفكار كانت تطوف براسه وهو يرمى ببصره الى الكتاب فى تلك الساعات ؟ .. انه وحده الذى يعلم ذلك ـ ان كان يعلم شيئا ـ فالواقع أنه لم يكن ينتقل من كلمة الى أخرى ، **ولكن شعوره بأنه يقرأ كتابا ، كان يملأ أعطافه بالبهجة والجذل** . وكان كلما مر قارب رفع كتابه الى مستوى بصره وراح يتظاهر بأنه يقرأ جادا ، بأعلى صوته ، حتى يبتعد « النظارة » ، فتنطفىء حماسته بالتدريج !

لقد كان فيما مضى يغنى مقطوعاته التمثيلية بطريقة آلية، اما الآن فان أنغامها ترن فى وعيه ، فيحس ـ كلما فهم معانيها ـ كأنه ينتقل الى عالم آخر ، وقوم آخرين ! .. وهذه الارض التى ألفها ، والحياة المتواضعة التى يحياها ، صارت تستحيل حينذاك الى موسيقى وأنغام .. بل انه هو نفسه صار يستحيل الى انسان آخر ، تتراءى فى مرآة ذهنه القصص الخرافية القديمة فى صورة جدية ، حافلة بألوان الجمال الخارق الفتان .

كان يستعيد فى خياله ـ كالحلم ـ قصة الطفل الفقير القذر الجائع ، الذى أوى مع المساء الى بيته الحقير ، بعد أن سمع بما يروى عن الامير والاميرة والذهب الاصفر الرنان،

فينطلق عقله من قيود الواقع المرير ، من قيود الفقر والبؤس والحجرة الحقيرة التى تضيئها شمعة ضئيلة .. ويروح يحلق فى آفاق تلك الارض السحرية الجميلة التى يعيش فيها الامير والاميرة !

.. لكن عبث «نيلكانتا» وأقرانه بحديقة المانجو المجاورة فى أوقات لهوهم ، لم ينقطع ، ولما شكا صاحبها ذلك الى « شارات » ، عاد هذا ثائرا وجذب أذنى نيلكانتا بشدة ، وزجره زجرا عنيفا .. ورغم ذلك ، توالى العبث ، وتوالت الاعتداءات !

***

**وذات** يوم ، حل بالبيت « ساتيش » ، الشقيق الاصغر لشارات . وقد جاء ليقضى عطلته الجامعية السنوية ، فابتهجت كيران لقدوم هذا الرفيق الجديد ، ليؤنس وحشتها .. وكانا فى سن متقاربة ، فصارا يقضيان أيامهما فى اللهو ، واللعب ، والمشاحنة ، والصياح ، والضحك .. وفى الدموع أحيانا !

.. كانت تفاجئه من الخلف ، فتطوق عينيه براحتيها الملطختين بالفحم ، وتكتب على ظهره كلمة « قرد » ! .. أو تغلق الباب عليه من الخارج لتمنعه من مبارحة البيت ، فيشفى غليله بالضحك ! .. ولم يكن ساتيش بدوره يغفل فرصة رد الصاع لها صاعين ، فكان يدس لها الفلفل فى الحلوى .. أو يخفى مفاتيحها وحليها .. أو يقيدها الى الفراش ، حين تكون غافلة !

**والله وحده يعلم ما أصاب نيلكانتا المسكين خلال تلك**

**الايام ، فقد تملكه فجأة شعور بالمرارة الموجعة جعله يتوق الى أن يصب غضبه وانتقامه على انســان ما ، أو شيء ما ؛** فصار يوبخ اتباعه المخلصين من أفراد «العصابة» دون ذنب جنوه ، وكثيرا ما ردهم الى بيوتهم باكين ! وصار يركل كلبه المدلل حتى يملأ أنينه وصياحه الفضاء !

وحينما يخرج للتريض كان يضرب بعصــاه الاغصــان ، فترسم أوراقها المتساقطة طريقه من الجانبين ! .. وأكثر من هذا أنه كان ـ قبل حضور « ساتيش » ـ أكولا ، قادرا على هضم كل ما يقدم له ، لا يكاد يرفض طعاما جيدا مهما يكن مقداره ضــخما .. فكان يلذ لــكيران أن تدعوه لتنعم بمشاهدته وهو يلتهم طعامه فى حضرتها ، فى نهم ملحوظ .. فلما جاء ساتيش ، لم يبق لها وقت فراغ تضيعه فى ممارسة هوايتها هذه ، الا فيما ندر !

وكان غيابها فيما مضى لا يؤثر فى شهيته للطعام.أما الآن، فقد صار لا يكاد يشتهى الطعام ، وكثيرا ما نهض عنه دون أن يقربه ، قائلا للخادمة فى صوت كسير : « لست جوعان ! »

وقد كان يأمل أن تصل أنباء عزوفه عن الطعام الى سمع كيران ، **فترسل فى طلبه ، وتلح عليه فى أن يأكل ! .. لــكن شيئا من ذلك لم يحدث ، فلم تعرف كيران بأمر ما طرأ عليه .. ولم ترسل فى طلبه !** .. بل صــارت الخــادمة تتولى الاجهاز على الطعام الذى يتركه ! .. فأمسى ـ حين تخذله أعصابه ـ يأوى الى غرفته ، فيطفىء المصــباح ، ثم ينكفىء على فراشه فى الظلام ويدفن وجهه فى الوسادة .. ليبللها

بدمعه ! . . وأخيرا ، حين لا يقتحم عليه خلوته غير النعاس ، كان القلب الجريح للفتى اليتيم يستسلم لاجنحة النوم الناعمة الرحيمة !

وانتهى نيلكانتا الى الاقتناع الجازم بأن سانيش لا بد قد سمم أفكار كيران ضده . فكان اذا شرد ذهنها ولم تقابله بابتسامتها المعهودة ، يفسر ذلك بأن ساتيش قد دس له عندها ! . . وعلى هذا . جعل يصلى للآله ، بكل حرارة حقده المشتعل ، كى يجعل روحه تتقمص ــ فى الولادة القادمة ــ جسم ساتيش ، ويجعل روح ساتيش تتقمص جسمه هو ، وتقاسي عذابه . وكان موقنا من أن صلاته لن تذهب هباء . .

**لكنه كلما حاول أن يحرق ساتيش بنار دعواته ، كان هو نفسه الذى يحترق ، ولا سيما حين يسمع صدى ضحكات ساتيش ومزاحه مع زوجة شقيقه ، صادرا من الطابق العلوى !**

غير أن نيلكانتا لم يجرؤ على المجاهرة بعدائه لساتيش ، وان عمد الى مائة حيلة وحيلة لمضايقته !. . كان ساتيش اذا ذهب ليسبح فى النهر ، وترك قطعة الصابون على الشاطى ، يعود فيجدها قد اختفت ! . . ومرة رأى سترته المفضلة تسبح بعيدا فى الماء ، فحسب أن الهواء هو الذى ألقاها فى النهر !

وذات يوم ، أرادت كيران أن تسلى ساتيش ، فأرسلت تدعو نيلكانتا كى يمثل أمامه بعض مقطوعاته . لكن هذا وقف جامدا لا ينطق ، وقد بدا عليه الاكتئاب . فلما سألته كيران فى دهشة عما به ، أبى أن يخرج عن صمته !

.. حتى اذا ما ألحت عليـه فى أن يلقى مقطوعة معينة كانت تفضـلها ، أجـاب فى صرامة : « لست أذكرها » .. وخرج من المكان !

***

**وجاء** أوان عودةأسرة شارات الى قريتها، فانهمك الجميع فى اعداد معدات السفر ، وحزم الامتعـة . وبدا أن ساتيش يعتزم السفر معها .

اما نيلكانتا فلم يحدثه أحد فى الامر بكلمة ! بل لم يبد أن أحدا فكر البتة فى مصيره !

لكن الواقع أنهم فكروا فى أمره فيمـا بينهم ، فعرضت كيران أن يأخذوه معهم . لكن زوجها وامه وأخاه عارضوا فى ذلك بشدة ، فاضطرت كيران الى نبذ فكرتها .

وقبيل موعد رحيلهم بأيام ، أرسلت فى طلبه ، ونصـحت له فى كلمات رقيقة بأن يعود الى بيت أهله ! .. **وكأن لهـذه اللفتة الكريمة ، بعد الاهمال الطويل ، أثرها فى نفس الفتى ، فانخرط فى البكـاء ، ولمعت الدموع فى عينى كيران ، فقـد أدركها الندم** . لكن ساتيش تبرم ببكاء الفتى ونشيجه فقال لها : « لماذا يقف هذا الاحمق مولولا ، بدل أن يتكلم؟» فأنبته كيران على غلظته ، واتهمته بأنه مخلوق مجرد من الشعور . فكان جوابه أن قال : « انت لا تفهمين الامر على حقيقتـه، وقـد كنت طيبـة وسـخية بثقتك أكثر ممـا ينبغى ، اذ عاملت هـذا الافـاق الذى لا يعلم الا الله من أين جـاء ، كما يعـامل الملوك .. وطبيعى أن النمر لا يريد أن يعود

فأرا - وهو لهـذا يحـاول تحريك قلبك و الانته بهـذه الدموع ! » .. ولم يستطع نيلكانتا ان يحتمل هذا التقريع ، فترك الفرفة لا يلوى على شىء . **وكم تمنى فى هذه اللحظـة لو كان سكينا ، تقطع أحشاء ساتيش وتمزقه .. أو ابرة تخز قلبه وتدميه ، أو نارا تحرقه وتحيله رمادا !**

.. لكن ساتيش لم يصب بخـدش ، وانما قلب نيلكانتا المسكين هو الذى ظل ينزف بلا انقطاع !

وكان ساتيش قد أحضر معه من ( كلكتا ) محبرة فاخرة على شكل قارب مرصـع ، تجره أوزة من الفضـة . وكان شديد الاعتزاز بها ، ينظفها بنفسه كل يوم بعناية ، بمنديل حريرى ، فتضحك كيران وتضرب منقار الاوزة بأصبعها وهى تغنى . ثم تنشب بينهما المعركة الكلامية المألوفة !

فلما كان اليوم السـابق ليوم رحيلهم ؛ اختفت المحبرة الثمينة فجأة ، وفشلت جميع الجهود التى بذلت فى العثور عليها . فابتسمت كيران وقالت لساتيش : « لابد أن أوزتك قد طارت ! » .. لكن ساتيش كان حانقا مفيظا ، موقنا من أن نيلكانتا قد سرق المحبرة المفقودة ، **سيما بعد أن شهدأكثر من شخص بأنهم رأوه يحوم حول الغرفة فى الليلة السابقة !**

ومن ثم أمر ساتيش باحضار « المتهم » أمامه ، وكانت كيران حاضرة ، ثم صرخ فى وجهـه قائلا : « لقـد سرقت محبرتى أيها اللص ، فأعدها الى فورا ! »

ورغم أن نيلكانتا طالما تلقى العقاب من « شـارات » فى ارتياح تام ، حتى حين كان يعتقد أنه لا يستحق العقاب ،

فانه وجد نفسه لا يستطيع صبرا على اتهام ساتيش اياه فى حضرة كيران . وسرعان ما اتقدت عيناه بغضب وحشى ، وغص حلقه ، وتلاحقت انفاسه . ولو أن ساتيش أضاف كلمة أخرى الى ذلك لوثب وانقض عليه كالقطة المتوحشة !

واستاءت كيران من هذا المشهد ، واكتأب قلبها ، فأخذت الفتى الى غرفة أخرى ، حيث قالت له بلهجتها الناعمة الرقيقة : «نيلو ، اذا كنت قد أخذت المحبرة ، فاعطنى اياها فى هدوء ، وأنا أعدك بأن أحدا لن يمسك بكلمة أخرى فى شأنها ! »

**وغص الفتى فى حلقه ، وتدحرجت على خديه دمعتان غزيرتان .. وعبثا حاول مغالبة دموعه ، فاضطر الى اخفاء وجهه بيديه .. وانخرط فى البكاء !**

وعادت كيران الى زوجها وشقيقه وأمهما ، قائلة : « أنا واثقة من أن نيلكانتا لم يأخذ المحبرة» .. لكن الرجلين أصرا على اتهامه . ثم اقترح شارات أن يستجوب الفتى ، لكن زوجته أبت بشدة . وعند هذا اقترح ساتيش بدوره تفتيش غرفة نيلكانتا وصندوق متاعه . فقالت كيران : « اذا جرؤت على أن تفعل ذلك فلن أغفر لك قط . انك لن تتجسس على الغلام البرىء الفقير ! » .. وكانت تتكلم والدموع تملأ عينيها الجميلتين ، فلم يسع شارات وساتيش الا السكوت !

ثم رات أن تطيب خاطر الفتى المتهم « البرىء » ، فأعدت قميصين جديدين ، وزوجين من الاحذية ، ومضت بها فى هدوء الى غرفة نيلكانتا ، وفى يدها ورقة مالية كبيرة أيضا ، معتزمة

أن تضع كل هذه الهدايا فى صندوقه .. وكان الصندوق نفسه هدية من هداياها .

واختارت من حلقة مفاتيحها مفتاحا يصلح لفتح الصندوق ، ثم فتحته بغير ضجيج . كان مملوءا بالمتاع الى درجة لم يتسع معها للهدايا الجديدة ، فآثرت أن تفرغ محتويات الصندوق وتعيد ترتيبها من جديد . **وحين أوشكت أن تصل الى القاع ، اصطدمت يدها بشيء صلب .. واذا هى ترى أمامها .. المحبرة المفقودة !**

***

**صعد** الدم الى وجه كيران ، وجلست مذهولة ، والمحبرة فى يدها ، حائرة لا تدرى ماذا تصنع .. وظلت الافكار تختلط فى ذهنها المضطرب .

وفى تلك اللحظة ، كان نيلكانتا قد عاد من الخارج وصعد الى غرفته ، فما كاد يدخلها حتى رأى كيران منكبة على صندوقه . وقد أخرجت منه المحبرة ! .. وتبادر الى ذهنه انها انما جاءت خلسة لتفتش الصندوق وتضبطه متلبسا بالجريمة .. وأدرك أن أمره قد افتضح ، ولم يدر كيف يقنعها بأنه ليس لصا ، وأنه لم يأخذ المحبرة الا رغبة فى الانتقام من صاحبها !.. وهتف به قلبه : « **أنا لست لصا . لست لصا** » . لكن ماذا يكون اذن ؟ .. وماذا يقول تبريرا لموقفه ؟ .. لقد سرق ، ومع ذلك فهو ليس لصا !

لكنه لم يستطع أبدا أن يوضح الامر لكيران ، ويقنعها بأنها أخطأت جد الخطأ حين حسبته لصا ! .. وفى هدوء ،

تسـلل الفتى عائدا من حيث جاء ، دون أن تشـعر كيران بحضوره أو انصرافه .

وأخيرا تنهدت كيران تنهدة عميقة وهى فى جلسـتها أمام الصندوق ، ثم أعادت المحبرة الى مكانها .. وكما لو كانت هى السارقة، غطتها بالثياب التى كانت تغطيها ، ثم وضعت فوقها الهدايا التى أحضرتها للفتى..وورقة النقود الكبيرة !

***

وفى اليوم التالى لم يعثر للغلام على أثر . وقرر أهل القرية انهم لم يروه . وعجز رجال الشرطة عن الاهتداء الى مقره ! .. واذ ذاك اقترح شارات أن يفتشوا صندوقه ؛ ليروا أهو مذنب أم برىء . لكن كيران رفضت الموافقة على ذلك ، فى اصرار وعناد ، ثم حملت الصندوق الى غرفتهـا ، حيث أخرجت منه المحبرة خلسة ، والقت بها فى النهر .. دون أن يشعر بذلك انسان !

**وعـادت الاسرة كلهـا الى مقرهـا ، فأقفرت الحـديقة المهجورة ، ولم يبق من آثار (( نيلـكانتا )) غير كلبـه الأمين الجائع ، يذرع شاطىء النهر ، فى عواء محزن كئيب !**


كتب جديدة
من الغرب والشرق
عرض لأحدث الكتب
أخبار الحركة الأدبية فى العالم

# الكتب الافرنجية

## رسالة باريس يقدمها : الدكتور أنور لوقا

**زولا ، أسطورة وحقيقة** ZOLA, LEGENDE ET VERITE
تأليف : هنرى جيمان (Par Henri Guillemin)

**نبدأ** جولتنا فى مكتبات باريس هذا الشهر بهذا الكتاب الهام ؛ ومؤلفه باحث مدقق ، وناقد مجدد ، ومحاضر جذاب ، يعرفه أهل القاهرة لا من خلال كتبه الطريفة فحسب، بل منذ كان أستاذا بجامعتها لمادةالأدب الفرنسى . وقد اشتهر « هنرى جيمان » بهجماته التى توالت فى السنوات الاخيرة على أصحاب الاسماء الكبيرة فى تاريخ الأدب ، وتخصص فى تحطيم الأصنام ، بدراسات علمية شائقة تعتمد على مراجع مطوية لا يلتفت اليها فى العادة جمهرة الباحثين ، وعلى المخطوطات الاصلية ووثائق دور المحفوظات . وهكذا نبش ماضى بعض العمالقة ، من أمثال (( **فيكتور هوجو** )) و (( **ألفريد دى فينيى** )) ؛ وفضح كثيرا من نواحى الضعف والهوان لدى أولئك المنادين بالمثل العليا !

وهو اليوم يستخدم منهجه فى هدم أسطورة (( **اميل زولا** )) ، ورسم صورة جديدة لهذا الأديب الذى أسرف فى الواقعية، وأرهق أواخر القرن التاسع عشر بقصص المجتمع الفاسد ، والحياة الذميمة ( راجع قصته « الوحل » فى « كتابى » عدد ٤٦ ) . و « جيمان » يعارض الرأى الشائع عن «زولا»، ونفور النقاد منه جيلا بعد جيل، ويدافع عنه دفاعا مجيدا . انه يعود الى آثاره الأدبية من ناحية ، ويراجع فى الوقت نفسه تطور حاله النفسية كما تسجلها الرسائل التى كتبها لأهله وأصدقائه أثناء انشاء تلك الآثار . ومن هذه المقارنات

المتصلة بين أحاديث « زولا » الشخصية والمعانى التى يعالجها فى قصصه داخل اطار فنى ، اتضحت للاستاذ الباحث وقائع وحقائق هى التى يعرضها علينا فى سياق ممتع .

ويتوقف « جيمان » مليا عند قصة مغمورة كتبها «زولا» فى شبابه عنوانها « اعتراف كلود » ، فيبين كيف كان هذا الأديب ـ الذى مرغ النقد صيته فى الوحل ـ فتى كريما عفيفا رفيع الآمال ، تدفعه شهامته وهو فى العشرين من عمره الى أن يحاول انتشال امرأة ساقطة ، فيصطدم ـ رغم تضحياته ـ برفضها حياة الشرف وتشبثها بوهدة الرذيلة ، وهنا يعبر بطل قصته « كلود » هذه العبارة الرهيبة : « لقد قامت أمامى كل القذارة البشرية » . ولا يخبو نور الأمل فى صدر « زولا » بعد هذه التجربة المريرة ، ولكنه يحس ـ مع الحاح الفضيلة عليه ـ بالحاجة الى استكشاف أغوار « الواقع » ، ويقرر قبل أن يبلغ الخامسة والعشرين « أن يعرف كل شىء : ليشفى كل شىء » !

وفى الكتاب فصل آخر عميق عن تطور مشاعر « زولا » وانكاره ازاء الدين والايمان بالقيم الروحية . ومن المعروف أن « اميل زولا » قد هاجم فى كثير من مؤلفاته أوضاع الكنيسة الكاثوليكية التى نشأ فى رحابها ، فما أشد عجبنا عندما نتتبع ـ بفضل تدقيق « جيمان » ـ فقرات مؤثرة كتبها « زولا » فى حماس هذه المعارك ، وتشهد ألفاظها وحججها بأنها صادرة عن تلك المبادىء نفسها وقد تغلغلت فى روحه ، وعن تلك القيم الأبدية التى بات يفتقدها ايمان تخبط فى ظلمات الواقع .

انه كتاب خطير ، يصحح أخطاء خطيرة ، ولا غنى عنه لمن يعرض منذ اليوم لأدب هذا القصاص الشهير .

**(( للبيانو المنفرد ))** POUR PIANO SEUL
تأليف : اندريه موروا (Par André Maurois)

**(( اندريه موروا ))** علم من أعلام الادب الفرنسى منذ نصف قرن ، اجتذب برقة فنه ، ورشاقة أسلوبه ، واتساع آفاقه، الملايين من قراء مختلف اللغات . برع فى القصة الطويلة : وأصدر سلسلة من سير مشاهير الأدب والتاريخ تجلت فيها غزارة ثقافتيه الفرنسية والانجليزية ـ وان كان يميل الى اصطناع التشويق الروائى فى الترجمة لأبطاله . ( وقد قدم « كتابى » عدة أمثلة من أدب « موروا » ، راجع الأعداد من ٧ ـ ١٤

وكتاب « موروا » الجديد ليس رواية ، ولا هو ترجمة حياة فنان ، بل مجموعة من الأقاصيص الصغيرة ، حافلة بألوان المتعة والنقد الاجتماعى الخفيف . انها معرض صور منوعة . ولا يحتاج الى الاطناب هذا الأديب المرهف الذى اعتاد تحليل النفوس وفطن الى الكثير من خباياها ، وانما تكفيه بضع صفحات ليلج فى صميم مأساة انسانية ، او ليكشف خطيئة أو وضعا من أوضاع النفاق ، دون أن تفارقه ابتسامة المتحدث اللبق الذكى .

ولنضرب مثلا واحداً : هاتان «تيريز» و «نادين» تتنازعان أوراق الرجل الذى توفى أخيراً ، وكان زوجا لهذه ثم تلك ، فقد طارت شهرته ، واهتم الجيل بنشر مؤلفاته ومذهبه الاصلاحى . . ثم يتلاشى خصامهما فجأة ، بل وتسكنان معا لتتعاونا فى تلفيق سيرته وزخرفتها ، عندما تلوح «هوليوود» بآلاف الدولارات لاخراج فيلم عن حياة الرجل العظيم !

وفى الكتاب خمسون قطعة فنية من هذا القبيل ، سريعة العرض ، رقيقة اللذع ، كل منها درس فى اتقان القصة القصيرة يحسن بأدبائنا الناشئين أن يتأملوه وأن ينتفعوا به .

## الأرستقراطيون الجدد LES NOUVEAUX ARISTOCRATES

تأليف : ميشيل دى سان بيير (Par Michel de Saint Pierre)

وهذه قصة طويلة ، مؤلفها اسم لامع فى عالم الرواية ، وموضوعها ثورة الشباب المعاصر وحيرته . وما أكثر ماتحدث الكتاب عن انحراف الشباب ، وما أكثر ماتحدث الشباب عن انحرافهم — والعهد غير بعيد بقصص « فرانسواز ساجان » الاولى — غير أن « ميشيل دى سان بيير » لا يتخذ من هذه المادة القاتمة وسيلة لتلهية القراء ، ولا يتناولها تلبية لحب استطلاع خبيث ، بل يواجه مشكلة الجيل الناشىء واصطدامه بفساد الأوضاع التى خلفها له الجيل الذى سبقه .

وفى القصة بطلان : تلميذ فى السابعة عشرة من عمره يوشك أن يتم دراسته الثانوية ، ينحدر من عائلة غنية أدت الثروة فيها الى انحلال أخلاق الآباء واكتفائهم من الفضيلة بمظاهر كاذبة ، وتدفعه النقمة الى العبث مع رفاقه فى كهوف الحرام ، ولكن هذا العبث لا يشفيه ولا يعيد اليه التوازن الذى يلتمسه ، وانما هو اضطراب صبيانى لا يجد نحوه بعد أن تمادى فيه الا نفورا يعادل نفوره من نفاق أبيه . وأما البطل الثانى فهو أستاذ الفلسفة فى المدرسة ، رجل ناضج الفكر ، مرهف الضمير ، قوى العزيمة ، يريد أن يقود تلميذه هذا العنيد الى جادة الحياة . وفصول القصة هى فصول الصراع العنيف بينهما . وكلاهما نفس أبية ، ممتازة ، لا ترضيها الحلول السهلة ، ولا تتهرب من الحقائق . ومن هنا كان معنى « الارستقراطية » فى العنوان .

والمؤلف لا ينحاز لهذا البطل أو ذاك ، بل يعرض تلك الملحمة عرضا موضوعيا ، وان كان لايكتم رأيه ، وهو أن الشباب تعوزه تربية عامة جامعة ، تنبع من القيم الروحية

الحية، وتنمى صفاته الأخلاقية ، بدلا من هذا التعليم المفتت فى جزيئات مواد جافة متباينة ، تباين الجغرافيا والنحو والكيمياء والهندسة .. !

ولا شك فى أن جميع من احتكوا بشبابنا ومشكلاته فى مختلف مراحل التعليم يقدرون هذا الرأى حق قدره .

**دستويفسكي DOSTOIEVSKY**

تأليف : هنرى ترويا

(Par Henri Troyat)



المؤلف : هنرى ترويا

ضمت الأكاديمية الفرنسية « هنرى ترويا » فى العام الماضى الى أعضائها « الخالدين » . ولهذا الاديب الذى لم يتجاوز الخمسين من عمره آثار شامخة فى القصة الطويلة ، وما زالت أجزاء قصته الضخمة « البذار والحصاد » تطلع على القراء منذ سنة ١٩٥٣ . ولعله ورث طول النفس من عمالقة القصة الروسيين .

ذلك أنه روسى المنبت ، ولد فى موسكو ، وفارقها صبيا فى الثامنة من عمره عقب نشوب الثورة . وفى باريس ، أشرب الثقافة الفرنسية ، ونبغ فى الكتابة ، وأصبح خير من يتحدث عن الأدب الروسى . لقد نشر سنة ١٩٥٩ كتابا عن « الحياة اليومية فى روسيا فى عهد القياصرة الأخيرين » ، وله قبل ذلك كتاب عن « بوشكين » وآخر عن « دستويفسكى » .

وكتابه هذا عن « دستويفسكي » ـ الذى ظهر الآن فى طبعة جديدة مزيدة ـ لا يقتصر على سرد أحداث حياة هذا الأديب العظيم الذى تأثر به أكثر أدباء عالمنا الحديث ، بل يمزج بفصول حياته فصولا من قصصه ، وينتقل من شخصيته الى شخصيات ابطاله ، ويبين الصلة الوثيقة بين الفنان وعمله . وهكذا يتسع سطح الصورة المرسومة ، فتشمل ـ الي جانب ملامح فرد نميزه هو «دستويفسكى» ـ معالم بيئة عريضة ، وعصر بأكمله . انه مرجع خصب لمادة خصبة .

## الأرض وجوع الناس

تأليف : ادوار بونفو

LA TERRE ET LA FAIM DES HOMMES
(Par Edouard Bonnefous)

جوع الناس فى الارض مشكلة رهيبة : تهدد مصير العالم ، وتنذر المتشائمين بالحرب . لقد بات « الجوع » يشغل أذهان المفكرين بصورة ملحة . وما أعجب الصيحات التى دوت فى جنيف ـ وهى من عواصم الرخاء ـ حول مؤتمر ثقافى دولى ينعقد فى جامعتها فى أوائل سبتمبر من كل عام ، وكان موضوعه الاخير : « الجوع » .. وقد تكلم فى تلك الندوات الهامة علماء الطب والاجتماع والاقتصاد الذين أقبلوا من الشرق والغرب ، ورددت



المؤلف : ادوار بونفو

الصحافة السويسرية دعواتهم ، واهتز لها الرأى العام . وكانت خلاصة المناقشات انه ينبغى تنظيم حملة واسعة النطاق لمكافحة الجوع فى جميع اطراف الارض ، لا عن طريق المساعدات المرتجله — وان صدرت عن قلوب رحيمة — بل تنفيذا لخطة علمية دقيقة الدراسة لا تثمر بدونها الجهود .

واليوم ينشر الباحث الفرنسى « ادوار بونفو » كتابه هذا ، وفيه تتجاوب أصداء ما سمعناه فى جنيف . وهو يعالج فى اطار واحد شامل ، العلاقة بين سرعة تكاثر السكان وبطء نمو الموارد الغذائية ، ذلك الموضوع الذى درسه باحثون مختلفون قبله دراسات جزئية فى بلاد متفرقة . وهذه المشكلة قائمة لا فى مناطق افريقيا وآسيا المكتظة فحسب ، بل فى أمريكا وروسيا أيضا ، وفى أوروبا التى تعانى بعض أقاليمها اختلالا بين الانتاج والاستهلاك ، رغم ما يبدو لنا من تقدم الوسائل فيها .

والمؤلف متفائل ، يؤمن بالنماء المقبل ، والرخاء الذى سوف يعم الارض اذا عولجت هذه المشكلة علاجا حكيما ، يرسم لنا بعض اتجاهاته ؛ فليست الحرب هى خير سبيل للقضاء على الجوع بالقضاء على الجائعين .. والكتاب مزود بالخرائط والبيانات والاحصائيات التى اعتمد فيها الباحث على منشورات المنظمات الدولية .

## النشاط المسرحى .. على ضفاف السين

### حول « كردينال اسبانيا »

• **على أثر** النجاح الكبير الذى حازته مأساة «مونترلان» الجديدة ، « كردينال اسبانيا » ، ( التى قدمناها لقراء العربية فى العدد الماضى من « كتابى » ) — وهو النجاح الذى

تنبأ به كثير من الأدباء والنقاد ـ انعقدت فى مسرح «الكوميدى فرانسيز» ندوة طريفة ناقش خلالها نخبة من أهل الفكر والفن هذا العمل الممتاز ، وشهدها جمهور حاشد .

وافتتح الندوة « اندريه مورا » ، فتحدث عن مكان «الكردينال سيسنروس» ـ بطل المأساة ـ فى تاريخ اسبانيا . وختم حديثه الطلى ببضعة أسئلة لا تخلو من لذع ، أجاب عنها ـ بلباقة ـ « الأب جوبيت » مدير معهد الدراسات الاسبانية ، فأقر ان « سيسنروس » كان من أعظم رجال عصره ، وأجلهم أعمالا ، وأنه تاق مخلصا الى اعتزال الدنيا ، وبين أن « مونترلان » وهو يقدم صورته قد بالغ فى تظليلها وفى تضخيم بعض ملامحها ، الا أنه لم يتنكر لحقيقتها وجهد فى نقلها بأمانة .

ثم شرح « هنرى جوهييه » أستاذ الفلسفة بالسوربون فضل « مونترلان » على المسرح الحديث الذى تجتاز فيه « التراجيديا » ـ بمعناها الروحى القديم ـ أزمة تكاد تحطم أركانها . وما أجمل أن يسمع الانسان المعاصر دعاء ينبعث من أعماق النفس ! واستأنف الفيلسوف الفنان « جبرييل مارسيل » علاج الفكرة ذاتها ، بنظرات واعية فى تطور المسرح ، فنعى على المدرسة « الرومانتيكية » فصلها بين الدراما والمأساة ذات الصبغة التاريخية ، وأكد أن « كردينال اسبانيا » تحفة مسرحية رائعة .

وبعد أن ألقى « بيير ديكاف » كلمة أظهر فيها اعجابه بأدب « مونترلان » ، وكيف أدخل مسرحياته الى برامج « الكوميدى فرانسيز » ، أدى ثلاثة من ممثلى الفرقة بعض مشاهد المأساة التى تصور ما أثير من الآراء .

• ونشر « مونترلان » نفسه مقالا بديعا يحلل فيه مسرحيته ، هذه خلاصته :

أوجه الصراع فى « كردينال اسبانيا » أربعة : صراع بين « سيسنروس » والملكة « جان المجنونة » ، وصراع بين الكردينال وحفيد أخته الذى يستخدمه قائدا لحرسه ، وصراع يدور فى قلب الكردينال بينه وبين نفسه ، وصراع مثله يتقاسم وجدان قائد الحرس .

وأهمها الصراع الدائر فى قلب الكردينال بين العكوف على شئون الدنيا والزهد فيها ، قد أذكت جذوته الملكة جان بانصرافها عن الحياة الى تأمل الموت . ولكن زهد الملكة



على مسرح الكوميدى فرانسيز : «لويز كونت» فى دور الملكة المجنونة ، و «هنرى رولان» فى دور كردينال أسبانيا

زهد سلبى ، وأما زهد رجل الدين ـ أيا كان دينه ـ فعزوف عن الارض ونزوع ايجابى الى حياة أخرى ، خير وأبقى .

ويفضى الينا المؤلف بأنه كان يتمثل هذا الصراع محتدما على أشده منذ بدأ فى كتابة المسرحية سنة ١٩٥٥ حتى انجزها أخيرا وسلمها الى المطبعة . وبابتعاده عنها الآن . أصبح يرى هذا الصراع وقد صغر وتضاءل ، كما ينظر الواقف على جبل مرتفع الى جيشين يتحاربان فى الوادى فيبدو له أنهما جيش واحد تضامت صفوفه . وهكذا يخيل لمونترلان اليوم أن الذى يدور فى نفس الكردينال ليس صراعا طاحنا ، وانما هو أسف يخامره اذ يلمس أنه وقف على العالم معظم نشاطه وجهده ولم يفسح لتأملاته الروحية مجالا أوسع . ومن ردود « سيسنروس » على الملكة أنه بقدرة الله يوفق بين ما تتطلبه منه سياسة العباد وما يجب عليه لرب العباد . ويورد « مونترلان » من مذكراته هذه العبارة : «ان المسألة التى تعنينا هى الجمع بين العمل والاضراب عن العمل فى حياة متكاملة » ، وما كتبه سنة ١٩٣٥ : « ينبغى الاحتفاظ بكل شىء مع تنسيق الاشياء وتقدير النسب التى يتركب منها المجموع » .

ويختتم الأديب الكبير مقاله بسطور حكيمة ، فلعله قد أخطأ الرأى ، ولعله سيرى غير ذلك بعد انقضاء بضعة أسابيع . « وليس للاشياء من واقع الا ما نخلعه نحن عليها بتسليط أضواء مختلفة متوالية » .

## « هتلر» فى المسرح القومى الشعبى !

• عاد الفنان الكبير « جان فيلار » ، وهو على رأس «المسرح القومي الشعبى» الذى يحتل قاعة « قصر شايو » الضخمة، الى آثار الكاتب الالمانى المعاصر«برتولت بريشت» .

والمعروف ان « بريشت » قد وقف حياته على المسرح ، وجدد مادته وأغراضه ، واتخذه أداة فنية لتبصير الانسان بقوى الشر التى تريد أن تطغى عليه وتستعبده . و «بريشت»



زوجة «بريشت» ، الممثلة «هيلين فيجيل» ، فى دور «الام» الذي تتقنه



«أرتورو وى» ـ شبيه هتلر ـ فى مشهد من إخراج «بريشت» ومن تمثيل فرقته «المجموعة البرلينية»

متفائل . يؤمن بمستقبل للانسـانية سعيد ، ولكن بعد
انتصارها على أكاذيب المضللين ، وتفوق العدالة الخليقة
تصلح أمور المجتمع . ولذلك عادى النازية وتفنن فى نقدها
واضطر الى الفرار من ألمانيا سنة ١٩٣٣ . وبعد أن جا
شمال أوروبا ، استقر فى كاليفورنيا ، حيث واصل كتا
مسرحيات لم يحفل بتمثيلها الا بعض الهواة وعدد من طلا
الجامعات. واستطاع أن يعود الى وطنه عام ١٩٤٨ . وهنا
أسس ، مع زوجته الممثلة الممتازة « هيلين فيجيل » ، فر
سـماها « المجموعة البرلينيـة » ، وتولى بنفسـه اخر
مسرحيـاته . ولقد أصـبحت « المجموعة البرلينيـة »
بتخصصها واتقانها ـ أقوى مسارح أوروبا اليوم !

ومسرحيـة « بريشت » التى قدمها « فيلار » لجمهو
البارىسى منذ أسابيع قليلة ، تروى قصة هتلر ، وصعو
من الحضيض الى القمة ، وفصـول سيطرته الرهيبة الت
كادت تفير معالم الانسـانية . وبطل المسرحيـة لا يدع
« هتلـر » ـ وان كان يسـتعير فى كثير من الدقة شك
وحركاته ـ بل يدعى « أرتورو وى » (Arturo Ui) ، و
ليس زعيما سياسيا بل رئيس عصابة من لصوص شيكا
يستفحل شرها شيئا فشيئا . وفى ختام الاحـداث يهيب
ممثل بالجمهور ، داعيا القوم الى اليقظة والحذر ، حتى
يتاح لمثل هذا الطاغية أن يسـيطر عليهم ويتجبر . وتل
عبارات تثير الحماسـة فى أفواج النظارة ، وقـد جـدد
مشاهد المسرحية نقمتهم على ما ينكرون من ذكريات .. و
أنهذه المسرحية قد اغضبت ـ بمضمونها الكريه، وباسلو
المثير ـ فريقا من النقاد يأبون على فن المسرح أن ينزل ا
مستوى الدعاية المباشرة والهجاء السافر ..

## فاعلة خير .. من الصين

• **ويقـدم** « مسرح ريكاميه » ـ وهو مسرح صـغير وضعته الدولة منذ العام الماضي تحت اشراف «جان فيلار» أيضـا ، ليكون حقلا للتجارب الفنيـة الجديدة ـ مسرحية أخرى من أدب « بريشت » ، لا شك فى أنها أرقى واعمق من « أرتورو وى » .

وهى مسرحيـة طويلة ، زاخرة بالمعـانى والعبر ، حافلة بعديد من الشخصيات والمشاهد . وقـد استوحى فيهـا المؤلف أسطورة صينية طريفة ، تروى كيف مضى ثلاثة آلهة للبحث فى العالم عن انسان طيب ، يحقق مبادئهم ، ويبرر ـ بالتزام جانب الخير والمعروف ـ وجود هذا العـالم .. فهل سيجدون ضالتهم ؟ ومن يكون ذلك الانسان الصالح ؟

تبدأ المسرحية بلقاء الآلهة الثلاثة ، وهم فى طريقهم ، برجل سـقاء هو « وانج » ، سرعان ما يفطن الى شخصيتهم ، فيقودهم الى كل من يتصف بالصـلاح من أهل البـلدة ، ويلتمس لهم ـ دون أن يكشف عن حقيقتهم ـ محسنا يرضى ان يؤويهم فى بيتـه بدون أجر . ويرفض جميع المحسنين ، فيواصل السقاء بحثه حتى ينتهى به المطاف لدى مومس تدعى « شنتى » ، هى التى تقبل الرجاء وتضيف المغتربين الثلاثة . انها اذن صاحبة النفس الطيبة الوحيدة فى مدينة سى تشوان ) !

ويترك لها أحد الآلهة ـ قبل رجوعهم الى السماء ـ مبلغا من المال عرفانا بجميلها ، وتشجيعـا لها على متـابعة فعل الخير . وتستثمر « شنتى » هذا المال فى التجارة ، لـكى تعين بأرباحها المساكين الذين تعطف عليهم . على أنهـا قد اضطرت الى الـكذب يوم طالبتها مالكة الحـانوت الذى

استأجرته بضامن ، فزعمت أن ابن عمها « شويتا » يضمنها، وهو رجل لا وجود له . ولم يكن بد من تنكرها فى صورة ذلك الرجل الذى يتولى أمرها . وما أصعب تمثيل هذا الدور المزدوج على الممثلة التى تظهر تارة بمظهر المرأة الطيبة ، وتتقمص تارة أخرى رجولة « شويتا » الصارم الذى يحميها من طيبتها ، ويتدخل بشدته اللازمة لحسم المواقف كلما تأزمت . وما أكثر ما تتأزم المواقف حول «شنتى» ، فان أولئك البائسين الذين تمد اليهم يد المساعدة هم أول من يستغلونها ويختلسون مواردها لسد أعوازهم !

وتتعقد الأمور عندما تحب « شنتى » فتى متعطلا يريد أن يصبح طيارا ، وتتزوجه رغم تحذير « شويتا » الذى خبر هذا الطيار فوجده وصوليا لا ضمير له ، ثم تضيق به وتفارقه . ولكنها تنتظر طفلا . وعليها أن تكفل طفلها وان تشق له طريقا بين قوم لا يرحمون . وهنا تتشبث بشخصية الرجل العاتى « شويتا » ، وتوليه ادارة مصنع أنشأته ، فتنهال عليها الأرباح ؛ وتصم آذانها عن شكاة من تظلمهم . ويثور القوم على هذا الرجل البغيض الذى بات يحتل مكان ابنة عمه الطيبة، ويتهمونه بأنه قتلها ، ويقدمونه الى المحكمة !

وفى المحكمة يطلب « شويتا » أن يختلى بقضاته . وما أولئك القضاة سوى الآلهة الثلاثة . ويعترف « شويتا » المستبد بأنه « شنتى » المحسنة ، وأن ظروف العيش هى التى أخفت تلك النفس الكريمة وراء هذا القناع المنكر .

أفيعنى ذلك أن عالمنا فاسد الجوهر ، يقتل الخير بالشر ، ولا سبيل الى اصلاحه ؟ ان الآلهة القضاة ينطلقون الى السماء ، ولا يلقون الى « شنتى » الحائرة من جواب الا نصيحتهم القديمة بأن تفعل الخير ! وقبل اسدال الستارة ، يظهر ممثل فيوجه السؤال الى الجمهور ، لأن القصة على هذا

النحو مازال ينقصها الحل : أينبغى تغيير الطبيعة البشرية ، أم تغيير نظم المجتمع ؟

ولعل فى هذا التساؤل مايدلنا على شك يساور المؤلف فى قيمة المذهب الماركسى الذى اعتنقه . ومهما يكن موقف « بريشت » ، فان روايته هذه من أجمل آثار المسرح العالمى المعاصر .

## « طرطوف » بين موليير وأنوى .. وعثمان جلال

• يقال ان الأديب الفحل « جان أنوى » ، الذى يعرف قراء هذه المجلة بعض أعماله ( راجع عددى ٣٨ و ٨٩ من « كتابى » ) ، قد هم بكتابة مسرحية فكاهية عصرية تعالج موضوع « المنافق » على غرار مسرحية موليير الشهيرة « طرطوف » ( التى قدمها « كتابى » فى العدد ٣٠ ) . ولكنه ازاء روعة النموذج الذى وضعه نصب عينيه ، أحجم عن تقليده ، واكتفى بأن يخرجه اخراجا جديدا وأن يعلق عليه . وهذا ما يشاهده الباريسيون الآن فى دار ( كوميدى الشانزليزيه ) .

ولقد برع « أنوى » فى نقل مسرحية موليير من القرن السابع عشر الى القرن التاسع عشر ، فصور جوا من تلك الأجواء العائلية القائمة التى يتقن تصويرها . وليس « طرطوف » هنا رجلا من رجال الدين ، بل هو فتى غريب الأطوار تلتهمه العقد النفسية . ويؤدى هذا الدور الممثل الشهير « فرانسوا بريبه » أداء ينتزع الاعجاب .

وتعقب فصول موليير الخمسة قطعة تمثيلية من انشاء « أنوى » ، تعرض علينا ناقدا مسرحيا يعود الى بيته بعد تلك السهرة ساخطا على هذا الأسلوب فى اخراج تحفة الأدب الكلاسيكى المأثورة ، منذرا بمهاجمة هذا العبث بشدة فى

مقاله القادم . ويتطرق من نقد « أنوى » الى « نقد » موليير نفســه ، فهل يعبر موليير عن مشـاكل عصرنا ؟ وما الذى سيبقى من أدبه يوم يطأ أول رائد روسى سطح القمر ؟ بل ويتساءل : هل كان موليير معبرا عن عصره ، وعن حقيقـة مشاكله السياسية والاقتصادية ؟ وما قيمة موليير اذا قورن بأديب مثل « بريشت » الملتزم ؟ وأى نفع لمسرح بلا هدف ؟ .. وهكذا يفرغ الناقد الناقم شحنة غضبه . ومن خـلال حديثه الذى تتضارب فيه الحجج والمعانى ، تتسلسل ردود « أنوى » — بطريقة غير مباشرة — على من يتهمونه بالوقوف بعيدا عن المعارك التى يخوضـها جيلنا فى ميـادين الفـكر والسياسة، وبعدم ارتباطه بمذهب من المذاهب التى تتصارع اليوم لتصنع تاريخ الانسان الحديث . انه يسخر اذن من دعاوى بعض غلاة « الطليعة » . ولا يلبث الناقد حتى يرى — فى حلم — شخصيات مسرحية « طرطوف » الأصليين ، وقد ارتدوا ملابس القرن السابع عشر ، وهم يتولون الدفاع أمامه عن أسلوب الاخراج الجديد . وفى هذا كله متعة كبيرة للباريسيين الذين يتذوقون لذع التلميح ، ورشاقة التناول، وتفنن «أنوى» فى تأويل نص من تراثهم يعرفون أدق تفاصيله .

• **ويقال** ان فرقة المسرح القومى لدينا تنتوى الاشتراك فى مهرجان مسارح الامم الذى سـيقام بباريس فى الصيف القادم، بروايتين أحداهما « الشيخ متلوف » اى «طرطوف» موليير كما اقتبسها عثمان جلال رحمه الله منذ ثمانين سنة لجمهور ساذج قريب العهد يومئذ بفن المسرح ..

ولقد أصبحت مسرحية موليير بنصها الفرنسى — الذى لا بنى عن دراسته وتحليله الأساتذة والطلاب فى المـدارس والجامعات كل عام ، والذى يضـع أعلام الفن الفرنسى من كل جيل مواهبهم في خدمته ، للظهور به فى أروع الصـور —

مادة من مواد الترف العقلى لدى أهل باريس ورواد مسارحها من فرنسيين وأجانب .. فهناك ممثلون تخصصوا فى دور « طرطوف » وبلغوا فى اتقانه درجات عليا ؛ ولا أسمى هنا سوى « فرنان لدو » الذى كانت عودته الى أحضان « الكوميدى فرانسيز » منذ بضعة أعوام ، للنهوض بتمثيل « طرطوف » ، عيدا من أعياد تلك الفرقة العريقة . ترى ماذا سيكون وقع « الشيخ متلوف » فى نفوس الذواقين الذين اضاف «آنوى» الى ثروتهم الثقافية حول «طرطوف» ذخرا جديدا فى هذا الموسم ؟ .. اننى أخشى مقارناتهم بين شيخنا المتلوف وبين أصوله العديدة لديهم . وأخشى أن يغرينا النجاح الذى قد تناله فى القاهرة أزجال عثمان جلال .. فينسينا ان المصانع العالمية لا تصدر كل منتجاتها ؛ بل تحتفظ بصنوف معينة منها للاستهلاك « المحلى » .

---

## رسالة لندن

يقدمها : على شلش

ان كانت الكتب تخلق رجلا كاملا ، كما يقول الفيلسوف الانجليزى « فرانسيس باكون » ، فان لندن تخلق ، بدورها ، مكتبات بأكملها كل يوم . ذلك ان هذه المدينة الضخمة ، التى تعد من أهم مراكز العالم الثقافية ، تدفع الى السوق — يوميا — عشرات ، بل ومئات من الكتب الجديدة !

وقد صدرت فى الشهر الحالى طائفة متنوعة من المؤلفات ، حملت على أغلفتها عناوين متفرقة لموضوعات عديدة ، منها

ماهو طريف وجديد معا ، ومنها أيضا مايتطلب من القارى قدرا معينا من التخصص والوعى ؛ كما يرتبط الكثير منهـ بأحداث الساعة ..



المؤلف المخرج (( جان أنوى )) يلقى بتعليماته الى (( اديث سكوب )) عن دورها فى (( حلم ناقد ))



((فرانسوا بيرييه)) مع ((نيكول لانسون)) في مشهد من مسرحيـــــة
((طرطوف)) لموليير كما أخرجها ((أنوي))

## أثمن هدية على وجه الأرض !

**عندما** طاف الكاتب الأمريكى « جون جنتر » بالقارة الافريقية ، خرج من رحلته هذه بكتابه المعروف « داخل أفريقيا » ، الذى سجل فيه وضع الافريقيين المضطهدين كما لمسه بنفسه ، وقد اعترف فيه بأن أفريقيا هى « أثمن هدية على وجه الارض ! » .

وقد ظفرت هذه الهدية الثمينة التى شرع أصحابها الحقيقيون فى التشبث باستقلالها ، بأوفر قسط فى حصيلة المؤلفات التى صدرت فى العاصمة الانجليزية هذا الشهر . وقد برزت قضية الكونغو الى الصف الأول ، واستأثرت بجهود كثير من المؤلفين والمعلقين . ومن بين المؤلفات التى تعرضت لمأساة **الكونغو** هذا الكتاب الذى أصدرته دار « بنجوين » فى ١٧٤ صفحة بعنوان : **(( كارثة الكونغو ))** لمؤلفه : « كولين ليجم » .

وقد عرض المؤلف لتاريخ الكونغو بايجاز منذ رحلات « ستانلى » الاستكشافية حتى اليوم . وأشار الى موقف همرشولد والأمم المتحدة ، **وأوضح ثلاثة أخطاء رئيسية ارتكبتها الأمم المتحدة** . أولها : فشلها فى معالجة مشكلة كاتنجا ، وثانيها : فشلها فى معالجة الموقف العام فى البلاد ، وأخيرا فشلها فى التمييز بين حكومة لومومبا الشرعية ومنافساتها الأخريات الأقل شرعية . لكنه انتهى الى انه كان من الواجب أن تقف الأمم المتحدة موقفا أشد حزما وأكثر عزما على فض النزاع بطريقة سلمية تضمن للبلاد الاستقرار والسلام .

كذلك صدر عن دار « جولانسز » كتاب بعنوان **(( مأساة الكونغو ))** فى ١٦٠ صفحة ، عالج فيه مؤلفه « ريتشى كالدر »

القضية ذاتها ؛ وصور فيه مايحدث فى الكونغو بعد زيارته للاقاليم الستة . باعتبـاره ضمن موظفى منظمة الصحـة العالمية .

واذ نترك قضية الكونغو نجد عددا آخر من المؤلفات التى تعالج مشاكل القارة الافريقية ابتداء من الجزائر فى الشمال الى اتحـاد ولايات الجنـوب ، ومن اثيوبيا فى الشرق الى ليبريا فى الغرب . ومن هذه المؤلفات :

• **الثورة الأفريقيـة** ( ١٩٩ صفحـة ) بقـلم : جيمس كاميرون ــ دار تيمس وهدسون

• **الجزائر : العصيان والثورة** ( ٢٠٨ صفحة ) تأليف : جوان جيسبى ــ دار أرنست بن .

• **جنوب أفريقيا والرأى العالمى** ( ٦٨ صفحة ) تأليف : بيتر كالفوكورسى ــ مطبوعات جامعة أكسفورد

## « ايخمان » ذو الأنف المقوس !

**كذلك** شغلت قضية الموظف النازى « أدولف ايخمان » مطابع العاصمة الانجليزية ، فقد صدرت أخيرا أربعة كتب تعرضت لحياة الرجل .. وتمضى عناوينها كالآتى :

• **ايخمان : حيـاته وجرائمه** ( ٢٨٨ صفحـة ) تأليف « شارلز وايتون » .

• **القبض على أدولف ايخمـان** ( ١٨٢ صفحـة ) تأليف « موشى بيرلمان » .

• **وزير الموت** ( ٢٤٦ صفحة ) تأليف «كوينتين رينولدز» وآخرين .

• **الصياد** ( ٢٩٩ صفحة ) تأليف « توفيا فريدمان » .

وهكذا شغلت القضية أكثر من الف صفحة ، والملاحظ فى معظم هـذه الكتب ان مؤلفيهـا من اليهود ، وقـد عالجوا

الموضوع من وجهات نظر متعـددة ، تجمع فى النهـاية على ضرورة الانتقام من ايخمان !

والغريب فى امر ايخمان أنه لم يحظ فى حياته من قبـل بمكانة مرموقة بين زعماء النازية المعروفين ؛ فقد كان موظفا صغيرا لا يعرفه احد ، حتى ضحاياه أيضا لم يكونوا يدرون شيئـا عن حقيقـة أمره والدور الملقى على عاتقه ؛ والذى ينحصر فى افناء يهود أوربا ـ وقد كان يعتقد أن القضاء على اليهود يعادل فى الاهمية انتصار ألمانيا على الحلفاء . ومن الطريف فى أمره أنه يتميز بأنف مقوس لا يختلف عن أنف اليهودى ، مما جعل اليهود ينخدعون فى أمره فيحسبونه واحدا منهم .. وهكذا وجد ايخمان مهمته يسيرة هينة !

## أخبار أدبية قصيرة

• **صدر** عن دار « تامز وهدسون » كتاب بعنوان **« يقظة العرب »** من تأليف « فرانشسكو جابريلى » . وهو حلقة جديدة من سلسلة كتب الثورات الكبرى التى تصدرها الدار . وقد تتبع المؤلف ، الذى يعد حجة فى الشئون العربية ، تاريخ الحضارة العربية وانهيارها ثم يقظتها من جديد ، ملتفتا بصفة خاصة الى أحداث السنوات الستين الماضية .

• **ومن** مطبوعات جامعة اكسفورد الجديدة كتاب بعنوان : **« دافيد دافيز : مدير دعاية لنكولن »** ( ٣٨٣ صفحة ) الفه « ويلارد. ل. كنج . » وفيه قصة حياة الرجل الذى يدين له ابراهام لنكولن بالكثير ؛ فهو الذى وقف بجانبه فى معاركه السياسية حتى وصل الى كرسى رئاسة الجمهورية . وقد حافظ دافيز على صلته الوثيقة بأسرة لنكولن ، وظل نصيرا لافرادها بعد مصرع لنكولن ، اذ كان له فضل كبير فى شفاء « مارى تود » من الصدمة العصبية التى انتابتها على

اثر وفاة زوجها ، كما ناصر « روبرت » ابن لنكولن ، وجاهد الى جواره حتى تم تعيينه وزيرا للحرب في وزارة الرئيس « جارفيلد » .

وقد تعرض المؤلف فى هذا الكتاب الضخم الى جوانب كثيرة من حياة الرئيس الامريكي لنكولن ، كذلك قضى على بعض الشائعات التى تواترت عقب مصرعه ، مما يجعل الكتاب فريدا فى بابه .

• **صدر** عن دار « الن وانوين » كتاب جديد بعنوان : **« المسيح وفرويد »** من تأليف « آرثر جويردهام » .

• **ظهرت** فى السوق الانجليزية ترجمات كثيرة لكتاب فرنسيين وايطاليين والمان . وقامت دار بنجوين بطبع مؤلفاتهم بأغلفة برتقالية اللون . ومن بينهم : سارتر ، مالرو ، برخت ، ايزاك بابل ، كامى ، مورافيا .

• **أثارت** الكاتبة «وينفرد جيرين» أهتمام المثقفين الانجليز ومعلقى الصحف الأدبية بكتابها الجديد الذى ترجمت فيه لحياة « برانويل برونتى » شقيق الشقيقات « برونتى » الثلاث المعروفات فى عالم الأدب . وقد سبق لجيرين أن أصدرت ترجمة لحياة « آن برونتى » .

• **دارت** معارك أدبية حامية حول مسرحية جديدة أعدها « جون وايتنج » عن قصة لألدوس هكسلى ، وعنوانها : « الاشرار » . وسبب الخلاف ينحصر فى اعتقاد بعض المشتغلين بالمسرح بضرورة تحويل الآثار القصصية الممتازة الى مسرحيات ، بينما يعتقد البعض الآخر ان من الأجدى صرف الجهود الى التأليف المسرحى المحض .

والآن ، تعال نغادِر ( لندن ) كي نتابع الحركة الثقافية في .. نيويورك .

# رسالة نيويورك

يقدمها : على شلش

ولئن كانت باريس ولندن تتصدران مراكز العالم الثقافية، فان نيويورك لاتقل عنهما ، بل انها تبزهما فى بعض المجالات . ويكفى أن نذكر أن دور النشر الامريكية لها من النفوذ والامكانيات ما للهيئات الرسمية من نفوذ وامكانيات . بل ان نظام التفرغ الذى اخذت به وزارة الثقافة العربية ، وطبقته فى بلادنا ، تطبق مثيله دور النشر الأمريكية ، بعيدا عن الاجراءات الحكومية . ذلك أنها تقوم أحيانا بتكليف عدد من الكتاب والمفكرين ، كل حسب اختصاصه ، باعداد مؤلفات فى نواح تقترحها اللجان الثقافية بها . وتوفر لهم ، مقابل ذلك ، كل مايحتاجونه من مال فى حياتهم اليومية ، حتى يتفرغون لأداء مهمتهم .

وقد انتقينا لك عددا من الكتب التى صدرت فى نيويورك هذا الشهر ، نقدمها لك بايجاز فيما يأتى :

## الموهبة المجهولة ..

• **برانويل برونتى وعالمه الحافل بالعذاب** ( ٣٣٦ صفحة ) — تأليف : دافنى دى مورييه . عن دار ( دبلداى ) .

ما من أحد يجهل الشقيقات « برونتى » ، لكن القليلين هم الذين يعرفون عن هذه الأسرة الموهوبة أنها ضمت ، الى جوار عبقرياتها النسوية ، عبقرية أخرى تمثلت فى شخص شقيقهن « برانويل » .

ومن محاسن الصدف ، أو لعلها من دلائل المنافسة بين لندن ونيويورك ، أن يصدر فى شهر واحد كتابان يتناولان حياة هذه الشخصية التى خفيت عن الناس زمنا طويلا .

وقد أشرنا فى رسالة لندن الى الكتاب الاول . أما هذا الكتاب الذى صدر فى نيويورك فهو يعالج حياة هذا الفتى أيضا ، ويلقى عليها أضواء جديدة ، بل وتمتاز بأن كاتبته هى الروائية المشهورة « دافنى دى مورييه » مؤلفة القصة العالمية ( ربيكا ) ، وعشرات من القصص الاخرى المعروفة .

والواقع ان « برانويل برونتى » لم يكن أقل من شقيقاته حماسة للكتابة والخلق الفنى ، فقد عرف بغزارة الانتاج فى سن مبكرة ، حتى انه فاقهن جميعا عندما بلغ الحادية والعشرين من عمره ، اذ كان قد سطر بقلمه مخطوطات عديدة متنوعة فى المسرح والقصة والشعر . لكن هذا الانتاج الغزير لم ير النور للأسف ، فقد ظل طى الكتمان ، يعلوه التراب ، الى ان تنبه له الدارسون ونقاد الأدب .

وشخصية « برانويل » تمثل ، فى الواقع ، شخصيةالفتى



صوره نادره رسمها « برانويل برونتى » بريشته ، تمثل شقيقاته الثلاث وقد جلسن من حوله ، وتظهر فيها ((آن برونتى)) الى اليمين ،

المراهق ، المضطرب ، القلق ، المعذب النفس . ذلك أنه وجد نفسه ضائعا منذ نعومه أظفاره ، فجرفته رفقة السوء الى اللهو والعبث ، واستسلم فى النهاية للخمر والمخدرات ، حتى ضعف جسمه ، وأخذ يتحلل شيئا فشيئا ، الى ان توفى فى سن الحادى والثلاثين ، تاركا وراءه ثروة فنية ، لاتتمثل فى انتاجه فحسب ، وانما تتمثل أيضا فى انتاج شقيقاته اللواتى نهلن من عبقريته ، وشخصيته الملهمة الجذابة .

وتذكر مؤرخته عبارة قصيرة خلفها بعد وفاته . وهى رغم تركيزها وقصرها تلقى ضوءا على حياته ، بل انها تلخص هذه الحياة . يقول برانويل : « ان مامضى من حياتى فارغ وسخيف ، فأنا لم أفعل شيئا ، عظيما كان أم طيبا »

ومن الجوانب الهامة فى حياة هذا الفتى التعس أنه هوى الرسم أيضا فى صباه ، لكنه فشل فى الالتحاق بكلية الفنون الملكية ، كما فشل فى الوظائف الصغيرة التى التحق بها . والحق أن برانويل قد عاش حياته قلقا ، مهيض الجناح ، ولعله أيضا قد مثل الطراز الذى عاشه فتيان وربما بعد سبعين عاما فى فترة مابين الحربين ، مع اختلاف الظروف وتباين المشكلات . ولهذا يجد قارىء أعماله وتاريخه سمات حديثة كثيرا مايجدها فى أبطال الكتاب الوجوديين من أمثال سارتر وكامى ، وربما كيركجارد أيضا .

## الكاتب الأمريكى الذى يعشقه الروس !

• **لقاء فى الظهيرة** • ( ٣٦٠ صفحة ) ـ تأليف : ميتشل ويلسون ـ عن دار ( دبلداى ) .

رغم ان كاتب هذه الرواية غير معروف فى بلاده ، الا انه **يقرأ على نطاق واسع فى الاتحاد السوفييتى ، وهم يضعونه**

هناك على قدم المساواة مع الروائى المعروف «همنجواى» !

وقد احترف ويلسون ( ٤٧ سنة ) الكتابة قبيل الحرب الثانية ، أثناء اعداده لرسالة الدكتوراه فى الطبيعيات من جامعة كولومبيا . وربح من كتبه التى ترجمت الى الروسية نحو ٢٠ ألف دولار ، بالاضافة الى ربحه من روايته الأخيرة الذى قدر بنحو ١٥ الف دولار . ومما يذكر انه قضى فى الاتحاد السوفييتى ستة شهور على نفقته الخاصة قبل أن يكتب روايته هذه ، وكان قد تعلم اللغة الروسية قبل مغادرته لبلاده .

وبطل رواية ويلسون عالم أمريكى لامع من علماء الطبيعة والذرة ، سافر الى موسكو لحضور مؤتمر علمى . وهناك تعرف الى عالم روسى يعادله علما ومكانة ، لكنه لم يصل الى ما وصل اليه هو من انتصارات علمية . وارتحل رينيت ( وهذا اسمه ) الى القوقاز . ثم أحس بالحب يجرفه نحو فتاة روسية كانت تعمل سكرتيرة له . .

وبالقصة بعد هذا الحاح على أن العلم ملك للأمم جميعا ، بغض النظر عن اختلاف نظمها وعقائدها ، وانه ، أى العلم ، قد خلق لنفع الناس ، والعمل على اتاحة فرص السلام والطمأنينة أمامهم .

لكن لماذا يعشق الروس الكاتب الأمريكى ويلسون ؟ ولماذا احتفوا به ، وترجموا أعماله ، وقدموه فى برامج التلفزيون والاذاعة ؟ . . تجيب على هذه الأسئلة فتاة روسية تعمل فى السياحة بقولها : « انه يحيطنا علما بكثير مما لم نكن نعرفه عن أمريكا . وهو يجعل العلماء انسانيين فى طبائعهم ومعاملاتهم . فهم يغازلون ، ويقعون فى الغرام ، كما يهجرون ، ويقاسون عندما تقابل عواطفهم بالصد والهجر ، كما يهتزون طربا عندما يلاقون قبولا . . انهم مثلنا . »

## أخبار أدبية قصيرة

• **على رأس** قائمة الكتب التى تجد رواجا كبيرا هذا الشهر قصةللكاتب شوارز بارت عنوانها : « آخر العادلين »

• **من بين** الكتب التى تقرأ الآن فى أمريكا هذه العناوين :

**« منتصف القرن »** : رواية من تأليف الروائى المعروف « جون دوس باسوس » . وتعد أعظم رواية كتبها بعد ثلاثيته الأخيرة : « الولايات المتحدة الامريكية » .

• **« المقاومة والعصيان والموت »** : كتاب للاديب الفرنسى الذى لقى مصرعه فى العام الماضى : « ألبير كامى » ، وقد عالج فيه مشكلة الجزائر ، وموضوعات أخرى .

• **صدرت** عن دار ( هاربر ) رواية جديدة ممتعة بعنوان « قضية جوفيه » فى ٤٣٤ صفحة ، للكاتب الالمانى المغمور « يواكيم ماس » ( ٦٠ عاما ) . ومما يجدر بالذكر ان كتابة هذه الرواية قد استغرقت منه ثلاثةعشر عاما . وقد أخذها مؤلفها عن جريمة وقعت بباريس عام ١٨٨٩ ، قتل فيها باريسي يدعى « جوفيه » ، وكانت قد أوقعت به غانية حسناء تدعى « جابريل بومبار » ، بمساعدة شريك لها ، فحكم باعدام الشريك ، أما هى فأخلى سبيلها ! .. واذ ذاك هاجرت الى أمريكا : حيث تعقبها زوج شقيقة القتيل ، كى يقتص منها .. لكنه لم يلبث ان وقع فى هواها ، وفى النهاية خدعته مع فتى رقيع من فتيان المزرعة ! .. وهنا يحاول أن يعزى نفسه بقوله : « ان الذئبة « ديمقراطية » ، لايهمها السن ، ولا المركز ، ولا الثراء .. مادامت تستطيع ان تلحق الاذى بالرجال ! »

# من الكتب العربية

## سيكولوجية المقابلة

تأليف : والتر فانديك بنجهام وبروس فيكتور مور
ترجمة : فاروق عبد القادر وعزت اسماعيل
ومراجعة : الدكتور مختار حمزة
الناشر دار النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، ١٩٦١
عدد الصفحات ٣٢٨

## تقديم : الدكتور محمد توفيق رمزى

دعاني زميل فى احدى الوزارات لمعاونته فى مقابلة الناجحين فى الاختبار التحريرى لشغل الوظائف الخالية باحدى ادارات تلك الوزارة . وأذكر أن عدد الناجحين فى الامتحان التحريرى العسير الذى عقد لهذا الفرض كان حوالى الاربعين من بين أكثر من مائتى مرشح مستوف للشروط ، وكانت الوظائف الخالية لاتزيد على سبع وظائف .

وكان علينا أن نفكر فى القواعد التى سنبنى عليها مقابلتنا لكل فرد من المرشحين الاربعين ، بحيث يكون وزننا للجميع فى اطار عام واحد من المعايير والمقومات ، توخيا للعدالة وخدمة للصالح العام باختيار أكثرهم استحقاقا ومواءمة للوظائف المطلوبة . وأذكر اننا قررنا أن نعطى درجة لكل سمة من السمات التى اتفقنا على ادخالها فى تقدير الشخصية ، وان نضيف درجة الاختبار الشخصى الناتج عن المقابلة الى الدرجة التحريرية ، بشرط الا نطلع على الدرجة التحريرية الا بعد نهاية المقابلة مع الطالب واعطائه تقديرا بعيدا عن التأثر بما أثبت من جدارة فى أجاباته التحريرية . وأن نرتب

المرشحين فى النهاية بالتدرج من أعلى الى أسفل حسب المجموع العام لكلا الامتحانين .

يظهر من هذا المثل الواقعى ان المقابلة أو بعض المقابلات على أقل تقدير يمكن أن تعني فى حياتنا الفرق بين النجاح والفشل فى تحقيق أهدافنا فى الحياة ، وبالتالى لها هذا التأثير الفعال فى حاضرنا ومستقبلنا .. بل لايستبعد أن حاضرنا هذا قد تأثر الى درجة ما بما واجهنا من مقابلات سابقة لتحقيق ما كنا نرمى اليه من أهداف ، سواء أكان ذلك للحصول على وظيفة ، أو لاقناع الآخرين بوجهة نظرنا ، أو لادلائنا بشهادة تمس الغير أو تمسنا .. الى آخره من المناسبات العديدة المتباينة التى تواجهنا الحياة بها .

**ويعد الناس أنفسهم للمقابلة بوسائل عديدة** : البعض منها يقوم على أساس من علم وفن ، والبعض منها يقوم على خرافات أبعد ما تكون عن وسائل العلم وان كان الدافع اليها لايخلو من ذكاء ، وقد نرمى بالجهالة الرجل الذى يحمل حجابا أو طلسما لكى يكون فى وجهه قبول عند مقابلاته ، ولكن علينا أن نعترف بأن ذكاءه الفطرى قد دفعه الى تقدير أهمية ما يترتب على هذا القبول من نتائج ، حتى وان كانت الوسيلة التى لجأ اليها لاتمت الى العلم بصلة أكيدة .

**وللمقابلة مدلول** يكاد يكون له شبه الاجماع عند النفسيين والتربويين والاجتماعيين ورجال الاعمال ، فليست كل محادثة مقصودة أو عابرة بين اثنين بمقابلة ، انما المقابلة هى « المحادثة الجادة الموجهة نحو هدف محدد ، غير مجرد الرغبة فى المحادثة لذاتها » . والمقابة لاتنحصر فى مجرد الكلام بين الموجه للمقابلة والعميل ، وانما تدخل فيها وسائل اخرى تقوم على الاتصال المباشر ، منها : خصائص الصوت ، وطريقة

الالقاء ، وتعبيرات الوجه والعينين ، والهيئة ، والايماء ، والسلوك العام ، والتصرف خلال المقابلة ، كل هذه عوامل مؤثرة فى الحكم ، الى جانب الموضوع الذى من اجله أعدت المقابلة .

**ونظرا لما وضح من أن المقابلة تقوم بدور يزداد أهمية فى حياتنا الحديثة** التى تتطلب كثيرا من الاتصالات الشخصية وتتأثر بها ، لذلك كله فقد قام الباحثون العلميون والنفسيون بالذات بتكريس الجهد لدراسات علمية منطقية فى موضوع المقابلة .

والكتاب الذى نقدمه هنا هو احسن ما قرانا فى الموضوع، اذ ان مؤلفيه « بنجهام ومور » كرسا جهدا كبيرا امتاز بعمق التفكير وأصالته فى معالجة الموضوع من جميع نواحيه ، كما وضعا خلال الاعوام الثلاثين التى انقضت منذ تأليفهما الكتاب ، نتائج بحوثهما موضع التجربة فأثبتا نجاحا يشجع على اتساع نطاق التطبيق ومساندة ما جاء بهذا الكتاب من نظريات وارشادات تفيد كل من يلجأ الى المقابلة كوسيلة لتحقيق أهدافه .

وبديهى أن البعض من هؤلاء قد وضع لنفسه خطة ـ شعورية كانت أو لاشعورية ـ للنجاح فيما يرمى اليه من وراء مقابلاته ، وأن تجاربه العديدة قد دلته على الطرق الفعالة المؤدية الى نجاحه فيما يرمى اليه ، بل أن معيار النجاح هو النجاح نفسه، وان تباينت المهن وأوجه النشاط . ومنها على سبيل المثال : الباحث الاجتماعى ، وصاحب العمل ، وطالب الوظيفة ، ورجل الصناعة والاعمال ، والتاجر ، والبائع ، والطبيب ، والنفسانى ، والسياسى ، والدبلوماسى ، والمحامى ، والمستشار القانونى ، والمستشار الفنى ، وضابط البوليس ، والمحقق ، والمدرس ، والصحفى .

كل هؤلاء تؤثر فى مقاديرهم أساليب المقابلة الناجحة ، وربما كان صحيحا اذا قلنا ان أى انسان راشد مهما تواضع عمله أو وظيفته يؤثر ويتأثر ببعض المقابلات حتى وان لم تكن جزءا من نظام عمله ، أو وسلية من وسائل زيادة فعاليته .

ولقد تناول الكتاب معظم الأغراض التى من أجلها تقوم المقابلة . كما أوضح الكثير من المزالق التى ينبغي تلافيها ، وذكر العوامل المعقدة المتعددة التى تؤثر فى كل المقابلات سواء أكانت واضحة أم غامضة ، وشرح بجلاء ومقدرة الدوافع لتعبيرات الارتياح والوجوم والاتجاهات والسلوك الانفعالى خلال المقابلة ، وأوضح كيف يمكن التغلب على المواقف الصعبة خلال المقابلة .

**وللمقابلة الشخصية وظيفة من ثلاث وظائف رئيسية :**

فهى تستخدم للتأكد من المعلومات ، وللارشاد ، وللتأثير **أو الدفع والحفز . ويرتبط بالوظيفة الاخيرة ارتباطا وثيقا بالاستخدام العلاجي للمقابلة فى مساعدة شخص على ان** يخفف عن نفسه ويتغلب على الانفعالات النفسية التى تراكمت وتعقدت حتى أخذت دورا مرضيا يهدد ببعده عن الاتزان والصحة العقلية .

وأوضح الكتاب أن الفكرة الشائعة عن أن القائم بالمقابلة يجب أن يتصف بالدهاء والحيلة وأن يضع نفسه موضع المحقق أو المدرس أو الواعظ أنما هى فكرة خاطئة ، وأن أنجع السبل لتحقيق النجاح هى صفات الكياسة وعمق التفكير مع جلائه والاستمساك دائما بمبدأ الصراحة والوضوح ، فتلك هى الأسس المؤدية الى التفاهم المتبادل والى تفتح عقل العميل ونفسه واظهاره لمكنونات نفسه .. وأوضح ايضا بنفس الجلاء **خطأ الانطباع الذى شاع فى أذهان الناس امدا**

**طويلا بأن التنبؤ بسلوك الناس ومقدرتهم أمر ميسر بمجرد ملاحظة شكلهم الجسماني وملامحهم ، كافتراض ان الفك العريض يعنى الاصرار وقوة الارادة ، وعكسه يعنى الضعف والتردد** ، الى غير ذلك من النظم التى شاعت عن الفراسة فى تحليل الشخصية والتى قامت على وجود عوامل ارتباط بين السمات العقلية والخصائص الجسمانية وشكل الجمجمة واللون وتفاصيل الملامح . وهذه وان كانت وسائل لايعتمد عليها العلم الحديث الا انها كانت محاولات شبه علمية لجأ اليها المفكرون فى محاولتهم للوصول الى الحقيقة بالوسائل التى كانت ميسرة لهم فى وقتهم ، لذلك لا يجوز لنا أن نهمل هذه المحاولات الدراسية شبه العلمية وأن نقول انه لاتوجد على الاطلاق خصائص خارجية للجسم أو للوجه أو للرأس يمكن بها الحكم بمقياس دقيق على القدرة العقلية أو السمات الاجتماعية للشخص ، ولكن يبدو أن من الأسلم أن نقول انه لاتوجد خصائص تشريحية محددة للجسم او لأى عضو به يمكن بها تقدير خصائص أو سمات الشخصية بتلك الدرجة من الدقة التى يتطلبها العلم الحديث ، ومن الخير أن يركز الباحث العلمى على دراسة السلوك الحقيقى كأحسن قائمة للشخصية ، واستخدام المقابلة كوسيلة للملاحظة والتحقق من سمات السلوك التى يود أن يتكشفها ، ولتحقيق ذلك كله نصح المؤلفان أن يستمسك القائم بالمقابلة بأهداب الاتزان النفسى والحياد والبعد عن الافكار المتأصلة أو المترسبة فى عقل القائم بهذه العملية الهامة .

وقد عالج الكتاب فى صفحاته التى تزيد على الثلاثمائة **الاغراض** التى يثبت فيها ويتيسر لها استخدام المقابلة .. **والحاجات** فى البحث عن الحقائق التى يمكن أن تفيد فيها المقابلة أحسن من غيرها من المناهج الأخرى المتاحة ..

**والمساعدات** الخاصة التى قام بها كل ميدان من ميادين المقابلة لفهم وضبط المقابلة فى عمومها .. **ومبادىء المقابلة** التى يمكن صياغتها .. **والقواعد الخاصة** التى يمكن وضعها مثل تلك التى تحكم أسلوب الاسئلة حتى لا تكون غامضة أو مضللة .. **والاخطاء الشائعة** أو « مطبات » المقابلة ، والاحتياطات التى يجب اتخاذها لتجنب ذلك .. **وأخيرا** كيف يمكن للقائمين بالمقابلة أن يدربوا أحسن تدريب أو يدربوا أنفسهم لكى يحققوا بنجاح الاعمال التى سيقومون بها .

وان المترجمين ، وكلاهما من خريجى قسم الدراسات النفسية، قد بذلا جهداً موفقا مشكورا فى نقل أفكار المؤلفين بصدق وجلاء وسلاسة فى التعبير مما يكفل أن يفيد هذا الكتاب قارىء العربية كما أفاد الأصل بالانجليزية أبناء ثقافتها .

---

# استقاء الانباء فن

( صحافة الخبر )

**تاليف : ستانلى جونسون ، جوليان هاريس ـ ترجمة : وديع فلسطين ـ تقديم : محمد زكى عبد القادر ـ الناشر : دار المعارف ، بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين**

مما لا شك فيه أن الصحافة ظاهرة حضارية فى القرن العشرين، يجب تنبيه الاهتمام اليها. وهذه المهنة لايجب أن نمارسهابالاحساس بل يجب أن نحصلها بالمعرفة والدراسة..

والكتاب دراسة هامة فى هذا المجال تشرح بالتفصيل كيفية استقاء الخبر وعرضه وتقديمه للجمهور بأحسن صورة .. وهو لا يقف عند الحدود النظرية بل يهتم بكل المشاكل العملية التى تعترض الصحفى .

ومؤلفا الكتـــاب : الأول كان أستاذا للصـــحافة بجامعة نيسى ، والثانى كان أستاذا بنفس الجامعة وهو يعمل الآن مديرا لادارة العلاقات العامة ..

وقد زاد هذا الكتاب قيمة فى ترجمته العربية ، أن تفرغ له الأستاذ وديع فلسطين الأديب والصحفى المعروف ، فقد جاءت ترجمته دقيقة تتابع النص الأجنبى متابعة امينة .

وقد قدم الكتاب الصحفى القدير محمد زكى عبد القادر ، ويكفى هذا الاسم حتى نتبين ما للكتاب من اهمية .. ويقع الكتاب فى ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير ، وثمنه ٧٠ قرشا


مكتبة بالتقسيط
تقدم
لك .... ولأولادك ..
مكتبة كاملة
دار الأدباء
تضم نخبة ممتازة
من كتب :
الأدب والعلوم والتاريخ
والسياسة والقانون
والبطولات والوطنية
وكتب الأولاد ....
بجميع اللغات
بالتقسيط المريح
تقدم فورا .. واملأ الاستمارة الخاصة
١١ شارع طلعت حرب . القاهرة . تليفون ٧٩/٧٤١٧٨

ساطع الحصري
محاضرات
في
نشوء
الفكرة
القومية

# نشوء الفكرة القوميّة

في أوربا عامة .. وفي ألمانيا .. والبلقان .. وتركيا .. والبلاد العربية

للفيلسوف العربي المعاصر " ساطع الحصري "

تلخيص : زكي شنودة المحامي

## كتاب على مستوى عالمي !

هذا الكتاب القيم يضم مجموعة محاضرات القا
الفيلسوف العربي « ساطع الحصري » في قا
الجمعية الجغرافية بالقاهرة بدعوة من كلية الآدا
خلال عام ١٩٤٨ . وقد تناول فيها « نشوء الفكر
القومية » منذ أوائل القرن التاسع عشر في أوروبا و
في البلاد العربية ، ودلل فيها على أن « الفك
القومية» هي الأساس الطبيعي الذي تقوم عليه الدول
فالدولة التي لا تقوم على هذا الأساس لاتلبث أن
تنهار ، بينما الأمم التي تجمع بينها الفكرة القومية
لاتلبث ـ مهما باعدت بينها الاحداث والمطامع ـ أن
تتقارب ثم تندمج في دولة واحدة .

وكأنما كان ذلك الفيلسوف يتنبأ بظهور نجم بطل
القومية العربية جمال عبدالناصر ، حين بشر بهذا المبدأ
ودعا البلاد العربية الى اعتناقه ، فقد نادى في ختام
محاضراته البليغة بأن « الغلبة ستكون في آخر الأمر
لفكرة القومية العربية » .. وكأنه كان يعلم أن القدرة
الالهية تدخر للعروبة زعيما يظهر بعد أربع سنوات من
تلك النبوءة ، ويقود العرب تحت راية واحدة
ليجعل منهم أمة واحدة ، تجمع بين أبنائها ـ من الخليج
العربي الى المحيط الأطلسي ـ « فكرة القومية العربية

# نشوء الفكرة القومية

## قيام الدول على أساس الفكرة القومية

**منذ** عقد مؤتمر ( فيينا ) المشهور ، عام ١٨١٥ ، طرأ على
أوضاع أوروبا السياسية من التطورات مالم يسجل

التاريخ مثيلا من قبل : ففى مكان **السلطنة العثمانية** التى كانت تشغل القسم الجنوبى الشرقى من أوروبا ، نجد **ست دول** مختلفة . وفى مكان **عشرات الدول** التى كانت تشغل القسم الغربى الأوسط من أوروبا نجد **دولة واحدة هى المانيا** .. وفى أثناء ذلك **انقرضت امبراطورية النمسا** ، **وتكونت دولة ايطاليا** من عدة دويلات صغيرة .. كما تولدت دول عديدة على أساس الانفصال عن بعض الدول القديمة : فانفصلت **بلجيكا** عن هولندا ، **والمجر** عن النمسا، **والنرويج** عن السويد ، و **فنلندا** عن روسيا ، و **ايرلندا** عن انجلترا . كما استقلت **اليونان وبلغاريا ورومانيا وألبانيا** عن الدولة العثمانية . وتكونت ثلاث دول على أساس الانفصال من جهة والاتحاد مع جهة أخرى : فقد تكونت **يوغوسلافيا** من أراض كانت منقسمة بين الدولة العثمانية والامبراطورية النمساوية .. كما تكونت **تشيكوسلوفاكيا** من أراض كانت موزعة بين المانيا وروسيا والنمسا . وعادت **بولونيا** الى الحياة عن طريق استقلال واتحاد أجزائها الثلاثة ، التى كانت تحت سيطرة الدول الثلاث المذكورة .

وقد تمت جميع هذه التحويلات والانقلابات الدولية العظيمة خلال قرن واحد ، **وكان العامل الأساسى فى وقوعها هو نشوء « الفكرة القومية » ، وتغلغلها فى نفوس الشعوب . وأساس هذه الفكرة هو قيام الدول على أساس القوميات .**
وقد كان مفهوم الدولة قبل ذلك يرتبط بمفهوم « الملك » تمام الارتباط ، ومنفصلا عن مفهوم « الأمة » كل الانفصال . فكانت الدولة ملكا للملك ، تخضع لمشيئته خضوعا مطلقا لا يقيده أى قيد . ومن ثم كان لويس الرابع عشر ملك فرنسا يقول « **الدولة انا** » ، وكان هذا لسان حال ملوك أوروبا جميعا . وكانت الشعوب من العناصر المهملة التى

لا شأن لها على الاطلاق فى أى أمر من الأمور . وقد استقر فى الاذهان « ان الملوك يحكمون البلاد بتفويض وتخويل من الله » فمن يخالف أمر الملك انما يعصى الله !

## الشعب مصدر السلطات ..

غير ان المفكرين ما فتئوا ان توصلوا الى نظرية « الحق الطبيعى » المنبثق من الطبيعة البشرية والحياة الاجتماعية ، ومن ثم قالوا « **ان مصدر جميع السلطات هو الشعب** » . وكان هذا المبدأ يحتوى بذور مبدأ خطير آخر ، هو مبدأ « حقوق القوميات » ، لأنه بعد التسليم بأن الشعب هو مصدر جميع السلطات ، كان من الطبيعى أن تتبادر الى الاذهان سلسلة أسئلةهامة : فما هو الشعب ؟ وممن يتألف ؟ وكيف يظهر مشيئته ؟ وبأية طريقة يستعمل سلطانه ؟ وقد انتهوا من ذلك الى القول بأن من حق كل أمة من الأمم أن لا تخضع لحكم أمة أخرى وأن تؤلف دولة خاصة بها تكون فيها مصدر السلطات بأجمعها ، فلا تصبح ضحية تحكم جماعة غريبة عنها . ولذلك أخذت الأمم تشعر بكيانها الخاص وتنزع الى تقوية هذا الكيان ، فصارت لا تعبأ كثيرا بالحدود السياسية التى تفصل الدول القائمة بعضها عن بعض ، **بل أخذت تسعى تارة الى الانفصال عن الدولة التى تحكمها ، لتأليف دولة مستقلة عنها ، وتعمل طورا للاتحاد مع فروعها المنتسبة الى دول أخرى لتكوين دولة موحدة تجمع شمل الأمة بأجمعها** ، وهذا ما أوجب الانقلابات السياسية الخطيرة التى ذكرناها . ومن ثم سارت فكرة « حقوق القوميات » سيرها الطبيعى ، ووصلت الى نتائجها المحتومة ، وأعادت بناء الدول الاوروبية على أسس جديدة تختلف عن أسسها القديمة اختلافا كليا .

ولكن ما هى العناصر التى تتكون منها القومية وتتـألف منها الأمة ؟

## وحدة اللغة .. والتاريخ

**يظن** البعض ان كل أمة من الامم تنحدر من أصل واحد . الا انه ظن غير صحيح : لأن جميع الابحاث العلمية لا تترك مجالا للشك فى أنه لاتوجد على وجه البسيطة أمة تنحدر من اصل واحد حقيقة . ومع ذلك فثمة عوامل كثيرة توحي بهذا الظن : **وأهمها وحدة اللغة ، والاشتراك فى التاريخ .**

**فاللغة** هى أهم الروابط المعنوية التى تربط الفرد بغيره من الناس ، لانها توجد نوعا من الوحدة فى الشعور والتفكير، وتربط الأفراد بسلسلة طويلة ومعقدة من الروابط الفكرية والعاطفية ، فيؤلفون بذلك أمة متميزة عن غيرها من الأمم . وعلى ذلك فاذا أضاعت أمة لغتها ، وصـارت تتكلم بلغـة أخرى ، تكون قد فقـدت الحيـاة واندمجت فى الأمة التى اقتبست عنها لغتها الجديدة. فاللغة هى روح الأمة وحياتها، وهى بمثابة محـور القوميـة وعمودها الفقرى ، وهى أهم مقوماتها ومشخصاتها .

**وأما التاريخ** ، فهو بمثابة شعور الامة وذاكرتها : فان كل أمة من الامم انمـا تشـعر بذاتها وتتعرف الى شخصيتها بواسطة تاريخها الخاص . والذكريات التـاريخية تقـرب النفـوس وتوجد بينها نوعا من القـرابة المعنـوية . والأمة المحكومة التى تنسى تاريخهـا الخاص ، تـكون قد فقـدت شعورها ووعيها . ولذلك نجد ان الأمم المستولية والحاكمة تعمد قبل كل شىء الى مكافحة تاريخ الأمة المحكومة وتبذل ما استطاعت من الجهود لاقصاء ذلك التاريخ عن الاذهان . وأما اليقظات القومية ــ بعد عهود الحكم الأجنبى ــ فتبـدأ

عادة بعكس ذلك ، بتذكر التاريخ القومى ، وبالاهتمام به اهتماما خاصا .

**واذن فاللغة والتاريخ هما العاملان الاصليان اللذان يؤثران اشد التاثير فى تكوين القوميات .**

وفيما يلى نتكلم عن تاريخ نشوء الفكرة القومية ، حتى نلقى نورا كشافا على تفكيرنا السياسى ، ومن ثم يمكننا التنبؤ بما سيكون عليه مستقبل الفكرة القومية فى البلاد العربية ، وبالتالى يمكننا اصدار حكم صحيح على ما يجب أن يكون عليه سلوك الناشئة العربية ازاء «الفكرة القومية» .

## نشوء الفكرة القومية فى المانيا

**ان** تاريخ الوحدة الالمانية من أهم وأمتع صفحات التاريخ فى القرون الاخيرة : لان المانيا كانت ــ فى العقد الاخير من القرن الثامن عشر ــ منقسمة الى ٣٦٠ وحدة سياسية مستقلة بعضها عن بعض استقلالا مطلقا . غير ان عدد هذه الوحدات السياسية ، أخذ يقل شيئا فشيئا ، بسبب اتحاد واندماج بعضها ببعض ، وكان العامل الأصلى فى ذلك هو « نشوء الفكرة القومية » فى المانيا ، وتغلب هذه الفكرة على « فكرة الدولة » القديمة الباقية من القرون الوسطى .

**ويبدأ تاريخ الفكرة القومية فى ألمانيا ــ بصورة واضحة ــ بالحروب النابليونية** : فقد كانت المانيا فى أواخر القرن التاسع عشر تتألف من عدد كبير من الدول والدويلات والمدن الحرة ، وكانت كل منها تتمتع بسيادة تامة فى أمورها الداخلية والخارجية . وفى الواقع ، كان هناك ما يسمى ــ بصورة رسمية ــ باسم الامبراطورية المقدسة . ولكنها كانت مجرد اسم ، ولم تكن تتمتع بأى سلطة سياسية حقيقية ، اذ كانت الوحدات التي تشتمل عليها مستقلة استقلالا تاما . ومع

ذلك كانت ألمانيا قد وصلت الى مرتبة عالية جدا من التقدم والرقى فى ميادين العلوم والفنون والآداب ، وكان بين أبنائها عباقرة من أمثال « شيللر » و « جوته » و « كانت » و « هيجل » و « غوس » و « هومبولد » و « فرنر » .. وكان لها عدة جامعات راقية . وبذا كانت المانيا قوية وراقية وموحدة من حيث الثقافة ، على الرغم من كونها ضعيفة ومشتقه ومتأخرة من حيث السياسة .

## فرنسا تتنكر لمبادىء الحرية !

**هذه** كانت حالة المانيا عندما قامت الثورة الكبرى فى فرنسا ، وقد قوبلت أخبارها بحماس واستحسان فى محافل المفكرين ، لأنها بدت لهم كفاتحة عهد جديد فى تاريخ البشرية سيضمن الحرية لجميع الأفراد ولجميع الأمم . غير ان الوقائع لم تلبث أن خيبت هذه الآمال ، **ولم تلبث فرنسا التى نادت بانها ستحرر الشعوب ، أن جنحت الى توسيع سلطانها ، والجرى وراء اطماعها ، وقد وصلت هذه الاطماع الى حدها الأقصى بعد تتويج نابليون وتنصيبه امبراطورا على فرنسا** . وقد صارت المانيا اول اهداف هذه الاطماع واشقى ضحاياها ؛ لأن انقسامها الى دويلات كثيرة صغيرة وضعيفة سهل على نابليون أن يتغلب عليها وان يتصرف فى شئونها كما شاءت أطماعه وأهواؤه : فالحق قسما منها بفرنسا الحاقا مباشرا ، وكون من قسم آخر منها مملكة جديدة سماها باسم مملكة ( وستفاليا ) ، ونصب أخاه « جيروم » ملكا عليها ، ثم كون دولة اتحادية تجمع عددا غير قليل من الدويلات الالمانية سماها باسم ( اتحاد الراين ) وأعلن نفسه حاميا عليها . ثم هجم على ( بروسيا ) نفسها ، ودحر جيوشها فى موقعة ( يينا ) المشهورة ، ثم زحف الي

برلين واستولى عليها ، وأملى على ملك بروسيا ما شاء من الشروط !

وقد كان من الطبيعي أن تولد هذه الكوارث رد فعل شديدا فى نفوس الالمان ، **وقد صار الكل يشعرون شعورا واضحا بان هذه الرزايا كانت من نتائج (( فقدان الوحدة القومية )) و (( ضعف الروح الوطنية ))** . ومن ثم تولد فى نفوس الالمان تيار قوى جارف من الحماسة الوطنية المقرونة بالرغبة الملحة فى الاتحاد ، للتخلص من ربقة فرنسا . وكان مركز هذه الحركة ومحورها فى بروسيا ، وقد اندفع الأدباء والشعراء فيها يصورون الرزايا التى ألمت بالبلاد تصويرا مؤثرا ، ويلهبون روح الوطنية ، ويثيرون حب الاستقلال والاتحاد بأشعار حماسية ، واندفع المفكرون والمعلمون يخطبون ويحاضرون ، كما اندفع رجال السياسة يهيئون السبل لحركات الوحدة والاستقلال . وقد كانت القوانين المرعية فى بروسيا فى ذلك التاريخ تميز طبقات المجتمع بعضها عن بعض تمييزا صريحا فعليا . **وقد أدرك رجال الاصلاح مافى ذلك من منافاة لمقتضيات الوحدة القومية ، فألغوا القوانين المذكورة ، واستعاضوا عنها بقوانين جديدة تزيل هذه القيود ، وتجعل الناس يشعرون بأنهم أبناء أمة واحدة ووطن واحد** . وقام رجال الجيش أيضا بتنظيم الحياة العسكرية على أسس جديدة تماما ، بطريقة تضمن تدريب جميع المواطنين على الحياة العسكرية . . وقد استمرت هذه الجهود والتدابير التنظيمية والاصلاحية بدون انقطاع مدة سبع سنوات ، فخلقت فى بروسيا روحا جديدة تماما . . حتى اذا ما بدأ نابليون يتراجع عن موسكو ، أقدمت بروسيا على التجنيد العام وكونت بغتة جيشا كبيرا قويا انضم الى جيوش الحلفاء ، وانتصر على الفرنسيين فى

معركة ( ليبزيج ) المشهورة ، فمحا بذلك العار الذى كان قد لحق بالجيش البروسى وبالأمة الالمانية فى موقعة ( يينا ) .

## اختلاف المنتصرين .. بدد الآمال

وكانت الجهود التى بذلها رجال الفكر والسياسةوالجيش فى بروسيا تستهدف غايتين أساسيتين : هما تخليص البلاد الالمانية من النير الفرنسى من جهة ، وتوحيدها سياسيا وعسكريا من جهة أخرى . فلما تكللت هذه الجهود باندحار الجيوش النابليونية ، تولد فى نفوس الوطنيين العاملين امل قوى فى الوحدة الالمانية أيضا . **الا ان السياسة التىسارت عليها الدول المتفقة ــ بعد الانتصار على فرنسا ــ خيبت آمال هؤلاء . ذلك لأن ساسة الدول المذكورة قرروا تنظيم أوروبا من جديد على أساس « اعادة الحقوق الشرعية الى الملوك »** ، وقد حال ذلك دون توحيد المانيا بطبيعة الحال . واستمرت كل دولة من الدول الالمانية الكثيرة تعمل مستقلة عن غيرها تمام الاستقلال . الا ان فكرة الوحدة الالمانية ــ رغم الدسائس ــ ظلت تتغلغل فى النفوس ، وتتحقق شيئا فشيئا ، ومرحلة بعد مرحلة ، متغلبة على جميع أنواع المشاكل والعوائق التى كانت تعترض سبيلها .

وكانت أولى مراحل الوحدة بين الدول الالمانية هىتوحيد الجمارك بينها ، وقد تكون « الاتحاد الجمركى » الذى عرف باسم « الزولفراين » بين الدول الالمانية .

الا أن الوطنيين لم يكتفوا بهذه الخطوة ، وانما راحوا يدعون إلى توحيد المانيا سياسيا ، وان كانوا قد اختلفوا فى وسيلة ذلك : فأراد بعضهم النظام الجمهورى ، وأراد البعض الآخر النظام الملكى . وهذا الفريق الاخير ، كان بعضه يريد الاتحاد بزعامة اسرة « هابسبورج » ، وهى العائلة المالكة

فى الامبراطورية النمساوية .. بينما كان بعضه الآخر يريد الاتحاد بزعامة أسرة « هوهينزولرن » ، وهى العائلة المالكة فى المملكة البروسية . حتى اذا قامت الثورات الشعبية فى مختلف أنحاء أوروبا سنة ١٨٤٨ ، خرجت فكرة الوحدة من ساحة النظريات الى ميـــدان العمليـــات : **فقد رأى الملوك والامراء ان الحكمة فى مسايرة الرأى العـــام ، ووافقوا على دعوة مؤتمر شعبى عام فى ( فرانكفورت ) لوضـــع دســـتور يسرى على البلاد الالمانية باجمعها** ، وذلك بغية تأسيس دولة المانية تجمع شـــمل الدول والدويلات القـــائمة على أراضى جرمانيا القديمة . وقد انتخب أعضاء هذا المؤتمر عن طريق التصويت العام الذى اشتركت فيه جميع الشعوب الالمانية. وقد اتفقت الآراء فى المؤتمر على تكوين حـــكومة اتحـــادية فيدرالية على أن تكون « امبراطورية وراثية » ، وأن يقدم تاج « أمبراطورية المانيـــا الجـــديدة » الى ملك المملكة البروسية » .

## حكومات اوربا « تبتلع » وعودها !

**ولكن** خلال هذه الفترة كانت معظم الحكومات فى أوروبا قد تغلبت على الحركات الثورية فى بلادها ، فتراجعت شيئا فشيئا عما اتفقت عليه فى المؤتمر ، بل ان ملك بروسيا نفسه رفض آخر الأمر ان يقبل تاج الامبراطورية من يد مجلس شعبى . ومن ثم انتهى الأمر بفشـــل مشروع الامبراطورية الالمانية !

وراحت مختلف الأوساط بعد ذلك تعتبر فكرة توحيد ألمانيا وهماً من الأوهام ، وحلماً من الأحلام . ولكن الوقائع التى حدثت فيما بعد ، برهنت ـ على العكس من ذلك ـ على ان هذه التكهنات كانت بعيدة عن الصـــواب ، لأن ايمـــان

القائلين بالوحدة الالمانية لم يتزلزل من جراء فشل مؤتمر فرانكفورت ، بل ظلوا يؤمنون بها ويعملون من أجلها ، الى ان تكللت مساعيهم بالنجاح وتحققت الوحدة الالمانية بصورة فعلية ، بعد مرور عقدين من السنين على محاولة فرانكفورت الأليمة .

**دور الادباء فى تحقيق الوحدة**

وقد كانت العوامل والأعمال التى ساعدت على تحقيق الوحدة الالمانية كثيرة ومتنوعة : **وكان من أهمها الأشعار والمقالات والدروس والخطب التى كانت تصدر بدون انقطاع من أقلام الشعراء والكتاب والأساتذة والخطباء .** كما أن الأعمال والتدابير الاقتصادية والسياسية والعسكرية لعبت دورا هاما فى هذا المضمار . وكان لربط البلاد بالسكك الحديدية أثر عظيم كذلك .

وأما الأسباب التى كانت تحول دون تحقيق الوحدة على الرغم من انتشار الايمان بها والاعتقاد بضرورتها ، فيمكن ان تتلخص فى الأمرين التاليين :

**أولا : أنانية الملوك والأمراء** الذين كانوا يحرصون أشد الحرص على السلطان الذى يتمتعون به .

**ثانيا : دسائس بعض الدول الأجنبية** ، ولا سيما الدولة الفرنسية ، لتقوية النزعات الاقليمية فى مختلف البلاد الالمانية : بقصد الحيلولة دون قيام دولة المانية قوية على حدود فرنسا الشمالية .

ولقد أدرك رجال الفكر والسياسة فى مختلف البلاد الالمانية تمام الادراك أن اتحاد بلادهم لا يمكن أن يتحقق الا بعد تذليل هذه العقبات الأساسية ، وأخذوا يعملون فى سبيل ذلك عملا متواصلا بحركة متصلة ... وثبات .

وقد رأوا من الحكمة أن يختاروا «النظام الفدرالى» ليتركوا

للملوك والأمراء شيئا من حقوقهم وسلطانهم ، فيضمنون بذلك عدم معارضتهم لمشروع الاتحاد معارضة قوية قد تصل الى درجة الإستماتة . كما رأوا من الضروري أن ينشئوا جيشا قويا ، ليضعوا بواسطته حدا للدسائس والمؤامرات . وكانت هذه الخطط العملية تتطلب جهودا جبارة للغاية ، وما كانت هناك دولة تستطيع أن تأخذ على عاتقها مهمة تنفيذ هذه الخطط ، سوى المملكة البروسية . ولذلك أصبحت هذه الدولة قبلة آمال جميع القوميين الألمان ، فاحتشدت هناك جميع القوى المفكرة والفعالة من مختلف أنحاء البلاد الألمانية ؛ سيما بعد أن آلت الزعامة السياسية في بروسيا الى شخصية « بسمارك » القوية . فان هذا الرجل العبقري ، عندما تولى رئاسة الحكومة البروسية ، كان قد ألم بكل ما يتصل بقضايا الوحدة الألمانية ، ومن ثم وضع خططه السياسية على ضوء اطلاعاته الواسعة . وصار ينتهز الفرص ، لتقريب وجهات النظر بين مختلف الدول الألمانية من جهة ، وللقضاء على تأثيرات الدسائس الأجنبية من جهة أخرى ، وعمل عملا متواصلا ، لرفع مكانة بروسيا بين الدول الألمانية ، تسهيلا لاجتماع الكل تحت زعامتها السياسية والعسكرية . **وقد أدت الجهود التي بذلها بسمارك الى اتفاق سبع وعشرين دولة من الدول الألمانية على تأليف دولة اتحادية تحت زعامة العائلة المالكة البروسية .**

وفي هذه الاثناء حدثت الأزمة السياسية التي عرفت باسم ازمة العرش الأسباني ، والتي انتهت بأن أعلنت فرنسا الحرب على بروسيا ، وهزمت فيها شر هزيمة ، اذ أسرت الجيوش البروسية نابليون الثالث امبراطور فرنسا وزحفت على باريس ، فاضطرت فرنسا الى التسليم بشروط بروسيا ؛ وكان لهذا النصر الذي أحرزته بروسيا أثرا عظيما في بقية

الدول الالمانية التى كانت تعارض فى الاتحاد . فلم يعد ثمة مانع يحول دون اعلان اتحاد جميع الدول الالمانية وتنصيب ملك بروسيا وتتويجه امبراطورا على المانيا الاتحادية . وقد تم ذلك فى قصر فرساى الشهير القائم فى ضواحى العاصمة الفرنسية فى ١٨ يناير سنة ١٨٧١ . وهكذا تحققت وحدة المانيا وتأسست الامبراطورية الألمانية . بعد جهود دامت مدة طويلة تقرب من سبعين عاما .. **وقد كانت وحدة ألمانيا أكبر الانتصارات التى أحرزتها الفكرة القومية فى القرن التاسع عشر .**

**« وفى العدد القادم نوالى نشر بقية هذه المحاضرات الممتعة عن الفكرة القومية فى بلاد اليونان وبلغاريا ورومانيا ويوغوسلافيا والبانيا وتركيا .. والبلاد العربية »**





من من هؤلاء
مؤلف التحفة القادمة لمطبوعات كتابى؟
عزيزى القارئ..
منذ أصدرت من أجلك هذه السلسلة الشيقة لكتابى - سلسلة مطبوعات كتابى - وأنا أحرص على أن تضم مجموعتها مختارات منوعة من أدب جميع البلاد لأشهر المؤلفين، فى جميع العصور كى تكون هذه السلسلة بمثابة دائرة معارف للأدب العالمى من جميع مصادره.
وجريا على هذه الخطة، أقدم لك فى العدد القادم من "مطبوعات كتابى" - الذى يصدر بعد أيام - تحفة لأحد هؤلاء المؤلفين الذين ترى صورهم فى أعلى هذه الصفحة ... ؟.. وما هو الكتاب الذى اخترته لك من مؤلفاته؟
هذه هى المفاجأة القادمة لسلسلتك المحبوبة
حلمى مراد